الجمـــهوريـــة الجزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان –

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم : الثقافة الشعبية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي

موسومة

تمثلات الشعر الشعبي للشخصيات السياسية
الشيخ بوعمامة ، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة

إعداد الطالب :

سالم بن لباد

إشـــــراف:

أ.د. محمد سعيدي

أعضاء لجنة المناقشة

– أ.د. عبد الحق زريوح	أستاذ التعليم العالي	جامعـة تلمسان	رئيســـا
– أ.د. محمد سعيـــدي	أستاذ التعليم العالي	جامعـة تلمسان	مشرفا ومقررا
– أ.د. مصطفى أوشاطر	أستاذ التعليم العالي	جامعـة تلمسان	عضـــوا
– أ.د. محمد بلوحي	أستاذ التعليم العالي	جامعـة بلعباس	عضـــوا
– أ.د. بلحاج كاملي	أستاذ التعليم العالي	جامعـة بلعباس	عضـــوا
– د. محمد بن سعيد	أستاذ محاضر – أ–	جامعـة وهران	عضـــوا

السنة الجامعية : 2012-2013

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

أهدي هذا العمل:

- إلى والدي رحمه الله
- إلى الوالدة أطال الله في عمرها
- إلى إخوتي
- إلى أهل بيتي: زوجتي وأبنائي أحمد زكرياء ورجاء فاطمة الزهراء
- إلى الحاج محمد وزوجته وأبنائه.
- إلى الأصدقاء: إسماعيل خربوش والدكتور بن عيسى عبد الحليم والأستاذ حسين خالفي...

□

شكر وعرفان

أتوجه بالشّكر إلى كلّ من أتاح لنا الفرصة للقيام بهذه الدّراسة، وأخصّ بالذّكر الأستاذ الدكتور محمد سعيدي الذّي وجهنى وصبر عن عناء مراجعة وتصحيح هذا العمل، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة □ذا البحث، وزاد كرمهم أكثر عندما تشرفوا بمناقشتهم البناءة له، كما أتوجه بالشّكر إلى كلّ من ساعدني من قريب أو من بعيد.

مقــدمة

مقــــدمــــة:

مرّ الشّعر الشّعبيّ منذ نشأته بمراحل تاريخية مختلفة، تغنّى فيها الشّاعر بثقافته الشّعبيّة، ذاكرا أهمّ الأحداث في حياته، وكان الشّعر في كلّ الأوقات، الهواء الذّي استحال على الفرد الجزائري التنازل عنه، لأنّه جزء من حياته يعكس همومه، ويذكر آلامه وآماله، ويعبّر عن آفاقه ومستقبله.

ويعتبر الشّعر الشّعبيّ شعر العامة المنظوم بلغتهم الخاصة والمتناقل بينهم مشافهة، والذّي ينشأ في حضنهم، ويعبّر عن الطبقة الكادحة التّي تسعى إلى ضمان رزقها. فالشّعر يؤثِّر ويتأثر بالأوضاع والأحداث التّي تميّز فترة إنتاجه، وقد يتأثّر بالأمور والعوامل السيّاسيّة، كما يتأثّر أيضا بالأحداث الاجتماعيّة واتجاهات الشّعراء الدينيّة.

وما يساعد الشّعر الشّعبيّ في الظهور والانتشار هو المناخ الثّقافيّ السائد في المجتمع الجزائريّ، وحضور الإنتاجات المعرفيّة الواعيّة، وتداول المعارف بين الأجيال، ووجود تلك المؤثّرات الثّقافيّة المختلفة التّي ورثها الشّاعر عن الأجداد والمتمثّلة في العادات والتقاليد، والطبائع الشّعبيّة التّي لها دور فعّال في المجتمع الجزائريّ، فالثّقافة الشّعبيّة من هذا المنطلق هي أساس القاعدة الشّعبيّة، ومعيار اجتماعيّ وتوتر تعبيريّ الذّي تنتج عنه ثقافة الفرد في المجتمع.

والشّعر الشّعبيّ باعتباره شكلا أدبيّا، فهو وسيلة لمعرفة الواقع النّفسي والاجتماعي، والكشف عن مختلف العقليات التّي نشأت في حضن الثّقافة

المحليّة، والتّي مثّلها الشّاعر الشّعبيّ بالألفاظ ذات الدّلالات السوسيوثقافية. فهو يعكس كلّ التمثّلات الفرديّة والجماعيّة للواقع المعاش، والمتمثّلة في التّطلعات والمعتقدات ونظرتهم في الحياة.

لقد وقع اختيارنا في هذا البحث على مجموعة من القصائد الشّعبيّة لشعراء شعبيّين من عدّة مناطق في الجزائر، الذّين تجمعهم بنيّة ثقافيّة وحضارة واحدة، ويعملون على تشكيل أدبيّ واحد، وحاولنا إبراز أهمّ التمثّلات الشّعريّة للشّخصيّات السيّاسيّة، بعد أن اخترنا ثلاث شخصيّات سيّاسيّة معروفة في تاريخ الجزائر، وكان هذا الاختيّار مبنيّ حسب فترات زمنيّة متعاقبة، وكلّ فترة تمثّلها شخصيّة من هذه الشخصيّات الثلاثة.

وعلى هذا الأساس ورد عنوان البحث على الشكل الآتي: " تمثّلات الشّعر الشّعبيّ للشّخصيّات السيّاسيّة (الشّيخ بوعمامة، وابن باديس، وعبد العزيز بوتفليقة)، أمّا الإشكاليّة المطروحة حول الموضوع فهي: ما مدى تأثير الشّخصيّات السيّاسيّة على الفكر الشّعبيّ؟ وما هي أهمّ التمثّلات الشّعريّة التّي صوّرها الشّاعر الشّعبيّ حول الشخصيّات السياسيّة الثلاثة؟ وكيف رسم الشاعر هذه الشخصيات في المخيال الشعبي ؟

حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات وتساؤلات أخرى بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النّصوص الشّعريّة.

وهكذا رسمنا خطّة البحث في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة:

فالمدخل عبارة عن تحديد للمصطلحات التّي لها علاقة بالعنوان، كتحديدنا لمفهوم كلّ من التمثّل والشّعر الشّعبيّ، والشّخصيّة، إضافة إلى العلاقة بين بعض المصطلحات الموجودة في المضمون، كعلاقة الشّعر بالتّاريخ وعلاقة الشّخصيّة بالسيّاسة والثّقافة والمجتمع...

أمّا فيما يخص الفصول الثلاثة، فقد حددنا كلّ فصل بشخصيّة سيّاسيّة وجاءت معنونة على الشكل الآتي:

- **الفصل الأول:** دراسة بعض التّمثّلات حول شخصيّة الشّيخ بوعمامة، والتّي حصرناها في ثلاثة أبعاد أساسيّة: بعد دينيّ ثقافيّ، وبعد اجتماعيّ، وبعد سيّاسيّ.

- **الفصل الثاني:** خصصناه للتمثّلات الشّعريّة الشّعبيّة لشخصيّة ابن باديس، وحددناها في ثلاثة أبعاد؛ بُعد إصلاحيّ ثقافيّ دينيّ، وبعد إصلاحيّ اجتماعيّ، وبعد إصلاحيّ سيّاسي.

- **الفصل الثالث:** وخصصناه للتّمثّلات الشّعريّة الشّعبيّة لشّخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، وحصرناه في ثلاثة أبعاد أيضا: البّعد الثّقافيّ، والبّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ، والبّعد الإصلاحيّ السيّاسيّ.

أمّا الخاتمة فهيّ عبارة عن مجموعة من النتائج المتحصل عليها عن طريق دراسة موضوع التّمثّلات للشّخصيّات السيّاسيّة.

ومن بين الأسباب التّي دفعتنا لاختيّار هذا الموضوع نذكر سببيّن: الأول موضوعيّ، والثّاني ذاتيّ، أمّا الأوّل يتمثّل في وفرة القصائد الشّعبيّة التّي ذكرت الشّخصيّات السيّاسيّة الثلاثة المحددة للبحث، ونخصّ بالذّكر الشّيخ بوعمامة وعبد العزيز بوتفليقة، ومحاولة منّا جمع مجموعة شعريّة لا بأس بها، قصد إفادة الباحثين في هذا المجال.

أمّا السبب الذاتيّ فيتمثّل في سبب واحد رئيسيّ هو إكمال العمل الذّي بدأناه في رسالة الماجستير-الموسومة تحت عنوان " **تمثلات الشعر الشعبي لشخصية الأمير عبد القادر**" الصادرة سنة 2009 عن جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان - قصد إضافة أشياء كنّا قد أهملناها سهوا أو جهلا منّا بأهمّيتها في إثراء ذلك العمل، ونقوم بمحاولة ثانيّة لعلّ وعسى أن نفيد بها الباحثين المقبلين على مثل هذه الدّراسات.

أمّا الهدف الذي نسعى للوصول إليه من خلال معالجة موضوع التمثلات في الشعر الشعبي، يتمثل أولا في إعطاء نظرة إيجابية عن البحث في مجال الشعر الشعبي خاصة و الأدب الشعبي عامة، وإبراز الدّور الذي لعبه الشاعر في الحياة الاجتماعية و السياسية والثقافية.

واجهنا بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث، نذكر منّها قلّة الكتابات الشّعريّة الشّعبيّة حول شخصيّة ابن باديس رغمّ شهرته في المجال العلميّ والإصلاحيّ، حيث اعتمدنا على بعض القصائد التّي تعد على أصابع اليد، منّها قصيدة "ابن باديس" للشّاعر الشّعبيّ عمر موسى، وهي القصيدة الوحيدة التّي لم

تطبع، حصلنا عليها عن طريق الشّاعر نفسه، أمّا باقي القصائد فهي موجودة في بعض المصادر النّادرة، وخاصة المجلات الخاصّة بالمتلقيّات الشّعريّة المقامة بالجزائر، والتّي من الصعب الحصول عليها إلاّ بالاتصال بالشّعراء مباشرة، أو بالأساتذة المشاركين في هذه التّجمعات.

اعتمدنا على بعض المصادر منّها المتوفرة ومنّها النّادرة، خاصة التّي تتعلق بالنّصوص الشّعريّة مثل: "**ديوان من وحي الوئام**" لأحمد بوزيان، وكتاب "**الشّاعر محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة**" للعربي بن عاشور. كما اعتمدنا على مجموعة من الدراسات في الأدب الشعبي ككتاب "**دور الشعر الشعبي في الثورة(1830م-11945م)**" للدكتور التلي بن الشيخ وكتاب "**الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى**" للعربي دحو وكتاب لعباس الجراري و المعنون" **بالزجل في المغرب(القصيدة)**" .واعتمدنا أيضا على بعض المراجع الفلسفية و النفسية و التاريخية نذكر منها كتاب"**سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتوبولوجية النفسية**" لأحمد نعمان، وكتاب "**الإنسان والتاريخ (أثر التاريخ و تأثره بسيكولوجية الفرد)**" لكريستين نصّار، وكتاب "**علم النفس الشخصية**" لكامل محمد عويضة الذي راجعه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي.

وختاما لهذا البحث، نتمنى أن نكون قد وفّقنا، ولو بالقليل في إعداد هذا البحث، وأن يضيف هذا العمل الجديد لدى الباحثين في مجال دراسة الشّعر الشّعبيّ.

المدخل: تحديد المصطلحات

1- المبحث الأوّل: تعريف التّمثّلات

2- المبحث الثّانيّ: تعريف الشّعر الشّعبيّ

3- المبحث الثّالث: تعريف الشّخصيّة

4- المبحث الرابع: الشّخصيّة والتّاريخ

5- المبحث الخامس: الشّخصيّة والثّقافة

6- المبحث السادس: الشّعر والشّخصيّة

7- المبحث السابع: الشّعر والسيّاسة

8- المبحث الثامن: الثّقافة والمجتمع

1) المبحث الأول: تعريف التّمثّلات

يمكن تحديد مفهوم التّمثّلات من خلال ما يتضمنه المصطلح من أبعاد، ومن خلال تحديد المعنى اللّغويّ والمعنى الاصطلاحي، بالإضافة إلى بعض المفردات التّي تقترب في المعنى العامّ للتّمثّلات.

1- المعنى اللّغويّ:

"التّمثّلات" في اللّغة جمع تمثّل؛ و"التمثّل" كلمة مشتقة من "المِثْلِ والمَثِيلْ". جاء في معجم مقاييس اللّغة لأبي الحسن أحمد بن فارس في باب الميم والثاء وما يثلثهما أنّ «الميم والثاء واللام أصل صحيح يدّل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره والمِثْلُ والمِثالُ في المعنى واحد، ومَثَّلَ به، إذا نكَّل وهو من هذا أيضا لأنّ المعنى فيه أنّه إذا نكّل به جعل ذلك مثلا من صنع ذلك الصنيع»[1].

وقد أورد ابن منظور في لسان العرب تعريف المَثَل بقوله: «المَثَل: الحديث نفسه، وقوله عز وجل: (لِلَّذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ولِلَهِ المَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) [سورة النحل الآية 60]، وقال ابن سيده: وقد مَثَّلَ به وامْتَثَلَهُ وتَمَثَّلَ به تَمَثُّلَهُ، وامْتَثَلَ القومُ وعند القوم مثلاً حسناً وتَمَثَّلَ إذا أنشد بيتا ثمّ آخر ثمّ آخر وهي الأمثولة وتَمَثَّلَ بهذا البيت وهذا البيت بمعنى.

1 – أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج5، طبعة اتحاد الكتاب العرب، 2002م، ص227.

ويقال: تَمَثَّلَ فلان ضرب مَثَلاً وتَمَثَّلَ بالشيء ضَرَبَهُ مثلاً»[1].

أمّا "لاروس" فيجعل «التمثّل من "مَثَلَ يَمْثُلُ مُثُولاً"، ومَثَلَ التَماثِيلَ أي صورها، ومَثَلَ الشيءَ بالشيء أي شبهه به وكذلك من تَمثَّلَ يَتَمَثَّلُ تَمَثُّلاً، وتَمَثَلَ الشيء له يعني تصور له وتشخَصَهُ، وتَمَثَلَ بالشيء ضربه مَثَلاً، وتَمثل به: شبه به»[2].

تدلّ هذه التّعاريف على أنّ التَمَثّلَ والتمْثِيل متقاربان، فهما يشتركان في حضور صورة الشّيء أو الشّخص في ذهن الملتقي؛ لأنّ «التَمْثِيلُ: تصوير الشيء كأنّك تنظر إليه، والتِّمْثَالُ: اسم الشيء المُمَثَّل المُصَوِّر على خلقه غيره»[3].

وعرّفه الزبيدي على أنّه: «وقد مَثَّلَ به تَمْثيلاً وامْتَثَلَهُ وتَمَثَّلَهُ، وتَمَثَّلَ به...على أنّ هذا قد يجوز أن يريد به تَمَثَّلَ بالأمثال...وتَمَثَّلَ بالشّيء: ضربه مثلا، يقال: هذا البيت مثلٌ يَتَمَثَّلُهُ، وَيَتَمَثَّلُ به... ومَثَّلَهُ لَهُ تَمْثيلاً: صوّرهُ له بكتابة أو غيرها حتى كأنّه ينظر إليه، وامتثله هو: أي صوّره... قال تعالى:

---

1 – ابن منظور، لسان العرب طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، الجزء13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999، مادة (مثل) ص24,23,22.

2 –لاروس، المعجم العربي الأساسيي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، بيروت، 1991م، ص117.

3 – أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السمرائي، دار مكتبة الهلال، ج8، (د.ط) (د.ت)، مادة (مثل) ص229.

"فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" [سورة مريم الآية 17] أيّ تصوَّرَ»[1].

من خلال هذه التّعريفات يمكن تحديد المعنى اللّغويّ للتّمثّلات، بأنّها تصوير الشّيء بالكتابة ونحو ذلك، كأنّك تنظر إليه، فهو التّشبيه بحيث يحظر الشّيء المراد تمثّله في مخيّال الفرد، بواسطة الكتابة أو اللّغة عند الكلام.

2-**المعنّى الاصطلاحيّ**:

قد يختلف المفهوم الاصطلاحيّ للتّمثّلات عند الباحثين حسب مجال البّحث والدّراسة، وقد عرّف المصطلح في عدّة دراسات أهمّها:

أ-الدّراسات التعليمية: اهتمّ أصحاب هذه الدّراسة بتحديد مفهوم التّمثّلات، حيث نجد تعريفا لـــ "أصطولفي Astolfi" يقول: «التّمثّلات هيّ عمليّة فكرية صعبة بالنّسبة للمتعلّم، والتّي تتوقف خصائصها على تنظيم المعارف في الذّهن، وعلى العوائق الخاصّة بكلّ حقل معرفيّ للترميز الذّي يكتسبه المتعلّم انطلاقا من الوضعيّة والتّفاعلات الفرديّة»[2].

---

1 – محمد بن محمد أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، (د.ط) (د.ت)، مادة (مثل) ص380.

2 – عزام مصطفى، أهمية التصورات في التكوين الأساسي للمعلم البصريات نموذجا، سلك مفتشي التعليم الابتدائي، (د. ط)، 1997، ص149.

ب- الدّراسات السوسيّولوجيّة: التّمثّل عند الباحث في مجال علم النّفس الاجتماعيّ هو: «بناء فكريّ للشّيء وللحقيقة ويشكل إحدى الأدوات التّي تمكن الفرد أو المجموعة من إدراك المحيط»[1].

ج- التعريف التركيبيّ: يعرّف ديبون C.dupont التّمثّل أو التّمثّلات كما يلي: نعتبر التّمثّلات كبنيّات فكريّة تحتيّة في كلّ سيرورة ديداكتيكية لبناء المعرفة، وتشكّل نموذجا تفسيريّا وشبكة لتحليل الحقيقة، كما تجد مصدرها في كلّ ما هو وجدانيّ ومعرفيّ واجتماعي»[2].

وما يمكن القول من خلال هذه التّعريفات إنّ التّمثّلات بنيات فكريّة تفسّر الظواهر الاجتماعيّة والثّقافيّة والسياسية الموجودة في المحيط الذّي يعيش فيه الفرد، وهي أيضا عبارة عن استحضار لشخصيّات دينيّة أو تاريخيّة أو سيّاسيّة من الذّاكرة العامّة للمجتمع إلى ذهن الفرد، وبذلك يستوعب فيها الذّهن تلك المعطيّات الواقعيّة التّي تنشأ علاقة بين الفرد والشّخصيّة التّي يتمثّل بها.

3) **خصائص التمثّل:** يشترط في عملية التمثل وجود العناصر الآتية:

أ-**الموضوع:** من شروط التمثل وجود الموضوع، حيث تتفاعل الشخصية والعالم الداخلي للموضوع، لوجود علاقة بين الشخصية محل التمثّل، وهذا العالم الذي سميناه الموضوع.

1– J.P Astolfi et M.Develay, La didactique des sciences, PUF, paris, 1989, p 3-6.
2– L.Benouri et autres, Les représentations, C.F.I.E, section section naturelles, 1994,p 3-6.

ب-**<u>الرّمز ودلالته</u>:** تعدّ الأساليب الرّمزية ودلالتها من بين شروط التّمثل، والتّي تعطينا الصورة الحقيقية للتّمثّلات الشّعرية في القصيدة الشّعبية، لأنّ الخطاب الشّعريّ الشّعبيّ يعبّر عن الواقع البشريّ بصوره الذّهنية المختلفة ذات البناء الذّاتي والرّمزي، والذّي يعكس الواقع الاجتماعيّ والسيّاسيّ والثّقافيّ والدّينيّ...

إنّ الخطاب الشّعري الشّعبي وعاء من الصور الرّمزية التّي تدلّ على الأشياء الموجودة في العالم المحيط بالشّاعر، والتّي تدلّ عليها الألفاظ والجمل من خلال إعطائها المعنى الخفيّ الذّي يسعى إلى حضور الأشياء المرموز إليها بذاتها في المخيال الشّعبي للمتلقي.

ج-**<u>التخيّل</u>:** وهو تصوير الواقع في المخيال الشّعبيّ نتيجة البحث عن حلول للأحداث الاجتماعيّة، السيّاسيّة والثّقافيّة...، والتّي تسهم بشكل أو بآخر في إحياء موضوع التّمثّل في القصيدة الشّعريّة الشّعبيّة.

فالتّخيل آلية «تشتغل بآليات مختلفة تتحكم فيها الظروف السوسيو-ثقافية، وإذا أصبح من البديهي القول إنّ الفعل التخيّيلي يتجاوز الواقع»[1]. فمن المنطقي القول إنّ الانتفاء بالتخيّل في الشّعر الشّعبيّ يجعل من الواقع موضوعا له ويسهل على الشّاعر استحضار الذكريات وتصويرها في قالب شعريّ.

1 – د.آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص51.

2) المبحث الثاني: تعريف الشّعر الشعبي

قد يصادف الباحث في مجال الأدب الشعبي مجموعة من الكتابات التّي تنظر إلى القصيدة الشّعرية على أنّها الزّجل أو الملحون أو الشّعر الشّعبيّ، وقد تتفرع من هذه التسميات الأساسية تسميات أخرى حسب النّص الشعري، مثل: المبيت، أو الموشح، أو القصيدة.

ومن بين المصطلحات التّي جلبت اهتمام الباحثين مصطلح "الملحون"؛ لأنّه أكثر شيوعا وشهرة، وقد عرّفه المرزوقي بقوله: «إنّ الشّعر الملحون الذّي نريد أن نتحدث عنه اليوم، فهو أعمّ من الشّعر الشّعبيّ، إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية، سواء معروف المؤلف أو مجهوله، وسواء دخل في حياة الشّعب فأصبح ملكا له، أو كان من شعر الخواص، وعليه فوصف الشّعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنّه نطلق بكلام عاميّ أو بلغة عامية غير معروفة»[1].

والملاحظ في هذا القول أنّ المرزوقي قد ألمّ على التّعريف، كما يبدو هذا التعريف هو الأصّح، لكن النقطة التّي تثير الانتباه هي أن الشّعر الشّعبيّ لا يخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف، وهو ما أشار إليه عبد الله ركيبي: «لمّا كان الشّعر الملحون– في معظمه– تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينه

1 – محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط5، 1967م، ص51.

وبينها هو في الإعراب، فهو إذن من "لحن" في الكلام إذا لم يراع الإعراب والقواعد اللّغوية المعروفة»[1].

فاشتقاق كلمة الملحون من "لحن" تعطينا فكرة أنّ الشّعر الملحون يستعمل لغة غير سليمة، كما يدلّ على أنّه إنتاج شعريّ نظم من أجل الغناء واللّحن.

أمّا محمد عبده غانم فقد أشمل في تعريفه عن تعريف المرزوقي عندما قال: «تستعمل كلمة الملحون تابعة لكلمة "حميثي" أو بدلا منّها للدّلالة على الشّعر الذّي لا يلتزم بقواعد اللّغة الفصحى»[2].

وهذا يعني أنّ القصيدة الملحونة تتميّز بخصائص القصيدة الفصيحة، لكن نقطة الاختلاف كانت في عدم الالتزام بقواعد الإعراب، وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى هذه نقطة أيضا لمّا ميّزه عن الفصيح ببنائه المخالف لقواعد اللّغة والقريب من العامية وبين سبب نشأة هذا النوع، حين قال: «كانوا يقرضون الشّعر في سائر الأعاريض...ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشّعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء...»[3].

1 – د.عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، (د.ط)، 2009م، ص361.

2 – د. محمد عبده غانم، شعر الغناء الصنعاني، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م، ص55.

3 – ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، المجلد2، ص582.

وحاول عباس الجراري أن يوحّد الاسم في أغلب الأقطار العربية بإطلاق كلمة "الزّجل" على ما أطلقه غيره بالملحون، لكن علميّا فإنّ الدّراسات الأدبية محصورة في كلّ الأقطار العربية بين الأقاليم الضيّقة، ولكلّ جهة خاصيّة تميّزها عن الأخرى، لذلك لا يمكن أن يكون هناك توحيد؛ لأنّنا لو بحثنا عن التسميّة في أقطار العالم العربي، لعثرنا على مجموعة من التّسميّات مثل: "الزّجل"، "الحميني"، "الموّال"، و"المبيت"، و"الموشّح" وغيرها.

وقد نجد الباحثين في مجال الشّعر الشّعبي يفضّلون بعض التّسميات على البعض الآخر، فمحمد المرزوقي مثلا يفضّل اسم "الملحون" عندما يقول: «فوصف الشّعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن "يلحن" في كلامه؛ أيّ أنّه نطق بلغة عاميّة غير معربة. أمّا وصفه بالعاميّ فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته، وقد ينصرف إلى نسبته للعامة، فكان وصفه بالملحون مبعدا له هذه الاحتمالات»[1].

أمّا عباس الجراري فيفضل مصطلح الزّجل بقوله: «فإنّنا نفضّل إطلاق الزّجل على كلّ أنواع الشّعر الشّعبي المغربي وندعو إلى هذه التّسمية بدلا من أيّ تسميّة أخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار»[2].

لكن عبد الله ركيبي يخالف عباس الجراري في إطلاقه الزّجل على الشّعر الشّعبيّ باعتبار أنّ الزّجل خليط من العامية والفصحى، وهو يميل إلى

---

1 – محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، ص51.

2 – عباس الجراري، الزجل في المغرب" القصيدة، مطبعة الأمنية، المغرب، ط1، 1970م، ص54.

إطلاق مصطلح "الملحون" على الشّعر؛ لأنّ التسمية بالنسبة له: «لا تتعارض كثيرا مع بقية المصطلحات، فهي وإن اختلفت معها في بعض ما ذكرنا فإنّها تتفق معها في السمة الغالبة على هذا الشّعر، وهي أنّ روحه ولغته عاميّة في معظمها، ولكنّها تعدّ تسمية خاصة بالقياس إلى مصطلح "الشّعر الشّعبيّ" مثلا، الذّي هو أعمّ وأشمل من المصطلحات الأخرى»[1].

إنّه من الصعب تقديم تعريف موحد وأحاديّ للشّعر الشّعبي؛ لأنّ معظم التعاريف السابقة تثبت أحقية التسمية للمصطلح عن آخر، لكن الرأي الصواب هو لكلّ منطقة وتسميتها الخاصة.

وأوّل من استعمل كلمة "الشّعر الملحون" بدلا من "الزّجل" هو المؤلف ابن سعيد «فبعد إعطاء مثالين عن الزّجل لأحد الشعراء الأندلسيين الذّين عاشوا في عهد الموّحدين ذكر بأنّ هذا الأخير له شعر ملحون على الطريقة العامة»[2].

أمّا عن نشأة الشّعر الشّعبي وظهوره الأوّل في الجزائر، فهو محلّ خلاف بين الباحثين، ويرجع ذلك للإهمال الذّي لحق الشّعر الشّعبي من طرف المؤرخين الذّي سكتوا عن ذكر الشّعر الشّعبي رغم معايشتهم فترات ظهوره، لكن معظم آراء الباحثين تحدد فترة ظهوره في الجزائر بعد دخول الفاتحين الإسلاميين العرب، «وأرجع البعض هذه الظاهرة إلى أنّ هذه الإبداعات ليست

---

1 – عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص364.

2- Tahar Ahmed, La poésie populaire Algérienne: Rythme, mètre et Forme, Alger: SNED, 1975, p12.

وليدة اختراع من طرف فرد معين، وإنّما يتعلق الأمر بعادة كلامية طويلة الأمد وبطيئة التبلور»[1].

يرى عبد الله ركيبي أنّه من الصعب أن نحدّد «عصراً معينا لنشأة هذا الشّعر في الجزائر أو في غيرها من البلدان العربية، فبعض الباحثين يرجعون نشأة الشّعر العاميّ إلى عصور موغلة في القدم، إلى تلك اللّهجات العربية التّي ربّما ظهر بعضها في العصر الجاهليّ»[2].

هذه اللّهجة دخلت إلى الجزائر في فترة الفتوحات الإسلامية، وانتشرت أكثر بدخول الهلالين وبني سليم إلى الجزائر حاملين معهم عدّة لهجات، اختلطت بدورها باللّهجة الأمازيغيّة عن طريق المصاهرات بين العرب والأمازيغ، ممّا أدّى إلى اختلافها من منطقة إلى أخرى؛ فالجزائر لم تستقل على سياسة موحدّة بسبب التقسيم الفاصل في فترة سابقة، بما أنّ المنطقة الشرقية كانت تابعة للأغالبة والحفصيين. أمّا المنطقة الغربية فكانت تابعة للزيانيين، وفي فترة أخرى كانت المنطقة الشرقية تابعة للحماديين الصنهاجيين، والمنطقة الغربية كانت للمرابطين والمرينيين والأدارسة، وهذا من الأسباب الأساسية في عدم توحيد الجزائر سياسيّا وثقافيّا واجتماعيّا...

وخلاصة القول إنّ الشّعر الشّعبي المعروف في الجزائر دليل على تأثير الحضارة العربية والإسلامية؛ لأنّ مصدره الزّجل الأندلسي. أمّا تسميته بالشعر الملحون فقد يختلف في الدّلالة بين المفهوم في القرن السابع والشعر

1–Tahar Ahmed, IBID, p09.

2– عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 365.

الملحون في الوقت الحاليّ، باعتبار أنّ الأول يطلق على الشّعر المتداول في الحاضرة. أمّا الثاني فهو شعر بدويّ التداول، وبعيد عن المصطلحات التّي تطلق على الشّعر الشّعبيّ، يمكن تعريف الشّعر الشّعبيّ بأنّه «ذاكرة الشعب التي تختزن همومه وأشواقه، وهو الصّورة الحقيقية لواقعه المعيشيّ، يصاحبه في أفراحه، فيعبّر عن النّشوة العارمة التّي تهزّه، وهو يأخذ من حياته نصيبا من البهجة، ويواكبه في صراعاته اليومية، وهو يبذر ويحصد، ويصارع الصّخر في الجبال والعواصف والبحار»[1].

كما يمكننا التميّيز بين الشّعر الشّعبيّ والأشكال الأدبية الأخرى بالخصوصية المتمثلة في أنّه شعر شفويّ، مجهول المؤلف، أُلِّف للغناء والتّلحين، متناقل من جيل لآخر عن طريق الرّواية الشفوية.

وقد ميّز التلّي بن الشيخ الشّعر الشّعبي بخاصية اللّحن فهو يرى: «بأنّ ليس هناك خصوص وعموم بين أنواع الأدب الشّعبيّ، أضف إلى ذلك أنّها تخص النّطق بصورة خاصة»[2].

ويركز عبد الله ركيبي على نقطتين أساسيتين في تعريفه للشّعر الشّعبيّ، واللتّين يراهما مناسبة، «فقد توحي بأنّه مجهول المؤلف والشائع، وأنّ صفة

1 – محمود هني، الأدب الشعبي، مفهومه، مضمونه، دار الأدب العربي للطباعة، سنة 1972م.المقدمة نقلا عن شعيب مقنونيف، مباحث في العشر الملحون الجزائري(مقاربة منهجية) منشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص47.

2 – التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة (1830-1945م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص372.

الشّعبيّة وحدها في الأدب تتصرف إلى ما له عراقة وقدم، والحقيقة أنّ الاعتماد على صفة الشّعبيّة وحدها، وعلى معرفة المؤلف أو عدم معرفته لا تكفيان لنفيّ مصطلح الشعبيّ على هذا الشّعر، وتبقى هذه المصطلحات يتداولها الدّارسون بين الشّعبيّ والملحون»[1].

وبذلك يمكن الخلاص إلى أن الشّعر الشّعبي هو تصوير وتعبير عن وجدان الشّعب؛ لأنّه يعكس معاناته وآلامه وآماله وقضاياه المختلفة، ويستعمل لغة سقط عنها الإعراب والصرف والمعجم، وهذا ما تحدث عنه العربي دحو قائلا: «لو أنّ المسألة كانت خاصة بالنحو والصرف لأمكن نفي هذا الاسم عن هذا الشّعر، أو لأمكن لنا عدّ بعض الشّعراء المدرسيين في عداد الشعراء الشعبيين؛ لأنّ الأخطاء النحوية والصرفية لا تخص الشّعر وحده كما لا تخص الشّعراء الشّعبيّين وحدهم بل يشترك فيها المدرسيون والشعبيّون»[2]. ومن خلال هذا لا يمكن أن تفصل اللّغة بين مفهوم القصيدة الشّعبية والقصيدة الفصيحة؛ لأنّ الشّاعر الشّعبيّ لم يكن جاهلا للّغة العربية الفصيحة، ولم يكن جاهلا لقواعدها؛ بل كان حافظا للقرآن الكريم مثقفا دينيا ولغويا، أمثال الشيخ السماتي والعربي بلخير وابن قيطون... فاللّغة وسيلة أو أداة يستعملها المبدع الشعري للاتصال والتواصل بالقارئ، ينقل من خلالها المعانيّ والأفكار والأحاسيس إلى المخيّال الشّعبي.

---

1 – عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص363.

2 – العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1989، ص26.

وقد ميّز عبد الله ركيبي بين ثلاثة أنواع لغويّة في القصيدة الشّعبيّة وهي:

أ- اللّغة المتفاصحة التّي تقترب عن الفصحى.

ب- العاميّ الخالص: والمتداولة في الحديث العادي بين أفراد المنطقة.

ج- اللهجة البدوية والمعروفة عند شعراء البدو، وهي مزيج بين المتفاصحة والعامية[1].

وقد استعملت هذه اللّغة لأنّها الآلية الوحيدة التّي لها القدرة على نقل الأفكار ودلالاتها إلى المتلقي بالصّورة الرّمزيّة والإيحائيّة العميقة والبسيطة.

3 - المبحث الثالث: تعريف الشخصية

أ- لغة:

ورد تعريف الشخص في كتاب العين بأنّه «سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكلّ شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، وجمعه الشُّخوص والأشخاص... وقد شَخَصَ يَشْخُصُ شُخُوصًا وأَشْخَصْتُهُ أنا، وشَخَصَ الجرح: ورم. وشَخَصَ ببصره إلى السماء: ارتفع، وشَخَصَتِ الكلمة في الفم، إذا لم يقدر على خفض صوته بها، والشَّخِيصُ: العظيم الشَّخصِ»[2].

أمّا ابن منظور في لسانه فيعرّفه بقوله: «الشَّخْصُ: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكّرٌ، والجمع أشخاص وشُخُوصٌ وشِخَاصٌ...والشَّخص: كلُّ

1 – انظر: عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص539.

2 – أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ص 165.

جسم له ارتفاع وظهورن والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشَّخْصِ...وشَخُصَ الرجل، بالضَّم، فهو شخِيصٌ أي جسيم، وشَخَصَ بالفتح، شخوصًا: ارتفع، ابن سيدة: وشخص الشيء يشخص شخوصا انْتَــبَرَ.

والشُّخُوصُ: ضدُّ الهبوط، وشَخَصَ السهمُ يَشْخُصُ شُخُوصًا، فهو شاخِصٌ، علا الهدفَ»[1].

ب- **اصطلاحا:**

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الشّخصيّة لاختلاف مجال الدّراسة، وضمن المنظور الاجتماعيّ تُعرَّف الشخصيّة بأنّها «التصرفات أو السلوك الصادر عن الشخص، وأورد بعض هؤلاء أسبابا بيئية مكتسبة لهذه التصرفات كأسلوب التربية في الأسرة، ولم ترد أي استجابة تشير إلى احتمال وجود أساس وراثي للشخصية»[2].

ويمكن أن نحدد مفهوم الشخصية بأنّها: «الصفات التّي تميّز الإنسان عن غيره، من النّواحي النّفسيّة والعقليّة والعلميّة»[3].

وأغلب التعريفات من المنظور الاجتماعي تصبّ في تعريف "هول لندزي" الذّي حصرها في معنيين: «أولهما المهارة الاجتماعية والحذق،

---

1 – ابن منظور، لسان العرب، مادة (شخص)، ص46,45.

2 – د. أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط4، 1987، ص34.

3 – المرجع نفسه، ص35.

وثانيهما يرى أن شخصية الفرد تتمثل في أولى الانطباعات التّي يخلقها في الآخرين وأبرزها، كأن نقول: شخصية عدوانيّة أو شخصية مستكينة، وهكذا»[1].

أمّا من المنظور الفلسفيّ، فيرى الباحثون أنّ الشخصيّة موضوع معقّد، ويعود سبب هذا التّعقيد كون الشخصيّة تشمل جميع الصّفات الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية في حالة تفاعلها وتكاملها في شخص معيّن.

أمّا عند علماء النّفس فيمكن أن نذكر بعض التعريفات:

1- تعريف جوردون ألبورت Allport: «الشّخصيّة هي التنظيم الديناميكي داخل الفرد لتلك الأجهزة النّفسية الجسمية التّي تحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته»[2].

2- تعريف جيلفورد Guilford: «شخصية الفرد هي ذلك النموذج الفريد الذّي تكوّن منه سماته»[3].

3- تعريف ريموند كاتل Cattell: «الشّخصيّة هي ما يمكننا من التنبؤ بما سيفعله الشخصي عندما يوضع في موقف معين...إن الشخصية تختص بكل سلوك يصدر عن الفرد سواء أكان ظاهرا أم خفيا»[4].

---

1 – د. أحمد محمد عبد الخالق، المرجع السابق ، ص37.

2 – المرجع نفسه ، ص39.

3 – المرجع نفسه، ص40.

4 –المرجع نفسه، ص40.

4- تعريف أيزنك Eysenk: «الشّخصيّة هي ذلك التنظيم الثابت والدائم إلى حدّ ما، لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنيّة جسمه، والذّي يحدد توافقه الفريد لبيئته»[1].

قد تلتقي تعريفات الشخصية بين المفهوم الأنثروبولوجي ومفهوم علم النّفس فالتعريف الأنثروبولوجي للشّخصية يمثّله "يوسف مراد" بقوله: «الشّخصيّة هي الصّورة المنظمة المتكاملة لسلوك فرد ما، يشعر بتميّزه عن الغير، وليس مجرد مجموعة من الصّفات وإنّما تشمل في الآن نفسه ما يجمعهما، وهي الذّات الشاعرة وكلّ صفة مهما كانت ثانوية تعبّر إلى حدّ ما عن الشّخصية بكاملها...»[2].

فنقاط الالتقاء بين التعريفين الأنثروبولوجي وعلم النفس، يكون في أنّ الشّخصيّة هي سلوك الفرد، لكنّ الأنثروبولوجيين يربطون هذا السلوك ويجعلونه ذا علاقة وطيدة بالمجتمع، ويهتم كذلك بالأفعال الصادرة عن الشخصية، ويحصرون تكوّن ونموّ الشخصية، بالتّفاعل الموجود بين الأفراد فلن تكون هناك شخصية دون مجتمع.

يؤكِّد هذا التعريف أحمد نعمان بقوله: «هيّ ذلك الطابع العام المميّز، والثابت-نسبيا- المكون من مجموع الصفات الجسمية والنّفسية المتكاملة في

1 – د. أحمد محمد عبد الخالق، المرجع السابق ، ص40.

2 – د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 240، ص44.

انتظام، وديناميكية، والمتكيّفة مع البيئة الاجتماعية والطبيعية، التي يعيش فيها الفرد وتبادل التأثير معها»[1].

وكان الاهتمام بدراسة الشخصية في المجال الأنثروبولوجي على يد "إدوارد سابير" Edward Sabir في مقال نشره في مجلة علم النفس الاجتماعي سنة 1943م.

وعالج سليجمان SELIGMAN هذا الموضوع في إنجلترا، وذلك من خلال مقال نشره بمناسبة تعيينه رئيسا للمعهد الملكي الأنثروبولوجي، ويدور هذا المقال حول العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس. كما تناول ليفي ستراوس Levi Strauss هذا الموضوع في المقدِّمة التي صدر بها مقالات مارسيل موس mauss[2].

أمّا في المجال الأدبي والنقدي فتعرف "الشخصية" على أنّها الكائن الورقيّ الذي يبدعها الكاتب في أعماله الأدبية، فهي «التعبير عن قيمة حيّة عاقلة ناطقة، فكان المعنى إظهار شيء، وإخراجه وتمثيله وعكس قيمته...»[3].

والشخصية حسب مصطفى السيوفي «عالم معقد شديد التركيب، متباين الأنواع...تتعدد بتعدد الأهواء والمذاهب، والثقافات والحضارات والهواجس

1 – أحمد نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص165.

2 – د. أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، ص31.

3 – د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص85.

والطبائع البشرية والأفكار المذهبية. والحق أنّه ليس لتنوعها وتباينها واختلافها من حدود»[1].

فالشّخصيّة في الرّواية كائن ورقي حيّ يرسمه الرّوائي ويتفنن في إبداعه وإعطائه الدّور الأهمّ والمناسب. ولها في الرواية «منزلة عظمى في الحياة الاجتماعية والفكرية والجمالية معا؛ ذلك لأنّ الشخصية الرّوائية يحكم قدرتها على حمل الآخرين على تعرية طرف من أنفسهم كان مجهولا إلى ذلك الحين، فإنّها تكشف لكلّ واحد من النّاس مظهرا من كينونته»[2].

أمّا الشخصية في الشّعر فهي كائن روحيّ يسكن الذّات الشاعرة من خلال التأثير والتأثّر الحادث في الواقع المعاش، وهي في الشعر إمّا أدبية أو دينية أو تاريخية، يستدعيها الشّاعر في نصوصه حتّى «يجعل النّص ذا قيمة توثيقية، يكتسب بحضورها دليلا محكما، وبرهانا مفحما على كبرياء الأمّة...أو بمعنى آخر، يستلهم الشّاعر أوجه التشابه بين أحداث الماضي ووقائع العصر وظروفه، إن سلبا أو إيجابا، فهو في هذا كلّه يطلق العنان لخياله لكي يكشف عن صدى صوت الجماعة، وصدى نفسه في إطار الحقيقة

1 – أ. د. مصطفى السيوفي، تصوير الشخصيات في قصص محمد فريد أبو جديد، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2010–2011، ص59.

2 – المرجع نفسه، ص60.

التاريخية العامة الّتي يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخية الكبرى، الّتي تشكل حضورا بارزا في تاريخ الأمة دون الخوض في جزئيات صغيرة»[1].

فالشّخصيّة وسيلة تعكس وجهين في آن واحد؛ وجه الماضي وما يحمله من نظرة مستقبلية وإطلالة مشرقة، ووجه الحاضر المملوء بالنّواقض وسلبيات الحياة.

4- المبحث الرابع: الشّخصية والتاريخ

إنّ العلاقة بين الشّخصية والتاريخ هي علاقة تمتاز بالتّكامل والتّفاعل، فالتّاريخ يؤثّر في الشّخصيّة، كما تؤثّر الشّخصيّة في التّاريخ. فالدّور الذّي يقوم به التّاريخ هو الدّفع بالشّخصيّة إلى تنظيم نمط جديد من الحياة، فيرجع إلى الماضي ويستمدّ منه الركائز الأساسية للحياة الجديدة في ضوء الأسس القديمة من الحياة الماضية، وتعطيه الجرعة الرّوحية الّتي تقويه وتساعده على النّهوض والسعي إلى بناء حاضره، مستفيدا من تجارب وخبرات الماضي المؤلمة ولمريرة وحتّى المفرحة منها.

وقد نجد في هذه الخبرات والتّجارب شخصيات ووجوه مضيئة من شأنها أن تساعد الشّخصية المعاصرة في بناء الحاضر، وتكون مصدر قوّة دائمة وعامل من عوامل البناء والإنتاج والإبداع.

1 – نمرموسى، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مجلد 33، العدد 2، أكتوبر وديسمبر، 2004، ص117.

إنّ التصفح الدقيق لما حمله الماضي من قدرة الإنسان القديم على تكوين شخصيته، يجبر الباحث على دراسة آثاره ومخلفاته الفكرية والثّوابت النّفسية والتغيرات التّاريخية؛ لأنّ الشّخص كائن حيّ وفاعل يؤثّر ويتأثّر بالواقع، ويطمح دائما إلى صنع التّاريخ.

وبذلك تعتبر الشّخصية الابن والأب للتاريخ في آن واحد، لأنّنا نلمس ذلك التّفاعل والتأثير المتبادل بين الشّخصيّة والتّاريخ، فبارتفاع وسمو الشّخصيّة ترتفع نظرته التاريخية، «كما كان وعيه للماضي أصفى ومجابهته له أصدق وأعمق، اغتنى كيانه الإنسانيّ وغدا أقدر على الإنتاج والإبداع»[1].

أمّا الإنتاج الذّي يربط الشخص بماضيه ويميّزه عن الشّخص الآخر، فيتعلق بالعادات والتقاليد والأعراف التّي ورثها عن أجداده وتمسك بها، حتّى أصبحت جزءا ضروريّا في حياته، فهو سلوك اجتماعيّ اعتمدته الشّخصيّة القديمة في بناء المجتمع عن طريق التجربة والاختبار، وأقرّها التّاريخ وسجلها في صفحاته، ثمّ تناقلتها الأجيال، وحافظوا عليها كوسيلة لتعزيز الرّوابط وإبراز الخصائص التّي تميّزها عن باقي الشخصيّات البشرية الأخرى.

إنّ خصال الشخصية مكتسبة من سلوكات ماضية ألفها الإنسان القديم، ومارسها لتصبح تراثا شعبيّا متوارثا عبر الأجيال، لا يمكن الاستغناء أو التنازل عنّها؛ لأنّها راسخة في «أعماق نفوس الشّعب واختلطت بمشاعره،

1 – قسطنطين زريق، نحن والتاريخ (مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1974م، ص22,21.

وتسري في أشعاره وقصصه وأمثاله وأغانيه ورقصه وأزيائه... واقترنت بحياته اليومية فيتألف من هذا ما يسمّى بالفنون الشعبية وما يتصل بـــ"الفولكور"»[1].

وقد يصنع الإنسان شخصيته وفق متطلبات الحياة، كما يصنع تاريخه وتاريخ البشرية، فهو جزء من حلقات التاريخ المترابطة والمتصلة فيما بينها.

والملاحظ من هذا أنّ المكونات التّي يبنيها التّاريخ هي مأخوذة من صميم الشّخصيّة المتمثّلة في النّظم السيّاسيّة والأوضاع الاقتصادية والأعراف والتّقاليد والأحوال الاجتماعية التّي تتكامل فيما بينها ولا يمكن الاستغناء عنها.

5- المبحث الخامس: الشّخصيّة والثّقافة

إنّ للثقافة دورا أساسيّا في حياة الإنسان المتحضر، فهي من المميزات التّي تميّز شخصية عن أخرى، فدرجة ثقافة الشّخص وذكاؤه يظهر أثناء حديث الشخص، فالذكاء قوّة كامنة داخل الإنسان ينتفع به ويوظفه عند الحاجة إليه، والثّقافة هي حسن الاطلاع الواسع والشامل التّي تمكّن الإنسان من أن يكون له رأي وأثر في المجتمع الذّي يعيش فيه.

أمّا الشخصية فهي كلمة إغريقية النشأة، وتعني بالإنجليزية "القناع"، وهو اللّباس الذي «يلبسه الممثلون في المسرح الإغريقي في القرن الخامس قبل

---

1 – كريستين نصّار، الإنسان والتاريخ (أثر التاريخ وتأثره بسيكولوجية الفرد)، جروس برّس، لبنان، ط1، 1991م، ص56.

الميلاد في أعمال ايسخولوس أو في مسرحيات "الماسك" أو"الأقنعة" التي انتشرت في إنجلترا في القرن السابع عشر في أعمال بنجوسون»[1].

و يمكننا موافقة التعريف؛ لأنّه قد يكون الأقرب في التصوير الواقعي فقناع الفرد هو وجهه، وكل وجه يدلّ ويرمز على شخصية هذا الفرد أو ذاك. فيعبّر الوجه عن شخصية حامله، فعندما ترى «وجه إنسان تعرفه، فإنّك لا ترى ملامح وجهه فقط؛ بل ترى صورة لشخصيته، بكلّ ما تعرفه عن جوانب ذاته»[2].

كما يمكننا تحديد مفهوم الشخصية على أنّها مجموعة من الخصائص، تميّز شخصية عن أخرى، ويمكن تمثيلها في ثلاث خصائص:

أ- الخاصية الجسمية: لأنّ للجسم دورا هامّا كعنصر مكوّن للشخصية، فصحة الجسم وقوة البنيّة تمنح صاحبها الثّقة والإقدام.

ب- الخاصية الحسيّة: أو المشاعر كالعاطفة والانفعال والذكاء وقدراته التّي تؤثر مثل الشخصية؛ لأنّ الإنسان الذكي يحسن السيطرة على الآخرين والغبي يسيء في معاملته للنّاس.

وقد نجد خصائص أخرى تميّز الشخصية عن أخرى، وتجمع بين الخصائص السابقة المذكورة، والتّي نسميها الجانب الذاتي من الشخصية حيث تمتاز الشخصية بالعقل والعاطفة والإرادة...

1 – مجدي كامل، الشخصية القوية، طبع ونشر وتوزيع دار الأمين، القاهرة، ط1، 1997، ص7.

2 – المرجع نفسه، ص7.

ومن هنا يمكن أن نوجز القول بأنّ للشخصية جانبا ماديا ملموسا وظاهرا وجانبا معنويا خفيّا يتطلب الجهد لكشفه، ومنها الثابتة والمتغيرة، كلّها صفات تميّز الإنسان عن الآخر...

وأنّ للثّقافة علاقة بالشخصية يكون التبادل عنصرا أساسيّا، ويبرز دور التّأثر في سعي الإنسان الدائم نحو التطور في الحياة والبحث عن الأفضل في ظلّ النّظام الثقافيّ المتطور.

6- المبحث السادس: الشعر والشخصية

إنّ علاقة الشّعر بالشخصية هي علاقة وطيدة، لا يمكن الفصل بينهما؛ لأنّ الشعر جزءٌ من الشخصية التّي يتغنى بها، فيذكر مواقفها ويفتخر بإنجازاتها، فالشّاعر قد يواكب المقاومة ويعيش لحظاتها ويصور الظروف المحيطة بها سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية....

والمتصفح لمضمون القصيدة يجد نفسه أمام مجموعة من الصور التّي تعكس هموم الجماهير ومتاعبها وآلامها ومعاناتها، كما نجد الشّاعر يحثّ الشّخصية على الوقوف ضدّ العدوان، ومقاومة كلّ أشكال العنف والاضطهاد.

لقد كان للشّعر الشّعبي دور هام في توحيد الشخصيات وجمع كلمتهم ضد الاحتلال والنّهوض والتطور بالشعب، كما يبيّن ويوضح مصير الضعف في اختلاف الرأي وعدم التوحيد.

وللشّاعر دور في المحافظة على الثّقافة العربية، وذلك من خلال توعية الأفراد قصد محاربة كلّ أنواع السياسات الهدّامة التّي تسعى إلى إضعاف الشخصية؛ لأنّ الثّقافة بالنسبة للاستعمار السلاح الذي يشتت به كيان المجتمع ومقوماته، لذلك حارب اللّغة واستعمل كلّ الوسائل حتى يمنع التعليم، وهنا برزت الشخصية من خلال صمودها ضدّ كلّ أنواع الهدم الممارس من طرف الاستعمار.

وتظهر ملامح الثّقافة في الشخصية الجزائرية في المواضيع الحاسمة؛ كالدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والوطن. وكان حضور المبادئ الرّوحية واضحا في الحياة الاجتماعية؛ بوجود الزوايا، وسعيها للمحافظة على الثقافة الأدبية والدينية لهذا المجتمع.

7- المبحث السابع: الشعر والسياسة

عرفت الحياة السياسية في عهد الاستعمار استقرارا في مجال الفكر من خلال التشبث بمبدأ تحرير الوطن، وكان دور الشاعر هو ترسيخ فكرة المقاومة ونشرها بين أفراد المجتمع، فالنظرة السياسية وجدت منذ ظهور شخصية الأمير عبد القادر الذي زرع فكرة تأسيس الدولة، كما طوَّر الخطط الحربية وأعطاها دروسا تلقى وتطبق ميدانيا، وأعاد للجزائر هيبتها التي فقدتها في العهد العثماني.

ومما زاد المقاومة قوة، ارتباطها بالعامل الديني الذي ردده الشاعر الشعبي في معظم قصائده من خلال الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والوطن،

هذا العامل جعل الشعب يلتف حول الثورة ويمجدها ويوحد الصفوف ضد الاستعمار.

كما كان للارتباط بالثقافة العربية دور في توحيد الشعب، وربطه بوطنه وغرس الفكرة الوطنية، التي تجسدت بالاعتماد على العواطف الدينية كوسيلة لزرعها بين أفراد المجتمع الواحد، وجعلها هدفا يصبو إليه هذا الشعب قصد التحرر من قيود الاستعمار وسياسته الغاشمة.

8- المبحث الثامن: الثقافة والمجتمع

ومن خلال ما سبق نتوصل إلى وجود ارتباط بين الثقافة والمجتمع، فالمجتمع يختلف عن آخر باختلاف ثقافة كل مجتمع، والثقافة صفة تتصل بالإنسان وترتبط بحياته، فلا يمكن أن يوحد مجتمع دون ثقافة ولا وجود لثقافة دون مجتمع «فالثقافة هي كذلك الدم في جسم المجتمع يُغذي حضارته ويحمل أفكار" النخبة" كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدّة والأذواق المتناسبة، وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي»[1].

ويعرِّف حسين مؤنس الثقافة بأنّها: «مجموع المعلومات والمعارف والممارسات والقيم الخاصة بشعب ما، التّي يعيش بمقتضاها، وهي التّي تميزه

1 – مالك بن النبي، شروط النهضة، ترجمة كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ندور مالك ابن النبي، دار الفكر، دمشق، 1979، ص131.

عن غيره من الشعوب لأنّها تعبير صادق عن شخصية وملامح هذه الشخصية وطريقته الخاصة في الحياة»[1].

والثّقافة هي مجموعة من المفاهيم المكونة من العلم والفولكلور والأخلاق والأذواق والسلوكات اليومية، والتي ترتبط وتتمسك بها الشخصية في المجتمع المعيّن.

وينسب علماء الأنثروبولوجيا مصطلح الثّقافة إلى مظاهر الحياة الاجتماعية، فهي من اكتشاف الإنسان باعتباره شخصية اجتماعية مرتبطة بالعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع، وتتوارثها الأجيال، لتصبح بذلك جزءا مهما في الحياة الاجتماعية.

وقد يتأثر المجتمع في بناء الشخصية، حيث «تنشأ المجتمعات من بيئات جغرافية مختلفة تطبع أفرادها بطابعها، وكثيرا ما تساعد هذه البيئات على سيادة نوع خاص من الحكم، وعلى خلق طراز خاص من النظام الاجتماعي، ومن ثم يوجد الفرد في وسط له من العادات والتقاليد والنظم السياسية والاجتماعية، والقيم الروحية والمادية، ما يكون له أثر بعيد في ثقافته الاجتماعية، وما يعمل بالتالي على تكوين شخصية بلون خاص»[2].

---

1 – حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1987م، ص19.

2 – كامل محمد عويضة، علم نفس الشخصية، مراجعة أ.د.محمد رجب البيومي، عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص97.

ويمكننا أن نميّز بذلك بين عدة شخصيات من خلال المجتمع أو البيئة التي نعيش فيها؛ فسكان السهول تمتاز شخصية أفرادها بالليونة، أما سكان منطقة البحر الأبيض المتوسط فيعرف عنهم السلوك الانفعالي والمرح.

إنّ الإنسان بفطرته يميل إلى المجتمع، فيرتبط به ارتباطا تفاعليا وثيقا، يؤثر فيه ويتأثر به، ولا يمكن للفرد أن يعيش بمعزل عن المجتمع، أو أن يعيش بعيدا عن الأفراد؛ لأن «المجتمع متحرك دائما غير ثابت يؤثر ماضيه في حاضره، كما يؤثر هذا وذاك في مستقبله»[1].

ويمكن أن نختم القول في تحديد هذه المصطلحات إلى خلاصة مفادها وجود علاقة قوية بين جميع هذه المصطلحات، والتي يفرضها الموضوع المعالج، ويجعلها قائمة وثابتة بين التمثل والشخصية السياسية والثقافة والمجتمع، حيث تؤثر هذه المصطلحات وتتأثر بعضها ببعض، فيكون مجال البحث أشمل وأوسع في إطار البحث الميداني.

1 – كامل محمد عويضة، المرجع السابق ص170.

الفصل الأول:

تمثّلات الشّعر الشّعبيّ لشخصيّة الشّيخ بوعمامة

1-تمهيد

2-المبحث الأول: البّعد الثّقافيّ والرّوحيّ

3-المبحث الثاني: البّعد الاجتماعيّ

4-المبحث الثالث: البّعد السيّاسيّ

1-تمهيد:

اقتـــرن اســـم الشّيخ بوعمامـــة* بعدّة معارك، والتّي بقيت راسخة في الذّاكرة الشّعبية الجزائرية، لما كان لمواقفه وبسالته من أثر إيجابي في النُّفوس من حيث تقبّلها والتأثّر بها.

فالشّيخ بوعمامـــة هو ذلك الرّمز الصوفيّ البارز الذّي سكن في قلوب أفراد المجتمـــع الجـــزائري مـــن خـــلال وقوفـــه البـــاســـل ضـــدّ الاستعمار، ومحاولتـــه تخفيـــف الضّغط على الشعب الذي كان يعيش ضغطا نفسيا ومعنويا واجتماعيا....

أمّا الشّاعـــر الشّعبيّ فقد استطاع باستعماله اللّغة الدّالة إبراز العلاقة بينه وبين الشخصية ومدى تعلقه بها، فحاول التأثير في المـــتلقي باستعمال الكلمات الرّمزية المشيرة إلى سرّ العلاقة الخفيّة وترسيخها في الذّاكرة الشّعبية، والمتمثلة في الصورة الذّهنية المركّبة من تمثّل الشّخصية وأعمالها الميدانية، حيث يتحدث الشّاعر عنها باعتبارها شخصية تاريخية مبيّنا مواقفها وسيرتها لتكون قدوة يقتدى بها.

*- الشيخ بوعمامة هو أحد أحفاد الولي الصالح الشيخ عبد القادر محمد المعروف بسيدي الشيخ، وقد عرف الشيخ بوعمامة بأطول مقاومة الاستعمار الفرنسي، ولد سنة 1845م بأمغار، وهناك بعض المراجع ترد مكان ازدياده بمدينة فكيك المغربية، وبحكم معاهدة لالة مغنية أصبح من أولاد سيدي الشيخ الغرابة حيث نشأ وترعرع في هذه المنطقة، توفي الشيخ بو عمامة سنة 1908م، (نقلا عن العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة).

ويسير الشّاعر الشّعبي على درب شعراء الأدب المعرب في المدح، حيث تكون الشّخصية الممدوحة مثلا وقدوة للأجيــال، و«يعتبر عامل الاستعمار وما ارتكبه في حقّ المجتمع الجزائريّ سببا من بيــن الأسبــاب التّــي تجعل الفرد الجزائريّ يؤسس تصوراته وتمثُّلات لها علاقة بالشّخصية السيــاسية، ومدى التأثّر النَّفسي النّاتج عــن التّعلق بما قدمته هذه الشّخصية والدَّفع إلى مواصلة الصّراع من أجل التحرَر»[1].

ومن أهمّ المواضيع التّي عالجها الشّاعــر الشّعبي؛ الحالة الاجتماعــية والمعاناة التَي يعيشها الشعب، حيث يلــجأ إلى الذكــر والافتخــار بالأبطــال الجزائريين، يصورهم في قالب أسطوري مثير لكن الجوهر حقيقي مأخوذ من الواقع.

فكان البطل صورة لا تخشى النّار ولا الحديد ولا الخوف... وموضوع المقاومة بالنسبة للشّاعر هيّ المادة الخــام التّــي يصوِّر ويبدع من خلالها في تصوير شخصياته وأبطاله، فكان التصوير مناســبا لتلك الفترة التّي تحتاج إلى دعم معنويّ.

أمّا الأسلوب فكان ناجحا في مخاطبــة كلّ أفراد المجتمع سواء المتعلّم أو الأميّ، حيث استطاع إيصال الرّسالة الموجّهة إلى الشّعب، وأصبحت الشّخصية الرِّمزية للشَّيخ بوعمامة، والتّي بُعثت من أجل تحرير الجزائر

1- جمال حمودي، تمثّلات المجتمع الجزائري لمرض السرطان، المركز الاستشفائيّ الجامعيّ لتلمسان نموذجا، مقاربة أنثروبولوجية، مخطوط مذكرة ماجيستر في الأنثروبولوجيا، جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، سنة2007م، ص89.

عبارة عن صورة عجيبة، يذكرها الشّاعر الشّعبي للإشادة بمواقفها البطولية، وبيان الطريقة المثْلى التّي استطـــاع بهـــا التـــغلّب على الجيش الاستعماريّ، رغم قوته المادية والمعنوية.

فالشّيخ بوعمامة أصبح عملاقا في المخيال الشّعبي؛ لوقوفه كغيره من الأبطال في وجه الظّلم والاستبداد، فكانت مقاومته أطول مقاومة، استطـــاع فيها أن يقف ضد الاستعمار ويصمد في وجهه، بدون خوف ولا تردد.

فما يُذكر الشّيخ إلاّ وتعيد الذّاكرة الشّعبية صورة الرّجل وما قدمه فـــي سبيل الوطن وردعه لكل ظالم.

وكانت ثورة الشّيخ بوعمامة* آخر صفحة من صفحات الجهـــاد والفـــداء في القرن الماضي، تضاف إلى النّكبة الكبيرة التّي عاش الشّعب الجزائريّ مآسيها وآلامها، بعد أن ظلّ صامدا، ولم يلق السّلاح طوال نصف القـــرن من الثّورات والتّضحيات[1].

إنّ الصّورة التّي تمثّلها شخصية الشّيخ بوعمامة في الذّاكـــرة الشّعبية لا يجب أن تؤخذ على ظاهرها، كالاحتفال والإعجاب بها وبما قدمتـــه للشّـــعب،

*- والظاهر أن الشيخ بوعمامة هوسي سليمان الذي قاد الثورة مع عمه سي الأعلى وقد شاركا معا في الثّورة عام 1871م، وآخر أهم الثّورات الوطنية في القرن التّاسع عشرة، وهي ثورة أولاد سيد الشّيخ في جنوب الجزائر عام 1881م، والحق أن هذه الثورة قد بدأت عام 1864م، حين شرعت قوات الاحتلال في التسلل إلى صحراء.(نقلا عن العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة) .

1- د. التلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م-1945م)، سحب الطباعة الشّعبية للجيش، الجزائر،2007م، ص،234.

وإنّما هي رمز من الرّموز الثّورية الجــزائرية، كــانت تهدف إلى استرجاع السّيادة وتعبّر عن إحساس الشّعب وطموحاته.

أمّا المادة الشّعرية التّي تناولت بطولات ومواقف الشّيخ بوعمامة فــهي مادة غزيرة وكبيرة تختلف في الأغراض والمواضيع، حــيث حاولنــا جمــع معظمها لنجعل منها مادة تستحق البّحث والتّنقيب، فمن خلالها يمكن أن نكشف عن المواضيع التي يعالجها الشّعر الشّعبي.

فالشّاعر الشّعبي له غاية في ذكر الأبطال وتمجيدهم، و«من المؤكّد أنّ الغايّة التّي يرمي إليها الشّاعر الشّعبي في تمجيد البطل لا تهدف إلى تكريس عبادة الشّخصية، بل تهدف أساسا إلى إحقاق الحــقّ من جهــة وإلى التعبئة والتجنيد من جهة أخرى»[1].

فهذا يعني أن الشّاعر يحاول من خلال ذكر الشّخصيات الثّورية البارزة والتّي سميناها رموزا بطولية أن يهيّئ النّفس الشّعبية للوقوف ضدّ الاستعمار، كما يدعوهم إلى الوقوف وقفة رجل واحد ضدّ كل استبداد وظلم، وكأنّه يتساءل عن سبب دخــول هذا الدّخيل الأجنبي إلى وطننا، رغــم الاختلاف في العقيدة واللّغة. و«بذلك أصبح الشّعر الشّعبيّ يواكب الأحداث ويصور

1 – أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف المجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، (د. ت)، ص: 10.

المعاناة التيّ تلقاها الشّعب إبّان الاستعمار ولم تنته بشاعته»[1]، فلجأ الشّاعر إلى أسلوب التّحفيز والبحث عن الوسيلة لزرع وبعثّ روح المقاومة في نّفوس الطبقات الشّعبيّة، ليصبح الشّاعر وسيلة إعلامية، يصوّر الانتصارات ويحفّز الأهالي على الجهاد في سبيل الله والوطن، فهو «وسيلة تغذّي الحماس عند الجندي وتدفعه إلى القتال والاستماتة في الميدان»[2].

2- المبحث الأول: البّعد الرّوحيّ الثّقافيّ

يعدّ الجانب الدّينيّ أحد الأسس المعتمدة من طرف الشّعراء الشّعبيّين، في مجال النّظم، حيث نلمس التّراث الدّينيّ في جلّ المواضيع المعالجة والصّور الأدبية، كالحكاية والأسطورة وغيرهما.

فالشّاعــر أو الباحــث في مجــال الشّعر لا يستطيع بأيّ حال من الأحوال أن يصرف النظر عن الأصل الذّي هو الجانب الرّوحيّ في الشّخصية، والتّي تكون رمــزا من الرّموز التّي يلجأ إليها الشّاعر في إثارة موضوع من المواضيع.

1 – الطيب بن دحمان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، جمع ودراسة،أحمد كرومي نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر،2001م، ص129.

2 – العربي دحو، الشعر الشعبي، ودورة في الثورة التحريرية الكبرى لمنطقة الأوراس المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر الجزء الأول، سنة 1989، ص: 150

إنّ التّراث الرّوحي لأيّة أمـــة ينحصر في سمة التنظيم الجماعيّ، كما يعتبر الوعاء الذّي تنتج فيه القيم الاجتمـــاعية والمبـــادئ الخلقية التّي ينص عليها المجتمع، والذّي «يحوي جميـــع القواعـــد والقوانين والسّنن التّي تنظّم علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقتهم بمجتمعهم»[1].

كما نلمس ذلك الأثر الذّي غذّى الشّخصية الوطنية نتيجة احتكاكه الدّائم بالتّراث الرّوحيّ، حيث قادها إلى الوقوف والصّمود ضدّ الاستعمار.

إنّ محاولتنا إبراز صـــورة التمثّل في القصيدة الشّعبية الجزائرية يجعلنا نعتمد على الرّمز في إبراز الدّلالات؛ لأنّ الخطاب الرّمزي يدلّ على الوعيّ السّياسيّ أو الاجتماعيّ أو الدّيني؛ فهـــو يكشف عن الوعيّ الإنسانيّ من حيث نشأته التّي تنحصر بين التّنازع في البقاء والتّنازع ضدّ السلطة.

أمّا عن توظيف الشّخصـــية السّيـــاسية فـــي الشّعر الشّعبي فهو نموذج لتصوير المجتمع؛ فالشّاعر يختار الشّخصيات السّياسية التّي تمثّل روح العصر، والتّي لها مهمة تتمثّل في البحث عن الفوز وتحقيق الـــهدف، رغمّ الصعوبات والأخطار التيّ تحيط بها وتمنعها من تحقيق المنشود.

والشّخصية التّي اخترناها هي قمة هذا الظّرف، صاحبها هو الذّي قاوم أطول فترة في عهد الاستعمار، وهو الذّي وضع شجاعته ودهائه في طريق

---

1 – د. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط) (د،ت) ص:43.

المستعمر، فهو البطل المنقذ للبلد، هو الشّيخ بوعمامة الذّي ترأس مجموعة من المقاومـــين واستطاع الصّمود أكثر في وجه الاستعمار، يقول الشّاعر بن رامي مسعود* في قصيدته: "بوعمامة جيش العدو منوا مرعوش":

بُـــوعْمَامَـــة جِـــيشْ العْدُو مَـــنُوا مَرْعُوشْ

عَـــارْفِيـــنُوا بْطَلْ صَنْدِيدْ مَـــنْ الأَوْلِـــيَاءْ

وْعَنْدْ الشَـــدَهْ أَتْـــكونَلْـــُوعَسْكَرْ وجْيُـــوشْ

أَيْحَبُوا الاسْتِشْهَادْ ضَدْ الظُلْمْ وَالِلِي كَافْرِينْ[1]

يبدو من خـــلال البيتين مدى التّأثّر الذّي تركته هذه الشّخصية في نفوس الشّعب، فالشّاعر مثل أفراد المجتمع قد أثرت فيه شخصية الشّيخ بوعمامة، فوضعه في مرتبة سامية هي مرتبة "الأولياء".

*- بن رامي مسعود من مواليد 1959 بعين يوسف ولاية المدية، ثمّ انتقل إلى البليدة مع أهله، تأثر بالشّاعر " لخضر بن خلوف"، و" الشيخ سماتي". سبق له أن سجّل في الإذاعة بعض القصائد، نال بها الدرجة الثّانية، وله رصيد من القصائد في ديوان الوطني لحقوق التّأليف بعضها موجود في كتاب الكنز المغمور في الشّعر الملحون.

1- بن رامي مسعود، الكنز المغمور في الشّعر الملحون، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1999م، ص: 22.

ويراد من لفظه "الولي" في المعتقد الشّعبيّ، الوساطة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى، وقد ذكرت اللّفظة مرارا في القرآن الكريم كقوله تعالى: "**اللهُ وَلِيُّ الذِّينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالذِّينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُلُمَاتِ**"[1].

والمقصود بالوليّ هو ذلك الإنسان الطّاهر والتّقيّ، فكلّ إنسان يحمل هذه الصّفة فهو وليّ الله في الأرض. وأمّا الفرق بين الأولياء فيكون في قوة الإيمان والتّقوى، وعند الصّوفية هي درجة عالية من العبادة، وفي المخيّال الشّعبيّ تنسب لقبر صاحبه بعد موته، ليصبح القبر مكان يقصده النّاس للزيارة. وقد نجد عدّة مصطلحات توحي إلى الوليّ مثل: رجال البلاد والمرابطين والسادة...

فتقديس الشاعر للشّيخ بوعمامة بنسبته للأولياء دليل على الصّفة التّي يتميّز بها الشّيخ عن باقي أفراد مجتمعه، وهو يثّبت بذلك على أنّ الشّخصية المثال الكامل للرّجل الذي يُقتدى به. كما يرى فيه البركة التّي يلجأ إليها النّاس لصدّ الظّلم والاستعمار.

والاعتقاد بالأولياء ظاهرة انتشرت في الجزائر بانتشار التّسلط والقهر والظّلم ضدّ الشّعب، فلجأ إلى الزّوايا والأقطاب قصد طلب الأمان والاطمئنان، حيث نجد «سيطرة الطّرق الصّوفية " على الفّكر الإسلامي

1- سورة البقرة، الآية: 257.

والمجتمع المغاربي في القرن 19، فبلغ عدد الزّوايا في الجزائر 349 زاوية، وعدد الموردين أو الإخوان 295 ألف مريد»[1].

يرى الشّعب في الأولياء المحميّة التيّ تحميهم من الاضطهاد والتعسّف السلطويّ والاستعماريّ على الشّعب؛ «فالثّورة الجزائرية، لم تكن حربا من أجل الحرب، وإنّما من أجل الدّفاع عن المبادئ المقدّسة المتمثّلة في الدّين الإسلاميّ واللّغة العربية واستقلال الجزائر»[2].

ولمّا يستعمل الشّاعر لفظة "الولي" في القصيدة للدّلالة على الرّجل الصوفيّ، الذّي يمتاز بالطّهارة وقوة الإيمـــان بالله، والشّاعر يضع الشّخصية في مرتبة سامية؛ لأنّه وليّ الله في الأرض، بعثه الله لصدّ الظّلم والتنكيل بالظّالمين، وهو الذّي يتوسط بين الشّعب والله في تلبية دعواتهم.

وقد أشار الشّاعر في القصيدة نفسها إلى رفقاء الشّيخ حين يقول: "أَيْحَبُوا الاِسْتِشْهَادْ ضَدّْ الظُّلْمْ وَالكَافْرِينْ"، وهـــو الهدف نفسه الذّي يصبو إليه الشّيخ؛ أي أنّ الكلّ قد اتحد على كلمة واحدة، هي الوقوف ضدّ الكافر والظّالم، والتمسك بالدّين وزرع قوّة الإيمان، كلّ هذا تتمثّل في التسارع إلى الجهاد والتسابق للاستشهاد، وقد ترمز العبارة أيضا إلى أنّ قوة الشّيخ بوعمـــامة هي تمسكه بدينه والقيام بتعاليمه، فهو ابن الزّاوية الشّيخية التّي ألزمه أبوه بمقدمها الشّيخ محمد بن عبد الرحمـــان، الـــذّي علمه بعض آيات القرآن الكريم، والحديث الشّريف وطريقه الأوراد والأذكار والمبادئ العامة للتّصوف والزّهد

1– عمار الطالبي، كتاب أثار ابن باديس، المجلد الأول، ط1،1968م، ص: 18.

2– عبد الله خليفة ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1977م، ص: 51.

في الحياة، وهذا كلّه يؤهله لأن يكون قطبـــا من أقطـــاب الزّاوية، فهو يمتاز عن شباب المنطقة بالحكمة والورّع، وسداد الرأي ونفاذ البصيرة وحسن التّدبير...

و«الفّكر الشّعبيّ عموما يؤمن بالسّير المثالية للأبطال، بحيث يكون التّاريخ مكيّفا طبقا له، وذلك انعكاس للوجـــدان الجمـــعيّ، وتلكم هي سمة البطولة في الأدب الشّعبيّ التّي توارثها الأجيال على مرّ العصور»[1].

إنّ الشّعب هنا يتعلّق بالأبطال الذّين تركوا بصماتهم في الحياة من خلال مواقفهم وشجاعتهم، فالتّاريخ يكتب بين أســـطره سيَر وملاحم هذه الشّخصيات، فتعكس بذلك الشّخصية البارزة، صورة الشخصية العامة الموجودة في المجتمع، فيذكر الشّاعر الشّخصية على أنّها البطل الذّي لا يقهر، وذلك بجمع بطولاته التّاريخية، وتصويرها بأسلوب من المبالغة والتّعظّيم، فيضـــعه في المقام الذّي يكون دائما فائزا وقاهرا لأعداء مهما بلغت قوة هذا العدو.

وعندما نتبع العطاء الأدبيّ الشّعبي نجد عددا كبيرا من القصـــائد التّي توافق الصّورة التّي ذكرها الشّاعر الشّعبيّ بن رامي مسعود، مثْل ما جاء على لسان الشّاعر محمد بلخير* في قصيدته " أَنَا خْدِيمْ رَحْلْ البَيْضَا":

1- محمد زروال، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الو.طني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار بالروبية، الجزائر، 1994م، ص: 39

*- محمد بلخير بن قدور، والذي درجت تسميته على الألسنة العامة" محمد بلخير"، ولد سنة 1835م بمنطقة " تاغست" بالواد المالح دائرة بوعلام التّي تبعد بحوالي 70 كلم بين وهران وعين تيموشنت ولقب بشاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، كان كثير الاحتكاك بالمدّاحين في الأسواق كما احتك بالأطفال حفظه القرآن وكان يحفظ الشّعر مثّل اشعار المنداسي وبن مسايب وابن تريكي، والأخضر

يَا عَالمْ الخَفِيَةَ مَفْتَاحْ كُــلْ بَــابْ	**الشَيْخْ بُوعْمَامَــةْ لِي رَضِيه**
سَلاَكْ مَنْحْــصَلْ سَاعَة حَكْ الرْكَابْ	**وَالشَيَخْ وِينْ كَانْ المَغْبُونْ يْجِــيهْ**
عَيْطَة شْرُورْ سَلَكْنِي الأَسْقَم بُونْقَاب	**وِيــنْ مَايْدُورْ العَقْد يْوَالِيه**
هَذِي مْوَايَرْ النَاسْ اللِي هُمَا أَقْطَابْ	**وِيــن مَــا أَنْضَام خْدِيمَه يَدِيهْ**[1]

نلمس من خلال هذه الأبيات بعض التّعقيد من ناحية استعماله الصّور الشّعرية، ويعود ذلك إلى توظيف الرّمز من خلال بعض المفردات كالاستعمال "الأسقم بونــقاب" عــوض الشّيخ بوعمامــة، كــذلك" حَكْ الرْكَابْ" بدل الشّدّة والمواجهة والهجوم، والتّعبير "وِينْ مَا أَنْظَامْ" والــذي يقصد به الشــاعر أينما اتجه.

والشّاعر يستعمل المعاني الإيحائية الرّمزية، وذلك عن طريق «رسم الصّورة الشّعرية التّي تساعد على تفاعل الشّاعر مع طبائع الأشياء وبالتّالي يغوص وراء المعاني البعيدة[2]».

فتظهر الصّورة الشّعرية عبارة عن تركيبة معقّدة، لكن هدفها الوصول لما هو بعيد في المعنى فعبارة "الأسقم بونقاب" توحي لشيء أكثر عمقا من

بن خلوف تأثر بأولاد سيدي الشّيخ وقاوم الاستعمار تحت لوائهم، وشارك في عدة معارك... (أنظر أ- العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة صدر بدعم وزارة الثقافة، دار الشروق للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2008م، ص: 8،9،10.

1- المرجع نفسه، ص137.

2- عبد الله التطاوي، الصّورة الفنّية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2002م، ص: 47.

استعمال اسم الشّيخ بوعمامة، والشّيء نفسه بالنّسبة لعبارة "حَكْ الرْكَابْ" التّي هي أقوى من ناحية المعنى بالنسبة لمصطلحات الشّدة والمواجهة، والهجوم.

أمّــا الأبيات في حــدّ ذاتها، فهي مجموعة من الصّور الشّعرية يراد من خلالها إثارة الموضوع، ودلالة هذه الصور تتطلب التّمعن أكثر في الإيحاءات، فالشّاعر يبــدأ القصيــدة بمناجاة الله من أجل أن يرضى عليه الشّيخ بوعمامة، فتظهر هنا صورة معقدة، فهل يجوز أن ندعو الخّالق لنفوز برضى المخلوق؟

أمّا الشّيخ بوعمامة بالنّسبة للشّعب فهو ذلك الرّجل المتصوّف الذّي وهب نفسه في سبيل الله والوطن، حتى أصبح رمزا في المخيّال الشّعبيّ، فهو رمز العفاف والنّقاء، وهو الرّجل المنقذ من كلّ الشّرور وأين تستغيث به تجده. فــيظهر هنا التّأثر الدّينيّ من خلال استعمال الصّور الإيحائية التّي تجعل ذلك الارتبــاط الواقع بين الفرد والدّين والمجتمع ومدى التّمسك الموجود بين الفرد والمجتمع والدّين، فهي متواليات يجب أن توجد في المجتمع الجزائري وتعتبر من بين الموروثات الاجتماعية.

فما صــورة المنــاجاة هذه إلاّ إيحاء للقيمة الدّينية التّي أصبحت تميّز الشّيخ بوعمامة، وهو دليل على قيمة المخلوق الذّي هو في نظر الشّعب خليفة الله فــي الأرض، فهو وليّهم وقائدهم وإمامهم الذّي ينير لهم الطّريق، وهذا ما تدلّ عليه عبارة "أقطاب"، وهي تطلق غالبا على الأولياء الصّالحين، فالشّاعر يمثّل الشّيخ بوعمامة على أنّه الوليّ الذي يحضر كلّما استغاث به الفرد.

فكلمة " الأقطاب" من الرّموز التّي اختارها الشّاعر الشّعبي ليعبّر بها عن التأثّر الدّينيّ الواقـــع بين الشّخصية والشّعب، فالعلاقة قبل أن تكون سياســـية كان الأصل فيها روحيّ، وعـــلاقة الشّعب بالشّخصية نشأت بما تمتـــاز بـــه الشّخصيّة من صّفات دينيّة وعقائديّة.

وفي استعمال الشاعر لـــ"القطب" عوض "الولي" إيحاءٌ منه بعمق التّأثر لأنّ عبارة " الأقطاب" أكثر تأثيرا على النّفس من عبارة " الأولياء".

والصّورة هنا التّي شكّلـــها الشّـــاعر تشكّل تصويرا نفسيّا قبل أن يشكّلها تشكيلا فنيّا، ففكر الشّاعر مرتبط بالشّخصيـــة التّـــي كـــوَّنـــت له نتاجا شعريّا.

إنّ الشّيخ بوعمامة يمثّل الشّخصية النّادرة التّي شكّلت معايير عصرها وعقائدها، فهو شخصية دينية عرفت بكراماتها في كلّ مكان، فالشّاعر حين ذكر الشّيخ بوعمامة اعتمد على الرّمز والإشارة والتّلميح؛ لأنّه ينقل تلك الأحاسيس الذّاتية للفرد الشّعبيّ، كما يصف المشاهد الرّوحية التّي لا تتصل بالواقع الماديّ، حيث يستخدم الألفاظ الحسّية التّي تتميّز بالظّاهر والباطن؛ فالظّاهر كلّ ما تعلق بالـــحسّ والعاطفة، أمّا الباطن فهو ذلك الإحساس الرّوحيّ الإلهي؛ لأنّها رموز هدفها التّعبير عن أشياء أخرى.

فـــالشّيخ بوعمـــامة أحـــد الأقطـــاب المتصوّفة الذّي اتصلت بمواقفه تلك السلوكيّات الدّينية الرّوحية التّي تدلّ على حبه الإلهيّ، والشّاعر محمد بلخير من بين الشّعراء الشّعبيّين الذّين تأثّروا بمواقفه حين يقول:

نَغْدُوا للشِيـــخْ بُوعْمَامَــــة غَوَّارْا   مُولَى القَبَابْ السَبْعَهْ رَانِي عْلِيهْ شَايَقْ[1]

فاستعمال محمد بلخير لعبارة "القباب السبعة" يمثل رمزا للذّات المقدّسة ليصور لنا تعلقه بالشّيخ بوعمامة، حيث يستحضر القـــارئ أو المتلـــقي صورة " الوليّ" صاحب الزّاوية التّي تحمل بدورها دلالات روحـــيّة بالوظيفة التّي تقوم بها في المجتمع الجزائريّ، من التعليم الدّينيّ واللّغويّ، فالقبة أحد الرّموز التّي توحي إلى الزّاوية، فهو بذلك يجعل الشّيخ صاحب الزّاوية التّي يلـــجأ إليها الشّعب، تمسكا وتعلقا بمبادئهم الدّينيّة والعقائديّة.

فمن هنا نقول إنّ الشّاعر قد نجح في نقل المعـــاني الحسّية التيّ لها علاقة بالأمور الدّينيّة، من التصّوير الفنيّ العـــادي إلى التصـــوير الرّوحي، بحيث توضحت المعانيّ الرّوحية؛ لأنّ اشتياق الشّاعر للشّيخ يظهر من خلال عبارة "نغدو"؛ أيّ نذهب، لأنّه قرّر زيارة قبة الشّيخ بوعمامة ليوضّح للقارئ مدى التّعلق القائم بينه وبين الشّيخ، فحبه للشّيخ وتعلّقه به هو رمز للحضرة الإلهية، والقرب من الشّيخ هو القرب من الله تعالى، وما "القباب السبعة" إلا رمز يعكس لنا شوق الشّاعر وتعلقه بالله وحده.

وما يقوي هذه الصّور التّي مثّلها الشّاعر في قصيدته ويبيّنها قوله أيضا في قصيدة بعنوان: "يَا الفَارَسْ حَشَمْتَكْ":

بُوعْمَامَة دُرِيَةْ حْبِيبْ الأَنْصَــارْ   بُـــوهْ بِينْ اكْتَافْ النْبِي المَعْصُومْ

1- أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص 147.

بُوعْمَامَة يَعْطِي تَسْبِيحْ الأَذْكَــارْ بُوعْمَامَــة سَرَهْ فِي النَّاسْ مَعْلُومْ

ظَاهْرَة وبَاطَنْ يَعْرَفْهَا بِالأَشْفَــار أَعْطَاه رَبِي مَنْ كُونْ العَالمْ عْلُومْ

بُوعْمَامَــة بَايْالصَحْرَا والأَ ظْهَارْ وَالرْضَى مَنْ عَنْدْ المُولَى القَيُومْ[1]

يربط "محمد بلخير" في قصيدة هذه الشّخصية الحربية بالمقوّمات الإسلامية، حيث نجد بصماته الجهادية تضفي عليها صفة التّقديس الدّينيّ حين يمثّل الشّيخ بوعمامــة بذلــك الإنسان المقدّس الــذّي بعثه الله ليقود الأمة الإسلامية ضدّ الاستعمار الكافر، هذا الرّجل الذّي بثّ في قلوب أنصاره القوّة وحبّ الانتصار والتّمسك بالعقيدة والجهــاد في سبيل الله، وفي المقابل بثّ الرّعب والخوّف في قلوب المستعمر أعداء الدّين والوطن.

إنّ قوّة الإيمان بالله والتّمسك بتعاليم الإسلام تجعل المرء صلبا وصامدا، هذه الصلابة تقابل درجة الخوف التّي تزرعها في العدو، إلى درجة موتهم هلعا ورعبا، ودليل ذلك أنّ المستعمر يخاف الموت؛ لأنّه ليس على حقّ، وغير متيقّن بما يقوم به.

إنّ مفهوم الثّورة عند الشّاعر محمد بلخير نــابع من العقيدة الإسلامية، فهو يرى أنّ المستعمر قبل أن يتوجه إلى الجزائر كبلد، فهو موجه للإسلام كدين وهوية، «لذلك فإنّ الدّفاع عن الجزائر، والحفاظ على استقلالها، يعني

1– المــرجع السابق ص: 151.

الدّفاع عن الإسلام. وانطلاقا من هذا التّصور كان وجود الأتراك في الجزائر كمسلمين تعزيز للإسلام»[1].

ومن خلال هذا نرى أنّ الشّاعر محمد بلخير يجسّد المعاني الإسلاميّة في قصائده؛ لأنّ الشّاعر الشّعبيّ يرى أنّ الغزو في حدّ ذاته هو «غزو للإسلام بالدّرجة الأولى، ذلك أنّ الإسلام في مفهوم الطبقات الشّعبيّة هو المقيّاس الذّي يحدد هويّة الإنسان الجزائريّ، وليس مجرد انتماء إلـــى الوطن، ومن هنا كان الجهاد في سبيل الله والدّفاع عن الإسلام، هو الهدف الأسمى من النّضـــال، وتعبير آخر كانت الفكرة الوطنيّة مزيجا من العقيدة الدّينية والرّوح الوطنية»[2].

وقد مثّل الشّاعر الشّعبيّ محمد بلخير في قصيـــدته الشّيخ بوعمامة بعدّة صور توحي بالتّمسك العقائديّ، والانتماء الدّينيّ لكلّ مـــن الشّاعر والشّخصية، فارتباط الشّاعر بالشّخصية وتوظيفها في ثنايا القصيـــدة دلالـــة على ارتبـــاطه بالمقوّمات الدّينية التّي ترمز إليها مواقف الشّخصية، فتمثّلات الشّاعر للشّخصية متعددة في القصيدة، وأبرزها أنّها من سلالة الرّسول "صلى الله عليه وسلم"، وأنّهـــا من ذريته. ودلالة الشّاعر توضحها وحدات القصيدة المتمثّلة في مدح الرّسول "صلى الله عليه وسلم" والتّوســـل بشخصيته الطّاهرة

1- التّلي بن الشّيخ، دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د. ط)،1983م، ص:85.

2- التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ الجزائريّ في الثّورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983م، ص: 98.

والتّبرك باسمه، وإشباع القصيدة بأجواء دينيّة تساعد عـلى رفـع المعنويّات والتّأثير تأثيرا إيجابيا في نفوس الشّعب.

ويستعمل الشّاعر في تمثّلاته حول الشّخصية، إشارات رمزية توحي بأن الشّيخ بوعمامة شخصية دينية تربَّت على العقيدة وشبّت في أحضانها، وهذا ما انعكس على سلوكها وأعمالها الجهادية والسّياسية.

كما يبيّن الشّاعر تأثير الأب على ابنه، حيث يربـط تربيته بتأثير الأمور الدّينية التّي اكتسبها الأب عن طريق الزّاويـة حيـن قال " بُوهْ بِينْ أَكْتَافْ النبِي الْمَعْصُومْ"، حيث نجد الشّاعر يسعى إلى إبراز علاقة بين الأب والرّسول "صلى الله عليه وسلم"، وهذه العلاقة تدلّ على الصّفاء والنّقاء، فذَكر الأب بعد الابن باعتبار أنّ الأب رمز المنطلق والعقلانية، ودليل التّجربة الدّينية، وارتباط الأب بالرّسول "صلى الله عليه وسلم" يرمز إلى الارتباط الدّينيّ الرّوحيّ، وهذا ما يمثّله الشّاعر بوجود الأب بيّن أكتاف الرّسول "صلى الله عليـه وسلـم"، ودلالـة على رضا الرّسول على شخصية الأب. أمّا ارتباط الأب بالابن فهو ارتباط روحيّ يدلّ على انعكاس صفات الأب المكتسبة على الابن.

فانتقال صفة النّقـاء والطّهارة والصّفاء إلى الابن الذّي تأثّر بتربية أبيه الدّينيّة، تظهر فيها بصمـات الأب من خلال التّأثير الرّوحيّ الذّي انعكس على سلوك الشّيخ بوعمامة، وأصبحـت تمثّل المبادئ العامّة للشّخصية، التّي ترمز إلى الأصل الذّي ينتمي إليه ونوع التّربية التّي تلقاها.

أمّا عبارة " بُوعْمَامَة يَعْطِي تَسْبِيحَ الأَذْكَارْ"، فلها دلالات عميقة توحي إلى الامتزاج القائم بين عاطفة الشّخصيّة الدّينيّة، والشّخصـيّة الثّورية، رغم شدّة المعـارك، إلاّ أنّ الشّـخصيّـة تمسكـت بمبادئ الإسلام ومقوماته كالتّسبيح والصّلاة... فصوّر الشّاعر الشّيخ بوعمامة بصورة الإنسان المتمسّك بدينه، ولا يهمل واجباته اتجاه الخالق، فهو دائم التّسبيح والصّلاة والذّكر، لم تلهه أمور الحرب عن واجباته الدّينيّة؛ بل على العكس زادته قوّة وإيمانا؛ لأنّه يعلم مصيره الذّي وعده الله به، لذلك نجده يضحِّي بنفسه في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى.

اعتمد الشّاعر على الرّمز أيضا في الوحدة الموضوعية "ظَاهْرَه وَبَاطَنْ يَعْرَفْهَا بَالأَشْفَارْ"؛ لأنّه يعرف أنّ «الرّمز يقوم بدور أكثر ثراء وقوّة في تجسيد مقاصد الذّات المعبّرة، وفي توسيع الفضاءات المعبّرة عنها، وهذا مرده إلى قوّة الرّمز الذّاتية على الإيحاء المتناميّ والتّصور المحدّد»[1]. وهذا يعنـي أنّ الشّاعر مـن خلال الوحدة الموضوعية يمثّل الشّيخ بوعمامة بالعالم الـذّي يعرف باطـن الأشياء، ويفسّر ذلك قول الشّاعر: " اَعْطَاهْ رَبِي مِنْ كُونْ العَالَمَ عْلُومْ"، للدّلالـة عـلى العلوّ والسّمو الذّي يميّز شخصية الشّيخ بـوعمامة في المخيال الشّعري الشّعبي، ويكون الشّاعر من خلال التّعبير الشّعري، قد أخرج الشّخصية السّياسية لبوعمامة من التّاريخ وألبسها ثوبا مبالغا فيه، حين يجعل الشّخصية في مقام لا يمكن أن تساويه شخصية أخرى؛

1- نباجي ملاح، أليات الخطاب النقدي في مقاربة القصة الجزائرية- دراسة في قراءة القراءة -، دار الغرب والنّشر، الجزائر، (د.ط)، 2002م، ص: 88.

لأنّه يجمع بين الدّين من جهة والعلّم من جهة أخرى، وبذلك يدخل الشّخصية إلى عالم الخوارق، ويجعل منها أسطورة في المخيال الشّعبيّ.

أمّـــا البيت الأخير ففيه تصوير يطابق التّصوير السابق، فالشّاعر يمـــثّل الشّخصية بصورة رضا الخالق عليها، وهو دليل على أنّ الشّيخ بوعمامة رجل صالح بعثه الله ليرفع الغبن عن شعبه، أمّا الشّـــاعر فيجعل منه وسيلة لرفّـــع المعنويّات، كما يهدف إلـــى دعوة الشّعب على إتباعه، فهو أهل للثّقة. وبـــهذا البناء يسعى إلـــى جعل من شخصية بوعمامة أسطـــورة في المخيّال الشّعبـــيّ الجّزائريّ، بحيث يمكن القول «بأن البنّية الشعرية للرّمز أو البنّية الرّمزية لشّعر ليست بمعزل عن الأساطير والمجـــاز والّتصويـــر الاستعـــاريّ والعـــلامات الأستطيقية والوعيّ التّخيليّ والتّأمليّ بشكل عامّ»[1].

وبهـــذا البناء الرّمزي في استحضار الشّخصية الرّمزية للشّيخ بوعمامة، يحاول الشّاعر تكثيـــف دلالـــة التّجربة الدّينيّة والثّورية، فيستدعي الرّمز الذّي يكسب أبعادا دلالية، ويوظّفه في ثنايا القصيدة لدّلالة على صحة القول والموقف المتخذ ضـــدّ الاستعمار كما يستحضر الشّاعر الشّيخ بوعمامة كرمز من رموز التّصوف ويـــدعّم به وظيفة التكثّيف التّي تتأتى من خلال التّكرار، تكرار اسم بوعمامة في أبيات القصيدة، باعتبار الاسم في حدّ ذاته رمزا يوحي إلى الصّلابة والقوّة، وبهذا يؤدي الشّاعر من خلال هذا الاستحضار إلى غرس دلاليّ يتوافق مع سياق التّجربة، ويتوصل من خلال هذه الدّلالات إلى الهدفّ

1- د. عاطف جودة نصر، الرّمز الشّعري عند الصّوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1978م، ص: 110.

المراد بلوغه فيكون الرّمز وسيلة لذلك، كما يرى أنّ الشّيخ بوعمامة هو أهمّ شخصية تاريخية تصلح لتجسيد هـذا الـرّمز؛ لأنّ استحضار الشّخصية في القصيدة يتّكئ على الصّورة الذّهنية الموجودة في المخيال الشّعبيّ.

و الهدف الذّي يسعـى إليه الشّاعـر من خلال ذكر الرّموز الدّينية حين يستعمل العبارات الدّالة عليها، كاستعماله لفظة "الأولياء" و"الأقطاب" والتّحدث عن الصّلة الرّوحية بين الشّيخ بوعمامة والرّسول "صلى الله عليه وسلم"، هدفها إرضاء الشّعور الدّينيّ للمتلقي، وتكريس هذا الشّعور في ذاته، كما يهـدف من خلال توظيف الشّخصية الرّمزية في قصائده إلى تأويل صورة الواقع المعاش؛ لأنّ الشّاعر كغيره من الشّعراء، لا يستعمـل الأسلوب المباشر في عكس الواقع والإشارة إلى الأهداف المرجوّة؛ بل يستعمل الأسلوب الرّمزي الذّي يتطلّب من المتلقيّ أن يكون فـاعلا في النّص، فهو الـذّي يعطي القيمة والأهميّة للـنّص الشّعري.

وبالعودة إلى الأبيات السابقة نلاحظ تكرار الشّاعر لاسم الشّيخ بوعمامة عدّة مرات، وهدفه من هذا التكرار إعطاء الأبيات إيقاعا ونغما موسيقيا، يجلب نظرة المتلقي للأمر الهامّ المعالج في القصيدة، كما يركّز على إيصال المعلومة للمتلقّي وترّسيخها في ذهنه. فالتّكرار كـما يرى مصطفى السـعدني «نوعـان بسيط ومركب ويأتي متقاربا أفقيا أو عموديا، والعمودي أكثر تواتر

من التّكرار الذّي يرد أفقيا، أمّا التّكرار المركّب كثيرا ما يأتي في شكل عمودي مركب»[1].

وينظر المحدثـــون إلى التّكرار بأنّه: «وسيلة من الوسائل السّحرية التّي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة»[2].

أمّا "علي بولنوار" فيرى في فائدة التّكرار أنّه «فضلا عن الدّلالة النّفسية للتكرار فإنّه يحمل أيضـــا دلالات فنيّـــة تتمثّـــل في تحقيق النّغمة والخفّة في الأسلوب، ممّا يضفي على النّص قدرا أكبر من التّأثير على المتلقّي»[13].

فتكرار لفظة "بوعمامة" دليل على الضّغط الذّي تمارسه الشّخصية على الشّاعر، فهي تشكل اهتمامه، لذلك يلجـــأ للتّكـــرار حتّى ينفّس عن نفسه من الضّغط الذّي يعانيه من جهة ولفت انتباه القارئ من جهة أخرى.

كذلك يوحي التّكرار الطويل في القصيدة الواحدة إلى شدّة طول الزمان الذّي عاشه الشّاعر مع الشّخصية، وقوّة التّمسك والتّأثر بها، وهذا التّكرار قد أتى من دوافع إبداعية ونفسية تكونت وتشكلت والذّات المبدعة.

1- مصطفى السعدني، البنيّات الأسلوبية في لغة الشّعر العربيّ الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)،ص: 31.

2- المـــرجع نفسه، ص: 30.

3- علي بـــولنوار، الشّعر الشعبي في منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص: 92.

ويمكن الإشارة إلى أن وجود التّكرار بكثرة على حسب النّقاد، «يكثر في المآسي على حدّ ما نعرف مما قيل في باب الرّثاء»[1]

ومن هنا صحّ لنا القول عن التّكرار؛ «إنّه طاقة الإبداع في النّص التّي تفتح مداه عوالم لا نهائية من الدّلالات والإيحاءات التّي تلقي ضلالها الكثّيفة»[2].

و قد حذا الشّاعر أحمد كرومي حذو أصحابه بالمبالغة في تعظيم وتمجيد الشّخصية وذلك حين يقول:

بَرَكَــةْ رَبِــي وبُــوعْمَامَة

لا تُــكْتَبْ لْــهَا سَــلاَمَــةْ

عْلِيــهَا تَــامْــدَة طِـيــحْ[3]

فهو بهذا يبالغ كثيرا في هذا التمثّل، حتّى يكاد أن يصل إلى درجة الكفر؛ لأنّه لا يمكن أن تكون درجة البركة متساوية بين الله والعبد مهمـا كانت قوّة إيمانه وتمسكه بدينه.

كل هذا يدلّ على الدّرجة الرّوحية التّي بلغها الشيخ بوعمامة في النّفوس وقوّة تأثيره على أفراد الشّعب؛ لأنّ انتماءه للزاوية الشّيـخية جعله محلّ ثقة

1- عبده بدوي، دراسات في النص الشعري الحديث، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ت)، ص:45.

2- علي بولونوار، الشّعر الشّعبيّ في منطقة بوسعادة، ص: 93.

3 - الطيب بن دحمان، القصيدة الشّعبية عند شعراء قير العبادلة- جمع ودراسة - أحمد كرومي نموذجا-، ص: 268.

بالنّسبة للشّعب الجزائريّ في هذه المنطقة، وفي بعض المناطق المجاورة؛ لأنّه كما نعرف أنّ زاوية سيدي الشّيخ عريقة كان مؤسسها الأول "عبد القادر بن محمد"* «الذّي تحفظ لنا الذّاكرة أنّه من سلالة أبي بكر الصدّيق»[1]. ولذلك نلمس ذلك التّعلق الوطيد بين الزّاوية وأصحابها والشّعب الجزائريّ المسلم عامة.

و أصبحت للزّاوية وأصحابها هيبة، وهو ما دفع الأحفاد والأبناء إلى المحافظة عليها وإعطائها الصّورة الحقيقية التّي أراد صاحبها أن تكون حتّى يصبح السّلف خير خلف.

فمن هنا نجد ذلك التّقديس للوليّ الصّالح، «بحيث لم يعد مجال للشّك في أنّ تقديس الوليّ الصّالح المسلم يغطي ضروبا عتيقة من التّقديس بقي البربر أوفياء لها»[2].

هذا التّقديس نلمسه عند الشّاعر محمد بلخير، فهو يبيّن صدقه وولاءه للشّيخ بوعمامة، وهو في الوقت نفسه خدمة لسلالة سيدي الشّيخ الوليّ الصّالح، وفي هذه الحالة يكون قد فاز برضى شيخه، يقول في هذه النقطة:

---

*- سيدي الشّيخ، اسمه الحقيقيّ عبد القادر محمد بن سليمان بن بوسماحة، ولد حوالي سنة 940ه/ 1533م، توفي في 1025ه/1616م عن عمر يناهز 85 سنة.

1- أ.العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 34.

2- شارل أندري جوليا، تاريخ أفريقيا الشّمالية، تعريب محمد مزالي البّشير بن سلامة، الجزء 2، دار النّشر والتّونسية للنشر، تونس، 1983م، ص: 390.

مَنْ وَحْشِ المَحْبُوب مَا نَرْقُدْش اللِيلْ

نَتْغَثْ بَشْنَاهدِيمَا وَاشْ يَرْضِى بُوْعْمَامَةَ

عَاشَقْ في شِيخِي مُولَى الحُبْ هْبِيلْ

لُـــــولاَدْ ونَـــعْـطِـــي الـــخَـدْمَـــــة[1]

فالشّاعر يقدّس الشّخصية إلى درجة لا يمكنه التفكير في عصيانه، فهو يبعث له بالسّلام؛ لأنّه يعرف قيمته في النّفوس الشّعبية، دون أن ينسى أحفـــاده في ذلك.

هو هنا يحترم الشّيخ باستعماله المعانيّ الرّمزية التّي تدلّ عن أصالته، هذه الرّمـــوز يعبّر بها الشّـــاعر عن أحاسيسه التّي يرغب في الإفصاح عنها، فهي أحاسيس صادقة، نابعة مـــن شخصية عـــاشت عصر الشّيخ، وتكّـــن له الحبّ والتقدير والوفاء والاحترام، فكيف لا يحترم الشّيخ وهو صاحب العلـــم والجاه. واحترام القائد هو من شِيَم الرّجل المسلم، واحتـــرام من يتفوق عليك في العلم هي ثقافة مغروسة في الفّكر الشّعبي، والطّاعة هي صـــفة تـــوجد عند المقاتـــل الشّهم والشّجاع...

إنّ الصّفات التّي يرمز بها الشّاعر الشّعبي في أشعاره هي صفات متأصلة في الشّخصية منذ القدم، وهي من الصّفات التّي ما يزال الفرد الجزائريّ يحـــافظ عليها ويفتخر بها ويقدّسها.

1- أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة،ص:28.

يرى الشّاعر محمد بلخير أنّ الولاء للشّيخ صاحب الزّاوية الشّيخية يكون عن طريق خدمة أبنائه، فالشّيخ بوعمامة هو أحد أحفاده، وبهذا يكــون السّبيــل الذّي يحقق جانبا من السّعادة الرّوحية؛ لأنه يرى أنّ الفوز برضى الوليّ وخدم الزّاوية هو إرضاء لأولاده وأحفاده، فهــو ينظر إلى الزّاوية على أنّها ذات هيبة كبيرة، فهي القبلة التّي يقصدها الكبير والصــغير، ويسخّرون أنفسهم لخدمتها، ويبحثون على إرضاء وتقديم الطّاعة والــولاء لشيوخها، «حتّى أصبــحت قبلة للزّوار تقام لها الولائم وتقدم لها الهدايا»[1].

إنّ الخوف من عدم إرضاء المشّايخ قد رسّخ الاعتقاد في الفّكر الشّعبيّ، لأنّهم يعتقدون أنّ دعوة المشايخ مقبولة عند الله تعــالى، واللّجوء إليهــم لطلب البركة ودعوتهم لقضاء حوائجهم المختلفة واجب يجب القيام به، وهذا ما بقي راسخا في نفوس الطبقات الشعبية حتى وقتنا هذا.

والشّاعر محمد بلخير من الشّعراء الشّعبيّين الذّين يؤمنون بهذا الاعتقاد، فهو راسخ في الفّكر الاجتماعي منذ زمن بعيد، وقد توارثته الأجيال حتى وصل إلينا، وهو راسخ في الفكر، ليس من السهل التّخلي عنه أو نسيانه لأنه ثقافة الأجداد.

3-المبحث الثاني: البّعد الاجتماعيّ

عرفت الحياة الاجتماعية إبان الاستعمار أوضاعا اجتماعية مزرية جعلت الأهالي يبحثون على المفرّ الذّي يقيــهم شرّ هذا الوضع الذّي حلّ بهم.

1- المرجــع السابق ص: 28.

فقد وجد الشّاعــر الشّعبي موضوعــا يستحق المعالجة، فهو يصور هذه الحالة ويمثّل المعاناة والمــآسي التّــي حلّــت بأفراد مجتمعه، فراح يعبّر عنها باستعماله الرّمز؛ لأنّه من «أبرز الظّــواهــر الفنّية التّــي تعتمدها التّجــربة الشّعرية»[1].

هذه الأوضاع ولّدت في نفوس الشّعــراء قوّة الصّراع من أجل التّخفيف عمّا آل إليه الوضع، من خلال سرده للوقــائع التّــي عايشــوها، والتّحدث عن المعارك والانتصارات التّي حقّقها المجاهدون.

ولعــلّ السبب الــرئيسي الــذّي جعل الــشّعراء الشّعبيّين يوظفون الرّمز في أشعارهم، اقتناعهم أنّ «الرّمز وحده هو الذّي يضفي على لغته مسحة من العمق والشفافية والإيحاء، ويعين الصّورة لئلا تكون تشابها بين شيئين»[2].

لقد تمكّن الشّاعر من إيقاظ الشّعب مــن سباته عن طريق التنبيه، حيث وضّح لــهم أنّ العــدو الــذّي جــاء من الخــارج يريد القضاء على أسس المجتمع الجزائريّ، والمتمثّلة في العادات والأعراف والدّين الإسلامي؛ يريد القضاء على الدّين واغتصاب الأرض التّي تمثّل الأصل، والتّي قاوم من أجلها شخصيات جزائرية كثيرة، أمثال الأمير عبد القادر والحدّاد والمقراني وبوعمامة...

1- د. محمد ناصر، الشّعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنيّة (1925- 1975)، دار الغرب الإسلاميّ بيروت، لبنان، 1983 م، ص: 549.

2- المرجع نفسه، ص: 550.

والشّاعر قد أحسن التّصوير، وقد أجاد في استعمال العبارات التّي تصور الوضّع؛ لأنّ «الصّورة الشّعرية هي تجربة معاشه على أرض الواقع، حين نعثر على صورة، فإنّنا نعثر من خلالها على تجربة معاشه حقا»[1].

وكـــانت المقـــاومة الشّعبية بقيادة الشّيخ بوعمامة من أهمّ المواضيع التّي استغلها الشّاعـــر الشّعبي لتخفيف ذلك الضّغط المعاش؛ لأنّه وجد في الشّخصية الاطمئنان الذّي يبحث عنه، بما أنّه ابن الزّاوية ومن الشّخصيات التّي أحبّها الله وميّزها عن باقي الأفراد.

فالشّيخ بوعمامـــة في المخيال الشّعبي، هو حامل لواء المجتمع والجامع لهمومه، البّاحث عن المستقبل الحسن، هو رمز الوفاء ورمز الأمان، جمع بيْن المقاومة والدّين.

لأنّ الشّيخ بوعمـــامة في نظـــر المجتمع الجزائريّ هو من أبناء الزّاوية الشّيخيّة، والتّي تحفظ لنا الـــذّاكرة الشّعبية هيبتها بين القبائل والتّي توجب على المجتمع تقدّيسها.

استطاع الشّاعر الشّعبيّ أن يوصل المعلومات إلى السكان البسطاء، رغم ضعف المستوى التعليمي الذي تلقاه، حيث عرف كيف يوظِّف الخيال في جمع الأخبار ونقلها بشكل يؤثّر في الناس.

1- د. عبد الله التطاوي، الصّورة الفنّية في شعر مسلم بن الوليد، ص: 15.

فــ«الشّاعر يرى أنّ الحياة لم توجد إلاّ من أجل أنّ نعيش في عزّة وشرف، وإلاّ فلا داعي إلى البقاء على وجه الأرض، إنّ الموت أهون من هذا العارّ الذي لحقهم...»[1].

إنّ الشّخصية الــجزائريّة معروف عنها قوّة الــتّمسك بالأصــل، وعدم السّماح لأيّ كان أنّ يمسّ القيّم الجزائرية، والمتمثّلة أساسا في الشرف والعزّة. وقد تحدث الشّاعر بن رامي مسعود عنها حين حثّ الشّعــب على التّمسك بمقوماته التّي تميّز أصالته وانتمائه:

كُونُو أَهْلْ النِّيفْ وْمَنْ جَاكُمْ بِالشّرّْ مَاتَسْمْعُولُوشْ

وْنَخْتَمْ ذَا القْصِيدْ عَلَى مُحَمَدْ إِمَامْ المُرْسَلِينْ تَاجْ الأَنْبِيَاءْ[2]

استعمل الشّاعر أسلوب الأمر المتمثّل في كلمة "كونو"، فهو يــدعو قومه إلى التّمسك بأصالتهم المتمثّلة في الــدّين الإســلاميّ والــلّغة العربية والأصــل الأمازيغي، واستعماله لــفظة "نِيفْ" لا تعني المستوى السطحي للفظة؛ بل لها دلالة عميقة توحي عــلى الغيرة عن الوطن، والوقوف ضدّ من يحاول المساس بمقوماته، و"نيف" في الفّكر الشّعبيّ هو عزّة المرء وشرفه ورجولته، واستعملها الشّاعر للدّلالة على الــوقوف ضــدّ الاستعمــار، غيرة على مقوماته الشّعبيّة وانتمائه الدّينيّ، الذي يدعو إلى الجهاد في سبيــل تحرير الــشّعب من قيــود الاستعمار.

1- أ- العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 42.

2- بن رامي مسعود، الكنز المغمور في الشّعر الملحون، ص: 22.

فكسب الشّيخ بوعمامة قلوب وثقة الشّعب لم يكن من فراغ؛ لأنّ هدفه واضح يلتقي مع أهداف الشّعب، وهو ما زاد من شهرته، فبلغ مستوى السموّ عند الفرد الجزائريّ، وحتّى خارج الحدود وهو دليل على ما وصل إليه الشّيخ بوعمامة من نفوذ روحيّ وقوّة حربية، وهو من أعطى الشّعب الحياة الهنيئة، حسّن الوّضع الاجتماعيّ الذّي أصبح الشّعب يعيشه في ظلّ السياسة الاستعمارية، التّي وظفت كلّ أساليب القمع والقهر حتّى تضعف من إرادته، وتجعله في درجة أدنى بين الشعوب، يقول الشاعر الحاج لعمارة في قصيدة " الوطن والثورة":

بُوعْمَامَة ذَا القُدْوَه وَالمْثَلْ وكَذَا مَنْ لَبْطَالْ مَازَالْ أُومَازَالْ[1]

قد يتجلّى البعد الاجتماعي في القضايا والرّوابط الاجتماعية، وهو ما نلمسه حين يبرز الرّوابط، فالشّاعر يمثّل الشّيخ بوعمامة بالصّورة الرّمزية التّي تبدو أكثر عمقا وتكاملا من خلال الحسّ التّراثي؛ إذ يبدو أكثر أهمية مقارنة بالصّور السّابقة، حين يجعله قدوة ومثالا يقتدى به، فهو مثال الإخلاص والحبّ والحكمة، يمتاز عن غيره بقوة الشّخصية.

أمّا الدّور الذّي تؤدية الشّخصية في هذا المقام فهو ما تحمله المثالية المطلقة، فهي الأسوة الحسنة والقدوة الرائدة والمثل الأعلى، فشخصية الشّيخ

1- د.أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد بسكرة، دار السّبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 169.

بوعمامة تتقدم عن باقي الشــخصيــات بالجاه والسلطان؛ لأنّه صاحب الزّاوية ورجل من رجال الدّين، والمجاهد في سبيل الله والوطن.

فالشّاعر قد كان ماهرا في استعمــاله الــرّمزي بتــوظيفه لفظة "القدوة" والمثل" وهي صفات تدلّ على حقيقة الشّخصية الجزائرية والــتّي غرست فيها منذ القدم، كما تدلّ على أنّ الشّيخ بوعمامة يحسن التّعامل مع أفراد الشّعب، في ظلّ تأزم الوضع المعيشيّ، كما يحسن التّعامل مع الــظّروف التّي تواجهه أثناء المواجهات مع الاستعمار أو مع أساليبه، وتدلّ أيضا على أن الرّجل صالح هو صاحب الطريقة الإيمانية، وهو الرّجل الذّي وحَّد أبناء وطنه، بعدما كانوا عبارة عن قبائل متفرقة تحكمهم أعراف وتقاليد مختلفة. فهو الرّجل الذّي أنشأ زاوية المغرار التحتاني، والتّي أعدّها لحفظ القرآن ودراسة علوم الشّرعية، فكيف لا يقتدى بهذه الشّخصية وهي تحمل هذه الخصال الحميدة، فهو رمز ومثال يقتدى به ومسيّر اجتماعيّ ناجح.

ولم يتوان الشّاعر مدني رحمون* في وصف الاستعمار وتوضيح حقيقته للشّعب وللعالم كلّه، هذا الاستعمار الــذّي يدّعى الــتّحضر والتّمدن، وهو في الحقيقة قاتل ومستبد:

*- هو الشّاعر والمجاهد المدني رحمون ولد سنة 1908م بقرية فرفار بناحية طولقة التي تبعد ب: 35 كلم عن ولاية بسكرة، حفظ القرآن، وكان يحتك بالعلماء ويحضر مجالسهم، بدأ العمل السّياسيّ سنة 1929م، بعد انتقاله إلى فرنسا انخرط في حزب الوطني سنة 1936م، وكان الشّاعر على اتصال بحركة الثّورة الجزائرية واكتسب ثقة الشّعب خاصة في فرنسا، وقد أسس جمعية بمدينة القدس سنة 1949م، مع مجموعة من الإخوان المكافحين، شارك الشّاعر في عدّة معارك، توفيّ

يَاسَـامْع قَـولِي أَفْـهَمْ حُـطْ البَالْ شُـوفْ التَفَاصِيلْ تَفْهَمْ مَاذَا صَارْ

شعْبْ يْكَافَحْ ستَةَ سنِينْ نْسَاء وَرْجَالْ ضَـحِيـنَا لأَجْل نَبْقَـاو أَحْـرَارْ

هَـذَا هُـوَ مَقْصُـودْنَا بِالانْفِـصَالْ مَنْ عَدُو غَشِيـمْ شَـرَبْنَا الأمْرَارْ

قْتَـلْ مَلْيُونيَـنْ عَـجَـزَ وَأَطْفَال نْسَاء وَشْيُـوخْ يَحْـرَقْهُم بَالنَارْ

يْهَدَمْ في القُرَى يَنْهَبْ في الأَمْـوَالْ أَيْفَسَدْ وَايعَـذَبْ فِي البْنَاتْ الكْبَـارْ[1]

لقد سبب الاستعمار المعاناة للشّعب، من خلال تقتيله وحرق منازله وتشريده، فهي من الأسباب التّي جعلته يثور ويبحث عمن يساعده في ذلك، فلجأ إلى الزّوايا التّي كانت تسعى إلى نشر الطمأنينة، وتوضّح رؤاهم حول ما هو في صالحهم وما هو ضدّهم. كذلك كان لها دور في جمع الشعب وتوحيده، وتقوية الرّابط بين أفراده، وكان الأهالي يثقون في شيوخ الزّاوية وأبنائها الذين ينتمون إليها، فالزّاوية تشعرهم بالقوّة المعنوية، وهذا راجع للطريقة التّي بني عليها الوليّ الصّالح مفهوم الزّاوية، والتّي غالبا ما تكون مبنية على شعار العزّة والشّرف والدّين والجاه.

فجاء دور الزّاوية بعد شعور الأهالي بالخطر الذّي يحيط بهم، بقيادة الشّيخ بوعمامة ومساعدة القبائل المجاورة التي بدأت تكثر وتتسع،

سنة 1989م وترك مجموعة كبيرة من قصائد الشّعر الشّعبيّ لكن أغلبها حرق أثناء الثورة التحريرية.

1- عبد اللطيف حني، شعر مدني رحمون دراسة فنيّة تحليليّة، مخطوط مذكرة ماجستير في الأدب الشّعبيّ، كلية الأدب واللّغات، جامعة الجزائر، 2006م، ص: 75.

لشعورهم بالإطمئنان بوجودهم بجانب هذا الـــرّجل الذّي حلّ محلّ وليّ الزّاوية واستعماله الحكمة في معالجة الــقضايا والأمــور المعقدة، والذّي أعدّ نفسه ليكون الزّاهد المقاتل*.

فالزّاوية تريد إصـــلاح الدّنيا من الفاسد الذّي جاء بنظرة تخالف أصول الدّين والأعراف، لذلك فهي تحثّ على النّهوض في وجه الظّلم والاستبداد، فلا يمكن للأهالي أن يرضوا بهذه التجاوزات التي يقوم بها هذا الفاسد الأجنبيّ ضدّ السكان من خلال قتل الأطفال والشيوخ والنّساء، وسلب الأراضي والممتلكات والتّي أوصلت الأهالي إلى حالة اجتماعية مزرية، قد وصلت إلى حد عدم استطاعته اقتناء قوت يومه.

يقول الشّاعر محمد بلخير ممجدا الشّيخ بوعمامة، والذّي يمثّل الشّخصية الجزائرية، بأصالتها وشهامة رجالها، المعروف عنهم حبّ الوطن وأبنائه، فلا يستطيع النّوم وأخواته في الله يعيشون المعاناة الاستعمارية:

بُوعْمَامَــــة حَرَرْ جَسْدِي مَنْ النَارْ   يَا مْسَلَكْ مَنْ جَاكْ غْرِيبْ مَضْيُومْ[1]

يعرج الشّاعر في هذه القصيدة باستعماله الرّمز الشّعري إلى وصف الاستعمار وبشاعة جرائمه، مستعملا ألفاظ وكلمات معبرة ومدوية ذات جرس قويّ، ينمّ عن غضبه ويوقظ إحساسه، وينبه شعــوره عــلى هول الجرائم المرتكبة في حقه وحق أبنـــاء أمـــته، فـــهو يرمز إلـــى الاستعمار بالنّار التّي

*- ويعني ذلك فراق الحياة والفراغ لسيف حتى الفناء في ساحة المعركة.

1- أ.العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص:.151.

تحرق كل ضعيف مسكين، فــصورة "المحرر" الــذّي أطــلقهــا على الشّيخ بوعمامة ما هي إلا عاطفة صارخة تلبِّي العاطفة الناتجة عن كفــاح الــشّاعر الطويل، ولكي يثبت لأجيال القيود التي وضعها الاستعمار على الأهــالي بجــرائمه البشعة وسياسته الظالمة، فكلمة "حرر" تدل على الوضع الاجتماعي الذّي كان يعيشه الأهالي، دلالة علــى النّية الخالصة لشّخصية الشّيخ بوعمامة، والــتّي تبحث وتزرع الطمأنينة لدى الشّعب الجزائريّ، فالأفراد كانوا يعيشون في نار المستعمر، يحترقون بظلمه إلى أن أتى الشّيخ بوعمامة المــحرر من نار الــعدوّ، عدوّ لله والوطن.

فالشّاعر هنا يمجد الشّيخ بوعمامة ويمدحه، ومــن جــهة أخــرى يكشف الصّورة المزيّفة التّي أراد الاستعمار أن يصورها للشّعب وللعالم الخارجيّ، فقد أزال عنه قناع الخداع الذّي طالما استعمله لكسب الشّعب الــجزائريّ وترسيخ فكرة الجزائر فرنسية.

إنّ هذه المحاولة التّي أراد الــشّاعر فيها كشف المستعمر الهدف منها «اختيار الألفاظ الخادعة والتّعابير المضللة التّي تهزّ الجامدين وأنصار الاحتلال الفرنسي، فإنّ الشّعب الــجزائريّ قد تكونت لــديه القناعة الكافية بأنّ ما تنشره إدارة الاحتلال، لــيس سوى نشر مغلــف بالــخبثّ، وسوء النّية حتّى ولو كان ظاهره يحمل الخّير، ونبل المقاصد»[1].

1- التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثورة (1830-1945)،ص: 334.

ومن بين الــمواضيع الــتّي تعالج الوضّع الاجتماعيّ، هي الإشادة بالقيّم الاجتماعية للشّيخ بوعمامة باعتبــاره عالــما ربــانيّا، ومدى تأثّر المجتمع به، والعلاقة الوطيدة التّي تربط الأهالــي بالشّيخ، فالعلم الذّي يحمله هو تعليم دينيّ، يطمئن الأهــالي له لأنّه موجــود في صدر كلّ مسلم يعبد الله ربّا، ويدين بالإسلام دينا، فضــلا عن كونه عالما ربانيّا فإنّ الشّعب قد تواطأ على معرفة فضله وسبق زهده وتقواه. فيصبح العلم أكثر تأثيرا وأبــلغ في التوجيه والإقناع.

إنّ الدّور الذّي أصبحت شخصية الشّيخ بوعمامة تــقوم بــه، هو إصلاح المجتمع بالتّرغيب والحثّ على التّخلق بأخلاق الإسلام. وهو ما يذكره الشّــاعر محمد بلخير بقوله:

بُوعْمَامَة عَزّْ الطُلْبَة وْزِيَارْ ضَيْفْ رَبِي عَنْدُو مَعْزُومْ مكْرِومْ[1]

يبرز الشّاعر في هذا البيت جانبا من الجوانب الخلقية للشّيخ بوعمامة، والمتمثّلة في تلك الجمالية المعزوبة باستعماله الــرّمز في لفظة " معزوم مكروم"، والتّي يعني بها صفة الكرم التي تميّز الــشّيخ بوعمامة، وبهذا يدعو أتباعه إلى إكرام الضّيف وخاصة الأهالي الذّين يلجؤون إليه ليقيهم من شرّ الاستعمار من جهة والحياة المزرية من جهة أخرى.

إنّ هذا الأسلوب دليل على التّمسك بتعاليم دينه وما يحث عليه الرّسول "صــلى الله عــليه وسلم"، فالشّيخ بوعمامة يعطي قبل أن يسأل

1 – أ.العربي بن عاشور، شعر محمد بلخير شاعر الشّيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 151.

ويعطف على المسكين بكرمه وجـوده؛ لأنّها من خصاله وما تعلمه من أجداده.

وما نلاحظه أيضا من خلال هذا البيت، أنّ الشّاعر في خطابه يوضّح صفة الكرم التي تميّز أصحاب الزّاوية وأتباعها، وهي الوفاء والعرفان من الشّاعر لأصحابها وللشّيخ بوعمامة، وهي أيضا تجسيد للمثل والقيّم الإنسانية العظّيمة لدى أفراد المجتمع الجزائريّ الذّي يمثّل ويقدر حقوق الأهالي الضّعفاء والمساكين وهو دليل أيضا على التكوين الدّينيّ والأخلاقيّ الاجتماعيّ.

وما يعزز كلامنا ويقوّي المعنى، قول الشّاعر محمد بلخير:

القَطْبْ عَشَـاي النَمْلَـة وَالأَطْيَارَ وَالـوُحُوشْ اللِـي بَرَا دَايَمْ تَهُومْ[1]

يشير الشّاعر في هذا البيت إلى صورة الكرم الذّي يتميّز به الشّيخ بوعمامة، وهي في مجملها صورة جزئية رسمها الشّاعر في مشـهد عام، لا يختلف عمّا سبق ذكره في البيت الذّي سبق، لكن عموميّة المشهد تكمل في نوع الأشخاص الذّين مسَّهم كرم الشّيخ. وتبدو أداة الشّاعـر في هـذه الـصّورة الجزئية أشدّ تعلقا بالزّاوية التّي يعتبر الشّيخ من أصحابها، فهو قطب من أقطابها وحاميها، فبوعمامة هو الشّيخ الرّوحيّ الذّي يعطي الرّاحـة والأمان والاطمئنان، إضافة إلى تميزه بصفة العطاء والكرم، فكلمة "عشاي" تدل على كثرة الكرم وقوته، ولا يقصد به الأكل المقدم فـقط؛ بل يريد به

1- المرجع السا بق، ص151.

أشياء أخـــرى قد تقـــدم للضّيف أو طـــالب الصدقة أو عابر سبيل، فالشّخصية كريمة حتّى مع الحيوانات والـــحشرات، وهذا كلــه يصبّ في باب الكرم والجود. فالشّيخ بوعمامة له صفات تجــعله قطــبا مـــن الأقطاب الرّبانية.

ويضاف إلى صفات الكرم والجــود صفـــات الشّـــرف والـــنّسب والسمعة الحسنّة والخلق النبيل والـــورع وحـــسن التّعامل مع أفراد المجتمع، فهو صاحب البديهة الصائبة والـــرأي الـــرّاجح، وهذا كله يدّل على الدّور الـــمعنويّ الذي تقوم به الزّاوية.

4-المبحث الثالث:_ البّعد السّياسيّ

إنّ الإحساس بالوطن والاهتمام به والشّعور بأفراحه وأقراحه والانفعـــال لها، عوامل مكونة للشّخصية الجزائرية، والدّليل على ذلك الوفاء الذي يمتاز به الشّعب والثّبات في انتمائه إليه، وقد يتجلى هذا البعد في الثّورة التّي قـــام بهـــا الشّعب ضدّ الاستعمار، وتمجيد الشّعراء الشّعبيّون لها، والاعتـــراف بالـــوطنيّة الجزائريّة.

وقد واكب الشّاعر الشّعبي فترة الاحتلال الفرنسي وصور كـــلّ الجوانب والملابسات التّي حاول فيها الاستعمار عزل الشّعب الجزائريّ عـــن تراثه الثّقافيّ العربيّ والإسلاميّ، ليسهل بعد ذلك دمجه وإلحاقه بالشّعب الفرنسي ليطمس بذلك الشّخصية الجزائريّة وما يميّزها من معالم وأفكار وسلوكات ثقافية وحضارية إسلامية، فلم يكن الاستعمار «يهدف إلى السّيطرة الاقتصادية

فقط، وإنّما خطط أيضا لتحويل الإنسان الجزائريّ إلى إنسان منسلخ عن شـــخصيته الوطنية»[1].

لقد وجد الشّعراء الشّعبيون في أحاسيسهم المثقّلة بالحزن والألـــم جـــراء الاستعمار صدى لهذه المعاناة النّفسية، فذهب إلى تمجيد المقاومة ســـواء كانت هذه المقاومة بالسّلاح أو بالقلم، فليس غريبا أن نجد الشّاعـــر الشّعبيّ يرفع من الشّخصية السّياسيّة إلى أسمى الدرجات؛ لأنّه يرى فيهـــا ذلك الامـــتداد الخيراتيّ للسّلف، فعندما يـــمدح الشّيخ بوعمـــامة فإنَّه يريد رفـــع معنويات المجاهدين قصد تثبيتهم للوقوف من أجل تحرير الـــوطـــن مـــن العدوّ، وتحرير الشّعب من الاستبداد، وتحرير الإسلام من الكفر.

وغالبا ما نجد الشّاعر الشّعبي يركّز على الـــشّخصية التّاريخية البارزة، ويكون التركيز إلى درجة التّقديس؛ لأنّ الشّعب يفضّلهـــا عـــن غيرهـــا مـــن الشّخصيات، فتكون الشّخصية المثال الكامل الذي يقتدى به، يقول عبد الحميد عباسة في قصيدته "المقاومة الشّعبية بقيادة الأمير عبد القادر والثّائرون":

بُوعْمَامَةْ مَشْهُورْ فِي الخُطَةْ إِدَبَرْ قُـــوَاتْ الأَعْــدَاءْ مَنْـــهُ مَتْهَرْبِينْ

وَاقَفْ لَلأَعْدَاءْ فِي الحَرْبْ مَسْتْمَرْ فِي كُل مَعْرَكَـــةْ إِخَلِيهُمْ رَاعْبِينْ[2]

ففي هذه الصّفات مثال القائد الذّي اشتهر في عصره، والذّي يتطلع إليه الجميع، ويسابقون على تمثّل صفاته، فهي السّبيل إلى الرّفعة والمجد والخلود،

---

1 – د.محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ص: 37.

2 – عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشّعر الملحون، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996م، ص: 82.

قد مجده الشّعب وتغنّى به فازداد التمسك به، فعمد الشّاعر على تخليده شعرا، إيمانا منه أنّ «الشّعر طريق خلود هذه السّمات وبقائها»[1].

وقد توكل الشّيخ على الله تعالى، وخاض معارك طاحنة، أحسن التّدبير فيها واضعا الوازع العقائديّ سببا لإعلان الجهاد. وقد أثبت للأصدقاء قبل الأعداء قدرته على القيادة، والحكم بما ينصّ عليه القرآن الكريم والسنّة الــنّبوية، فزاده هذا صبرا وقوّة، يرهب ويرعب بها عدو الله والوطن.

وقد تفنّن الشّاعر الشّعبي في رسم صوره، الأمر الذّي يجعلنا نعتقد أن له قدرة شعرية عظيمــة، ويتحدث الــشّاعر بــن رامي مسعود عن سياسة الشّيخ بوعمامة في تكوين الجيش فيقول:

جَــاوْ مْعَاهْ أَهْــلْ البْوَادِي وَجْمِيــعْ الــعْرُوشْ

وْزِيــد التَــلْ مْــعَ السْوَاحَلْ يَاخُويَا

خَــــرْجُــو ضَــدْ فْــرَنْسَــا كَــفْرَةْ وْحَــوشْ

مَــنْ البَيْــضْ حَــتَى الــبَرْوَاقِيــةْ

قَالُولُو يَا شِيخْ عْلَى الــكَفَــرَه مَــانَسَكْتُــوشْ

مَــنْ الــقْصَرْ لَلأغْوَاطْ كُــلْهُمْ رِجْلِيه

قَالُو لِجِينِيرَالاَتْ فْرَنْسَا أَنْتُمْ ظَالْمِينْ مَاتَفَهْمُوشْ

---

1 – صلوح بنت مصلح بن سعيد السريجي، الصّورة في شعر الرّثاء الجاهلي، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي القديم، كلية التربية للبنات، جدة، 1998م، ص: 137.

هَــذِي مَــاهِيــشْ بْــلاَدْكُمْ يَا ظَلْمِيَة

تَرْكُوا تَارِيخْهُمْ للشُّبَانْ في الجُدْرَانْ مَنْقُــوشْ

وَاسْمَــــعْ يَاأَخِــي وَاسْــتَجِــبْ لِيهْ

عْــلَى تَــارِيخْ بْــلاَدْنَا الــلَّوْرَة مَانوْلُوشْ

غِيرْ هَنِيُو رْوَاحْكُمْ بَرْكَاوْ مَنْ الطَمْعِيَة[1]

والمستقرئ للأبيات يقتنع بأنّ الــصّور موحيّة ودالة دلالة قطعية على رفض الشّعب الجزائريّ للاستعمار، فالشّيخ بوعمامة ربط بين القبائل ربطا روحيّا، حين جعلهم يتعلقون بالــطريقة الإيمــانية التّي أنشأها. وأول ما قام به الشّيخ بوعمامة كخطوة ضــدّ المستعمر توسيع القاعدة الشّعبية التّي تنتمي إلى الزّاوية الشّخصية وتتبع طريقتها، وبعد ذلك إعلان الجهاد في سبيل الله وتحرير الوطن، فغرس فيهم الــحيــاة الجمــاعية ضدّ الحياة المزرية الــتّي تعيش فيها المنطقة، فهو يرى أن سلاح الدّين بالتشبث بالعقيدة الإســلامية هو السبيل إلى إزالة هذه المآسي، وكان للزاوية الدّور في مواجهة العدوّ بالدّعوة للجهاد في سبيل الله في الدّاخل- مع الاتصال بالقبائل ودعوتها إلى تلبّية نداء نصرة الدين والوطن- وفي الخارج حيث اتَّجه «سيدي الشّيخ إلى مراكش عاصمة السعديّين من أجل الاتصــال بصديقه السلطــان أحمــد المنصور

1- بن رامي مسعود، الكنز المغمور في الشعر الملحون، ص22.

الذّهبيّ المنتصر على البرتغاليين بالقصر الكبير، ليشير له بالخطر الذّي يهدد جهته...»[1].

إنّ اللّغة التّي يتحدث بها بن رامـــي مسعــود هي لغة الواثق من نفسه، فالوقوف في وجه الاستعمار ليس بالأمــر الهيّن، لكن ثقته في شخص بوعمامة جعلته متيقنا أنَّ الأمر ليس مستحيلا، فالأهــداف التّي يسعى إليّها الشّاعر هي إيقاظ الشّعور الشّعبي؛ لأنّ «الشّعور بالحياة وإدراكها الكامل، لا يكونـــان تامين إذا عبّرت بغير اللّغة الدائرة على الألسنة، وبهذا يثير شاعرنا العامـــيّ نفــوس، إثارة يعجز عنها أكثر شعرائنا الرّسميين»[2].

لقد عرف الشّيخ بوعمامة كيف يجمع شمل القبائل، ويوحدّهم علـــى كلمة واحدة، وهي الجهاد في سبيل الله والوطن، حيث استعمل أسلوبـــا يتميّز بالحــكمة والرّزانة، وأضحى بذلك نفوذه يتّسع حتّى استقطب كلّ القبائل المجاورة للزّاوية، فأصبح في المخيال الشّعبي الرّجل السّياسي، الحامل للوائهم، والـــجامع لهمـــومهم، والباحث لهم على المستقبل الحسن، فهو رمز النّضال الشّعبيّ، والرّجل المتميّز عن باقي المقاومين، بأنّه يجمع بين أمور المقاومة وتعاليـــم الـــدّين، لا يرضى بالانهزام ولا يتراجع، يسعى إلى الهدنة أكثر من الحربّ، ليحـــافظ على أهله وشعبه حتى يوفّر لهم الأمان والسّعادة والهناء...

1 – أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بو عمامة وبطل المقاومة، ص25.

2 – مارون عبود، الشّعر العاميّ، دار الثّقافة، بيروت، ط1، 1968م، ص: 63.

أمّا الشّاعر الشّعبي محمد بن عيسى فقد مثّل لعدّة شخصيات في قصيدة "كذَا مَا لَبْطَالْ"، بالأبطال الذّين يحفظ لنا التّاريخ الجزائريّ وقــوفهم الشّهمّ ضدّ الاستعمار، أمثال الأمير عبد القادر والمقراني وأحمد باي، إضــافة إلى الشّيخ بوعمامة، لمّا يقول:

كَــذَا مَنْ لَبْطَالْ نَحْكِيــوْ عْلِيــهُمْ وَالتَــارِيخْ أَطْوِيلْ مَا هُو نَاسِيهِــمْ

أَبْطَالْ الثّوْرَة أَبْطَالْ مَنْهُمْ وَعْلِيهُمْ سَالْ اللّي ضَحّاوْ يَعْطُــوكْ أَخْبَرْهُمْ

بُوعْمامَة ضَحّى أُودَارْ اللّي يَلْزَمْ والمُقْــــرَانِي كَــانْ ذاكِــي يَفْهَمْ

عَبْدْ القَــادَرْ كَــانْ أَمِيرْ أَمْحَزّمْ وَأَحْــمَدْ بَــاي أَعْلِيهْ نَقْرَ وأَنْعَمَــمْ[1]

حاول الشّاعر تأدية القصيدة في قالب نثري، هدفه تحــقيق البطولة في القصيدة الشّعبية. وإلى جانب قوّة الشّيخ بوعمامة البدنيّة والعقليــة، «فقــد تحــكم القوّة المعنويّة والتّي تقوم على شجاعة البطل المستمدة من عنصره العربي، وقــوّته الرّوحية المستمدة من كونه يدافع عن الحقّ، ويسعى لإقامة النّظام، يؤدّي رسالة سماويّة»[2].

فالرّسالة التّي نعنيها في القول هي الرّسالة التّي تسعى الزّاوية إلى نشرها «فالزّاوية التّي لعبت دورا لا يستهان به، سواء من النّاحية الاجتماعية،

1- سنوسي خبراج، شعر محمد بن عيسى الشّعبيّ (جمع ودراسة)،مخطط مذكرة ماجيستير في الشّعر الشّعبّي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر،2007م،ص: 140.

2- عبد الحميد بورايو بن طاهر، القصص الشّعبي في منطقة بسكرة -دراسة ميدانية-، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م، ص: 69.

كتمتّين أواصر الأخوّة بين النّاس، عن طريق إصلاح الخلافات التّي كانت تحــدث من حين لآخر، أو التّعليم الدّينيّ، وذلك بتحفيظ القرآن وشرح متونه، أو الوقــوف إلى جانب المجتمعين لأجل إكرام الزّوار والضّيوف»[1].

والشّيخ بوعمامة صاحب التأثير غير المباشر على المجتمع الشّعبي عامة وعلى الفرد خاصة؛ لأنّه الرّجل التّقي صاحب الزّاوية، والتّي لها دور آخــر يتمثّل في الــتّعليم الدّيني من خلال، «تحفيظ القرآن وتقديم الدّروس العامة في المساجد والعلوم الدّينية»[2].

إنّ البعد الأسطوريّ في استعمال الشّاعر لشخصية الشّيخ بوعمامة، يتمثّل في الرّمز إليه بالــبطل، فــ«البــطل هــو الــصّورة التّي تريدها الذّات من حيث التّكامل،إنّه تجسّد أحلام، تجسّد التّطلعات إلى الخلاص، وإزالة ما نودّه وإسقاط ما لا نودّه، وبكلمة أخرى، فإنّ مادّة البطل الموجودة فــي نفوسنــا، تختــلف مع البطل...البطل قيمة وصورة كاملة يمتصّ المشاعــر المثالية التّي عرفتها الإنسانية، وتتشكل فيها الخبرات، إنّه تعبيرات عن الأمل القادم، وعن إمكانية الخلاص وهذا ما ينبئ في الآن عينه، عن واقع جارح وعن قواهر نظيرة سلطة قاسية، أو لقمة غير سائغة، وبذلك يأتــي ذلــك البطــل تغطيته لتلك الجارحات للواقع واللّقمة والأمن وتوكيد الذّات والمحن»[3].

---

1 – أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 23.

2 – المرجع نفسه، ص: 25.

3 – علي زيغور، قطاع البطولة والنرجسية في الذّات العربية المستعلى والأكبري في التّراث والتحليل النّفسيّ، دار الطليعة، بيروت،الطبعة الأولى، 1982م،ص: 24.

أمّا الدّلالة التّي يرمي إليها الشّاعـــر محمد عيسى من خلال إلصاق رمز البطل بالشّخصية السّياسيّة، فهـــي البّحـــث عـــلى الاطمئنان والأمن والنّجاح، فتضحية الشّيخ بوعمامة دليل على شجاعته، وحسن النّية فيما يقوم به في سبيل الوطن، فـــ«فهو بطل السّيف، ورمـــز البطـــولة والشّجـــاعة وقـــت الاستعمار بالإضافة إلى هذا كلّه فهو رجل إصلاح دينيّ، لاختلاف على وجوده وبسالة، لا على الخطبة ومواقفه الدّينية»[1].

تعدّ شهادة الشّاعر بأنّ الشّيخ قد قام بما يلزم، اعترافا منه بالعمل الذّي كان يقدمه، وهي صورة من صور الكفاءة السّياسية، فعلى الرّغم من الحياة العصيبة إلاّ أنّه تحدّى ثقل الحياة ووطأتـــها، وذهب يخفف الثقل عن شعبه بتكفله بالأمور العسكرية والإدارية، وحتّى الثّقافية والاجتماعية منّها...

وقد حاول الشّاعر استحضار الصّور الرّمزية وما تحمله من دلالات ليعبّر عن مكوناته النّفسية الخفيّة، فالرّمـــز هو صلة بين الذّات والأشياء، بحيث تتوالد المشّاعر عن طريق الإثارة النّفسية لا عن طريق تسميّة الأشياء بأسمائها.

كـــمـــا أنّ الشّـــاعـــر أحمد كرومي* قد استعمل رمز البطل في قصيدته " الشّعب اليوم تنظم" وذلك حين يقول:

1- العربي دحو، بعض النّماذج الوطنية في الشّعر الشّعبي الأوراسي، خلال الثّورة التّحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د.ت)، ص: 109.

*- كرومي أحمد شاعر شعبيّ مولود عام 1918 بالعبادلة ببشار.

قْعَــدْ لـــِيهَــا بُـــوعْمَـــامَـــةْ

قَـــايَـــمْ مَـــا خَـــصْ قِيَـــامَـــةْ

كُـــلْ أَبْـــطَـــالْ زُعَـــامَـــــــةْ

صَـــبْـــرُو كَـــذَا مَـــنْـــعَـــامْ

بَالـــسْـــيُـــــوفْ الـــهَـــدَامَـــةْ

قَـــطْـــعُو رْؤُوسْ الأَعْـــجَـــامْ،[1]

أحسن الشّاعر استعمال الرّموز والإشـــارات والتلـــميحات، فهو يبتعد عن تسمية الأشياء بمسمياتها الواقعية، ليضيف إلى ألفاظه نوعا من السحر الشّعري. فـــهو فـــي هـــذه الأبيـــات يفتخر بشجاعة أصحاب الشّيخ بوعمامة ومكارمهم السّاميـــة، يمجـــد المـــآثر الـــتّي رفعتهم إلى مصف السّيادة، «فالشّاعر يسّجل البطولات ليحفز أبنـــاء الـــوطـــن على مواصلة الكفاح، فالبطل يمثّل النموذج الحيّ لصفات أبنائه»[2].

إن الـــصّورة التّـــي يمثّلـــها الشّاعر كرومي، باستعماله العبارة الخطابية " صَبّرُو كَذَا مَنْ عَامْ"، هـــي صورة تميّز الـــمجـــاهد المسلم الذّي تربط أفعاله بأقواله، فالدّفاع عن الوطن إنّما يمثّل الرّسالة الخالدة الـــتّي حققها المسلمون في جهادهم ضدّ الكفار، والنّصر هو مبتغى كلّ مسلم يجاهد فـــي

1– أحمد حمدي، ديوان الشّعر الشّعبيّ شعر الثّورة المسلحة، ص: 31.

2– فوزي حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي،عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1984م، ص125.

سبيــل الــحرية، وكرامة المسلم تجعله يتثبت بعقيدته ويعمل بها، أمّا الصّبر رمز للإرادة الصّادقة المستمدة من صدق النّفس، ويؤدّي إلى النصر على الكفار، يقول الله تعالى: " **يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ**."[1]

عنــدما يتــحدث الشّــاعر الشّعــبيّ عن سمات الشّيخ بوعمامة، يتحدث عنّها بإعتبارها رموزا محفورة في الذّاكرة الشّعبية وهو يخلّدها بالذّكر، لكي لا يكون مصيرها مثل مصير الجسد، وهو الفناء.

فالقصيدة رموز باقية لشجاعة الشّيــخ بوعمــامة، فقول الشّاعر "قَطْعُو رْؤُوسْ الأَعْجَامْ"، دلالة على القوّة والشّجاعة التّي يتميّز بــها الشّيخ بوعمامة، باعتباره واحدا من الجماعة، لجأ إليها الشّاعر عندمــا شعر بتــلاشي الأوضاع الاجتماعيّة، فوجد في الشّخصية قوّة الحيــاة لذلــك ردها في أغلب قصائده، طامعا في تخلّيدها وجعلها ذكرى راسخة في الأذهان.

ولعلّ رغبة الشّاعــر فــي قوله" بَالسْيُوفْ العَدَامَةْ"، هو تمييّز قوّة الشّيخ بوعمامة وأصحابه، عن غيّرهم في المجتمع، فيرسم له صورة أسطورية ليبرز قوته وشجاعته، وبهذا تسيطر صورة الشّيخ بوعمامة على الذّاكرة الشّعبيّة التّي مكّنته من السّيادة وخوض غمار الحروب، وإخافة العدوّ، فعملت الألفاظ على تخليد هذه الصّورة وإبعادها عنها صورة الضّعف والجبن.

1 – سورة محمد، الآية: 7.

ولقد اعترف بقوّة الـــشّيخ بوعمـــامة العدوّ قبل الصّديق؛ لأنّ المستعمر وعتاده الحربيّ أقل قوّة من قوّة الشّيخ بوعمامة، الممثّلة في الثّقة وحسن القيادة والإيمان بالله والوصول إلى الهدف المنشود الذّي انطلق من أجله إلى الجهاد، والقوة الرّوحية الساكنة في نفوس المجاهدين الــتّي تتعطش إلى التّقتيل، وهي الوسيلة الــتّي توصلهم إلـــى الـــفوز بالــجنة. ويصور الشّاعر ويتحدث عن الاستعمار؛ فيصور خوفه إلى درجة الموت هلعا ورعبا في قول الشاعـــر "فلاح لخضر":

وَاحَــةَ الزَّعَاطِشَةْ يَبْسَتْ الــرُّومِي تَيْبَــاسْ

كَانْ قَايَــدْهَا يَا سَـــامْعِينْ بَطَلْ إِسْمُ بُوزِيَانْ

بُوعْمَامَـــةْ تَعْرَفْ كُــلْ يُومْ فِي قَوْمَهْ سِيَاسْ

وَنَحْصَرْ لُو لُوزِيلْ فِي وَهْرَانْ وفِي تْلَمْسَانْ[1]

ويقصد الشّاعر من خلال استعمال عبارة " يَبَسْ"، والتّي تحـــمل دلالـــة رمزية متمثّلة، في قوّة الخوف الذّي شعر بـــه الاستعمـــار، والـــذّي سببه له بوعمامة وأصحابه، بالشّجاعة وروح الإقدام لدى المجاهدين، وقد نجد الشّاعر دائم الرّبط بين الجانب السّياسيّ للشّخصية والــمقومـــات الإسلامية، فيضفي على المعارك والحروب الصّفة الرّوحيّة، والـــهدف من ذلـــك أيضـــا، تحفيز المجاهدين لأنّه يزيدهم ذلك شجاعة وإقـــداما، ويبثّ في قلوبهم الجلال

1- الطيب بن دحمان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، ص: 31.

والرّهبة والارتباط بالله عزّ وجل، فالموت عندهم الــشرف والعزّة، وتكريم من الله تعالى.

أمّا المقاومة، فهي «نتاج القّوى الاجتماعية والنّفسية المؤثّرة في الأفراد، وهي اجتماعية لأنّ الــمجتمع ومـــا ينطوي عليه من نظمّ، يمارس عملية تنشئة للأفراد، تحدد لهم الهدف العام الذّي يتمثل في استــدماج التصورات المشتركة، كما هو مرغوب وهي نفسية؛ لأنّ الــدّفاعيـــة الفرديـــة تحتـــاج إلى تعبيرات معرفية، وإلى تبريرات لما هو مفضل اجتماعيا... يصبح من اليسّير تبريرها والدّفاع عنّها، بوصفها غايات أو وسائل مرغوبة ومفضلة...»[1].

فهو من أحي الشّعب وأبان عن قوّة حربية هائلة، لا يمكن أن يصدّقها العقل، فكيف للضّعيف في إمكانيات العسكرية، أن يرهب من هو أكبر منه عتادا وجنودا؟

فتوظيف الشّخصية هو نموذج لتصوير المجتمع، والقصـــائد هي تسجيل لأعمال الأبطال ومآثرهم، فهي موطن للرّفع من مستوى الشّخصية وتزكيتها. أمّا الشّخصية «فإنّما هي صورة فنية لشخص متخيّل في عمل سرديّ، يقوم على ابتكار الخيال المحض»[2].

1- د.علي عبد الرّزاق جلب، دراسات في المجتمع والثّقافة والشّخصية،دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر، 1989م، ص: 137.

2- عبد المالك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، دراسة مجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص: 85.

إنّ اختبـــار الشّـــاعر لشخصية الشّيخ بوعمامة، باعتباره شخصية سياسية تمثّل روح عصره، فهـــو الـــبطل «الـــذّي يعـــرف كـــيف يخرج من المتاهات والمغامرات»،[1] والذّي يغيّر الحالة النّفسية لأفراد مجتمعه، بإزالة الخوف وزرع نوع من السعادة والهناء، كما نرى فيه الشّخصية التاريخية، التّي يجدر بشبابنا الاقتداء بها، يقول الشاعر داودي عبد الرّزاق:

أَنْـــظُـــرْ تَارِيخْ بُوعْمَامَـــة كَانْ قْرِيتْ

هَـــذُوا الـــلِـــي يَـــبْـــنُوا الخْصَـــايَلْ

عَنْ حَـــسْ ذَوِي مْنِيعْ سَوَّلْ وِينْبْغِيتْ

وَرْوَاحْ أَمَـــنْ بَـــاغِـــي سْـــيُـــــولْ

هَـــــذَا الــــسْـــــلاحْ الـــبْـــطَـــالْ[2]

في هذه الـــقصيدة الشّعبية البطولية، الكثير من المشاهد التّي تعكس الحياة البدوية وأبعادها الاجتمـــاعية والسيـــاسية، فتاريخ بوعمامة هو تاريخ الجزائر، الذّي يدعونا الشّـــاعر إلـــى قراءته، حـــتّى نتعـــلّم منه ونقتدي به، فهو يهدف من خلال استعمـــال كـــلمة " الخْصَايَلْ"، للـــدلالـــة عـــلى ما تحمله من معانيّ وصفات التصقت بالشّخصية جراء المواقف التّي ترك

1 – شكري محمد عياد، البطل في الأدب والأساطير، دار المعرفة،القاهرة، الطبعة الثانية، 1971م،ص: 18.

2 – الطيب بن دحمان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، ص: 29.

بصماتــه فيها، ومن بين هذه المواقف تعمده تغيير اسم الزّاوية الشّيخيّة، بالزّاوية الإيمــانية، لكي لا يقع في صراع مع أبناء عمومته.

أمّا مقاومته الاستعمــار فكــانت مبنيّة على «مبدأ صارم لا يرضى إلاّ بالموت والاستشهاد أو حياة العزّة والكرامة»[1]؛ فالمجتمعات الشعبية تبحث دائما على شخصية سياسية بطلة تساعدها عندما يحلّ عليها اليأس ولا تجد حلاّ لمشاكلها، فتكون مهمّة الشّخصية هنا البحث عن الفوز وتحقيق الــهدف رغم الأخطاء والصعوبات التّي تمنعها من ذلك.

ويمثّل الشّيخ بــوعمــامة مثــالا للــرّجل الصّبور، فقد وقف في وجه الظّلم والاستبداد، وثورته مثال لأطول ثورة استطاع أن يقف فيــها ضدّ الاستعمار، ولم يخشه رغم قوّته وإمكانياته الحربية، فهو عملاق بخصاله، يقول الحاج " محمد بن يوسف" في قصيدته " بلادي بلادي":

أَمْشَـــاوْ ذُوكْ المِيــزَةْ لَبْرَارْ رَاحُو فِي العَزَه

بُوْعْمَامَـــة كَي حَمْــرى الــفُرْسْ وَالأَعْــتَاد

يَنْصَابْ في يُومْ الحَزَةْ أَعْلَى العَدْ ويَصْــدَادْ[2]

لعلّ قوة بأس الّرجل وما يتطلب منه الــوقوف فــي وجه الاستعمار وراء ذكر الفرس، التّي يستمدّ منها قوّة الصّبر والإقدام على الحرب دون خوف أو تردد، كما يستمدّ الأصالة والفداء والشّجاعة إلى ما في الفرس من

1 – الطيب بن دحمان، المرجع السابق، ص42.

2 – أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي شعر الثورة المسلحة، ص: 37.

الصّفات الدّائمة التّي تناسب حركة الرّجل في المعركة، وعندما يربط الشّاعر اسم الفرس بالشّخصية السّياسيّة، دليل على رّجولة الشخصية وشّرفها، وهذا كلّه له دلالة حين يستعمل الخطاب الرّمزي "ذُوكْ المِيزَة لَبْرَار"، وقد نلاحظ ذلك التعلق القائم بين الشّاعر والشّخصية السّياسيّة المتمثّلة في الشّيخ بوعمامة، في احترامه له ولأبنائه حيث يحدثنا الشّاعر البشير ولد حمّو عن شجاعة وبطولات أولاد بوعمامة:

لله أَرْجَانِي يَا لفَارَسْ أَنْسَالْ مَنِّي لاَ تَجْحَدْ لاَ أَنْدَسْ كَلْمَا

أَشْتَدْ اليُومْ أَطْرَادْ الأَبْطَالْ رَيَّاسْ القُومْ أَوْلاَدْ بُوعْمَامَة

عَقْدْ اَسْمَاعِيلْ أَلِي أَهَدْ الدَّجَالَ فِي كُلْ أَطْرَدْ أَيْجَدُّو الحُرْمَا

مَنْ قَدَّامُو يَتْقَسْمُوا الجُهَالْ رَبِّ عَاطِيةْ النَّصْرْ وَالقِيَامَا[1]

استعمل الشّاعر في هذه الأبيات عدّة صور رمزية تختفي وراء المفهوم المعجمي للألفاظ، والتّي تطلق على أحد أولاد الشّيخ بوعمامة، وهو إسماعيل الذّي يمثّل المستقبل ويمثل أيضا السرّ الذّي ورثه عن أجداده، فذكر الابن بدلا من الأب في هذه الأبيات دلالة على الاستمرارية، واحترام الابن دليل على احترام الأب الذّي يمثّل رمز العقلانية.

وقد أحسن الشّاعر التّصوير، وأبدع في حديثه عن شجاعة الفتى إسماعيل التّي اكتسبها بالدّربة والتّجربة، في المدّة التّي قضاها يحارب مع

1- التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبي في الثورة " (1830م-1945)، ص: 235-236.

أبيه، حيث تعمد الشّاعر الشّعبيّ ذكرها، تخليدا وتمجيدا للأب الـذّي أحسن غرس ثقافة القتال والجهاد في سبيل الله، في ذاكرة الابن لتظلّ شاهـدا على خوضه غمار الحروب، فحرص الشّاعر البشير على تسجيل قدراته الـدّفاعية ضدّ الهجومات المستمرة للاستعمار، باستعماله كلمة "أَطْرَادْ"، دليل على كثرة الهجومات وشدّة الحرب ضدّ ما سماه الشّاعر ب: "الدجال"*، وهو يرمز بذلك إلى قوّة المستعمر وكثرة أعداده، وبالمقابل ترمز إلى قوة أولاد بوعمامة واستبسالهم في القتّال وصبرهم عليه وإيجادتهم وعزمهم في الحروب.

أمّا تصويره للاستعمـار في قـوله :"مَنْقُدَّامُو يَنْقَسْمُوا الجُّهَالْ" فيدّل هذا الخطاب، على عدم قدرة الاستعمـار الصّمـود فـي وجـه الشّيـخ بوعمامة وأولاده، فهو يرى في إطلاق كلمه" الجُهَالْ"، على الاستعمار لتبيّين مدى جهلهم لفنون القتال، وجهلهم لوجود قوّة خفيّة، منحها الله عـزّ وجـلّ عنـدما توكلوا عـليه، ولن يأتيّ النّصر إلاّ بالتوفيق مـن الله، ولذلك كان مصيرهم الانهزام والهروب والفشل.

لكن رغمّ القوة التّي تمثّلها الشّاعـر الشّعبـيّ، إلاّ أنّ ذلك لم يكن يكفي للإطاحة بهذا الاستعمار؛ لأنّ هذا الأخير لجأ إلى استـعمال الوسائل الوّحشية التّي لا تمتّ للإنسانية بصلة، كانت أقوى من شجاعة بـوعمامة وأولاده، والذّي أدّى بهم إلى التّخلي عن القتال والاستسلام، وكان لهذا القـرار الوقـع الشّديـد على الشّاعر ولد بلخير، الذّي عكس ذلك في قوله:

مُوتْ سْلِيمَانْ حَبُهْ جَانِي حَـارْ لُومَ قَتْلُوهْ الظّالمُونْ فَالـتْوَارَقْ

---

*- يمثّل الدّجال في المخيّال الشّعبي إلى قوم يظهرون في أخر الزّمان.

رَسْلُو لِيهْ " البْرَيَةْ" وْجَاهْ البَشّارْ قَالْ لْـــهُمْ أَرْوَاحُو اللِّي بْقَى يَلْحَقْ[1]

المتمعّن في هذه الأبيات يلتمس تلك الدّلالـــة الرّمزية، والإيحاءات الفّكرية للشّاعر ولد بلخير، فنلمس تمثيلا واضحا ومشخصـــا في رثائه "سليمان" أبن بوعمامة، حيث يصور حالة الحزن والأسى الــتّي لحقــت به جراء فقدان أحد أولاد العزيز، فشخّص نفسيته الرّقيقة المتفجعة الباكية على فراق سليمان، ومثّل لوعة الفراق، والتّي تعكس قوّة العلاقة التّي تربط بين الشّاعر والشّيخ بوعمامة، يقول الشّاعر محمد بلخير واصفا الحالة النّفسية لفراق الشّيخ بوعمامة:

أَبْكِيتْ فِي مْقَــامَكْ حَــتّى بْكِيتْ يُومْ الــخْمِيسْ فِي الــتَّاقَة الغَرْبِيَة

صَدِيتْ مَــنْ بْلاَدَكْ رَانِي صَدِيتْ غَيْظَــانْ مَارْسَلْتْ مْشَــايَخْ لِيَّ[2]

الظّاهر أنّ الشّاعر يعيش عذابا شديداً وحسرة عظيمـــة لـــفراق الـــشّيخ بوعمامة، وهو ما تفسّره عبارة " ابْكِيتْ فِي مْقَامَكْ حَتَّـــى بْكِيتْ"، فتكـــرار فعل البكاء دلالة على الحزن الشديد، والاحتراق الذي أصاب الشّاعر لفقدان الشّيخ، حيث تتبلور نظرته إلى الفراق، في إدراك المعـــانيّ الـــتّي وظّفها الشّاعر في الأبيات، والتّي أكبر في فراق الشّيخ بوعمامة،حـــتّى أنّـــه لم يستطع البقاء في مقامه، ورحل راجيا من الله أن يبعث خليفته إلى هذا الشّعـــب المكسور، حتّى يساعدهم في مآسيهم ومعاناتهم.

1- التلّي بن الشيخ،المرجع السابق، ص: 239.

2- أ. العربي بن عاشور أشعار محمد بلخير، ص: 239

وقد مثّل الشّاعر الشّعبي الشّيخ بوعمامة بعدّة صور ذات دلالات مختلفة، كأن يراه مرّة أخرى في المعارك الفارس المغوار، وفي السلّم الجواد المعطاء، فالشّاعر دائم التتوّق إلى إعطاء صورة الكمال للشّيخ، وبعد الفراق يزداد إحساسه بالتّعلق به، فتتصور في ذهنه تلك الصّور المثّاليّة، وهذا دليل على الحبّ الذي يكنّه الشّاعر للشّيخ بوعمامة وأولاده.

فالشّيخ بوعمامة أصبح موضـــوعا يعالجه الشّعراء الشّعبيّون من خلال جعله النّموذج المتكامل؛ نموذجَ الـــرّجل الشّهم الذّي يتغنّى به الشّعراء، وكان الهدف في ذكر سمات الرّجل أنّه يعتبره رمـــزا من الرّموز التّي بنت لنفسها مكانا في الذّاكرة الشّعبية، يخلّدها الشّعراء في قصائدهم، ويتغنّى بها ويفتخر بها في محافله.

ومن هنا نلاحظ أنّ الشّعراء الشّعبيين واهتمامهـــم بالشّخصيّة السّياسيّة للشّيخ بوعمامة مبنيّة على ربط مفهوم الثّورة بالعقيدة الإســـلامية، فالاستعمار قبل أن يكون عدوا للجزائر فهو عدوّ للإسلام، «لذلك فإنّ الدّفاع عن الجزائر، والحفاظّ على استقلالها، يعني الدّفاع عن الإسلام»[1].

يجسد الشّاعر الشّعبي في القصيدة الألفاظ والرّموز المتضمنة للمعانيّ الإسلامية، لأنّ الإسلام هو المقياس الذّي يعتمده المجتمع في تحديد هوية الفرد، والشّاعر يؤمن بالدّور الذّي تقدمه القصيدة للمجاهدين وشباب المنطقة، وذلك بحثّهم على الجهاد ورفع معنوياتهم.

1– التّلّي بن الشّيخ، دراسات في الأدب الشعبي، ص: 85.

كما أنّ للقصيدة دورا في فضح السياسة الاستعمارية التّي تعتمد الظّلم والقهر لإضعاف الشّعب، حتى يتسنّى لها السيطرة عليه، كما تعتمد أيضا على سياسة السّلب والـــنّهب لـــحقوق الأهالـــي، الـــمتمثلة في الأراضي والمنازل والممتلكات.

وما قدّمه الشّاعر في قصائده، ما هو إلاّ عيّنة للأحداث التّي قد يعجز القلم عن وصفها، لكن التّاريخ قد رصدها وسجّلها وهي راسخة في المخيَال الشعبي للفرد الجزائري؛ لأنّها تمثّل جزءا من الحياة الاجتماعية.

يقول الشّاعر ابن السّايح الخثّير في قصيدته " يَا وَطْنِي":

نَاسْ الصَّحْرَا كِي تَهْدَرْ يَاهَدَّارْ أُذْكُـــرْ دِيمَا بُوعْمَامَةَ وَأَعْوَانَهْ

كَمْ مَنْ عَامْ وْهُوَ يْكَافَحْ دَارْوْدَارْ وَقْتَلْ مَنْهُمْ مَا قْتَلْ فِي مِيـــدَانَهْ[1]

إذا تأملنا هذيّن البيتّين نلاحظ تلك الصّورة الشّعبية التّي رسمها الشّاعر عن شخصية الشّيخ بوعمامة، والتّي تحمل دلالات رمزية، مثّلهـــا الشّـــاعر في قوله "يْكَافَحْ"، والتّي تحمل على عدّة دلالات؛ أهمّها القدوّة الحسنة والأخلاق الصالحة والأسلوب المميّز في إيضاح أمور الدّين والجهاد والدّفاع عنها وعن الوطن، فقد كافح ووقف سدّا منيعا في وجه الدّخلاء علـــى الوطن والمحرّفين للإسلام وتعاليمه الدّينيّة، كما تدلّ على أنّه كافح طويلا لطمس ومحـــو معـــالم الاستعمار في النّفوس، كما كافح العناد وكيد الظالمين

1- د.إبراهيم شعيب، الدّيوان المثّير للشّاعر ابن السّايح الخثّير، مطبعة رويغي، الأغواط،ط1، 2006م، ص: 110.

وإعراضهم عن السيّر في درب الإسلام. وتمثّل اللفظة (يكافح) أيضا أنّه قاتل بكلّ قوّة أعداء الدّين والوطن، حتّى يخلّص الشعب من سياسة التّعسف والاضطهاد التّي مارسها الاستعمار على الشّعب الضّعيف الذّي لا حول ولا قوّة له.

فالشّاعر بهذا يحمل رسالة إلى الجيل القادم، فحواها أنّ الأمل والنّجاح يكون داخل النّفس، وبناء الوطن يكون بتعاليم القرآن والعقيدة السمحاء؛ لأنّ غاية الإسلام بناء المجتمع الذّي تنعدم فيه مظاهر الجريمة وأسباب الفحشاء والمنكر، فيصبح المجتمع نظيفا من الوقاحة، والنّداء أساسه الطهر وعماده الحياء...

وقد استعمل الرّمز في تكراره للفظة " دَارْ" مرتين، ليؤكّد أنّ الشّيخ بوعمامة فاعل وليس قائلا، يفعل ما أمره الله به، ويجاهد في سبيل الوطن، ويسعى إلى تحرير الشّعب، فهو رمز الصّمود والقوّة والصّبر.

وقد مثّل الشّاعر بوعمامة في الوحدة الموضوعية " قْتَلْ مَنْهُمْ مَا قْتَلْ فِي المَيْدَانْ "، للدّلالة على الشّجاعة والإقدام والقوّة في مواجهة العدوّ، وتتعمّق دلالة "القتّل" أكثر عندما يستحضرها الشّاعر إلى جانب شخصية الشّيخ بوعمامة، وتكرار لفظة" القتل" مرتين، للدّلالة على كثرة الأموات الذّين أسقطهم في ميدان المعركة، فالشّيخ يعتقد في قتله للعدوّ فيه ميلاد للمسلمين وإعادة المجد لهم، والذّي ضاع منذ ظهور الاستعمار في البلدان الإسلامية، وتكرار لفظة القتل، عمق دلالة الموت أكثر للعدو.

والشّاعر في تمثّلاته لشخصية الشّيخ بوعمامة يحرص كلّ الحرص، على ربط الشّخصية بالرّمز التّاريخي الدّال على العظمة والعزّة ممتلئة بالنّصر والفخر، فهو (الشاعر) يعيش في واقع يحتّم عليه التّفاعل من حيث الأحداث؛ لأنّه لسان الشّعب الذّي يعبّر عن معاناته ويسرد الأزمات والمحن التّي سبّبها الاستعمار، فالشّاعر صادق يعكس هذه المعاناة في شعره، بعد أن أحسّ بها ونطق بها وجدانه، فتكون القصائد صادقة عاكسة لأحاسيسه ومعبرة عن نظرته الى الاستعمار، فهو بذلك جزء من هذه المعاناة.

إنّ الرّموز التّاريخية الممثّلة في شخصية الشّيخ بوعمامة، والتّي وظّفها الشّاعر في نصوصه، تعبّر عن العلاقة الموجودة بين الشّاعر، باعتباره ممثّل الشّعب والشّخصية الرّمزية للشّيخ بوعمامة، فتعكس القصيدة الصّور الذّهنيّة الموجــودة في المخيّــال الشّعبيّ، وتوضيح الارتبــاط الحاصل بين الشّعب والشّخصيّــة، فاستــحضار الشّاعر للشّيخ في قصائده يهدف إلى تعميق دلالة المعاناة، التّــي عاشــها الشّعــب في ظلّ التّسلط الاستعماري، وسياسة محو الأسس الشّعبية التّي يبنى عليها الفكر الشّعبيّ الجزائريّ، والمتمثّلة في الدّين واللّغة العربية والأصل الأمازيغــي، فيلجــأ إلى الشّخصيّة التّي يراها الأنسب، ويوظفها كوسيلة ترفع معنويات الشّعب وتدفع به إلى الصّمود والمقاومة والدّفاع عن الدّين والوطن.

الفصل الثانـي:

تمثّلات الشّعر الشّعبيّ لشخصية عبد الحميد بن باديس

1- تمهيد

2- المبحث الأول: البّعد الاصلاحيّ الثّقافيّ والدّينيّ

3- المبحث الثاني: البّعد الاصلاحيّ الاجتماعيّ

4- المبحث الثالث: البّعد الاصلاحيّ السيّاسيّ

1 - تمهيد:

تعتبر دراسة الشّعر الشّعبيّ وتسليــط الضّوء على شخصية ابن بـــاديس مكسبا مهما للباحث في مجال الأدب الشّعبي، وهــو ما يدعــونا إلـــى إظهـــار أهمّ المواضيع السّياسية التّي عالجتها القصيدة الشّعبية، ودراسة نقاط التّماثل الفكريّ في القصيدة، من حيث وجود صورة الشّيخ ابن باديس في القصيدة أولا، ثمّ في الفكر الشّعبيّ عامة. والسؤال المطروح هو: ما هي أهمّ الصور التّي رسخت في الفكر الشّعبي عن الشّخصية السياسية لابن باديس؟ وهــل وظّف الشّاعر عــدّة صور حول الشّخصية أم اكتفى بتوظيف صورة واحدة فقط؟

سنركز في هذه الدّراسة على شخصية سياسة أســـاسية في جمعية علماء المسلمين الجزائريين، حيث نستخرج أهمّ التّمثّلات التّي وظّفها الشّاعر الشّعبي في القصيدة، والتّي تتنوع بطبيعة الحال وتختلف بحسب الأبعاد التّي تصبّ فيها.

قبل الحديث عن هذه الأبعاد، لابـــد من الإشارة إلى الحياة الفكرية التّي عاشها المجتمع الجزائريّ قبل وأثناء ظهور الشّخصية؛ لأنّ المجتمع الجزائري كان يعيش فترة صعبة أثناء الاستعمار، يمـــلأها الـــذّل والهوان وكل الأشكال التّسلط مما أدى إلى انتشار الفقر والجهل الذّي أفقدهم طعم الحياة والرّغبة في الوجود، ولـــمّا ظـــهرت جمعية العلمـــاء المسلمين، حـــاولت تغيير هذا الفكر المتخلّف، وحاربت كلّ أنواع الجهـــل، لـــكنّ اعترض طـــريقها الـــعدو

الأكبر (الاستعمار)، الــذّي حــاول تفريقها وأضعف قوتها، حتّى يشلّ أعمال الجمعية وأفكارهــا الــهادفة إلى إصلاح وتنقية فكر الفرد الجزائري من هذا المرض الاجتماعي والثّقافي والدّيني والسّياسي.

لــقد شوّه الاستعمــار الفّكر الاجتماعيّ والثّقافي وحتّى الديني، كما زرع الفتن بين الأهالي، في سياسة سُمِّيت في ذلك الوقت ب" سياسة فرق تسود"، التّي عرف بها الاستعمار الــفرنسي، كــما حاول أن يشوه الفّكر الشّعبي بغرس الأبــاطيل والخرافــات، حين أنشأ بعض الزّوايا وسخّرهــا لأغراضه الاستعمارية، وحــاول أنّ يوهم النّاس بأنّ وجوده حماية للدّين وزرع العقيدة الصحيحة، أمّا حريتهم فهي الأمن والاستقرار.

وكان الــهدف من ظهــور جمعية العلماء المسلمين، هو إصلاح المجتمع الجزائريّ فكريّا ودينيّا، وذلك «بالعودة إلى منابع الدّين الصّافية، والثّورة على البدع التّي استحدثها الطرقيون، ونــقد الواقع والخروج من التّخلف المادي، والتحرر من الجمود الفكري»[1].

فالشّخصية السّيــاسية للشّيخ ابن باديس[*]؛ شخصية فكرية صنعتها مواقفه وأعماله الإصلاحيّة، وقد تناولها الشّعراء الشّعبيّون كرمز من رموز

1- الوناس شعباني، تطور الشّعر الجزائريّ منذ سنة 1945م حتّى نهاية سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1988م،ص 24.

*- هو عبد الحميد بن باديس الصنهاجي نسبة إلى قبيلة صنهاجة، وهي أشهر وأقوى القبائل البربرية في الجزائر، ولد سنة 1889م، والده هو مصطفى بن مكي بن باديس حامل كتاب الله، امتازت عائلته بالشّهرة في العلم والنّفوذ في الحكم والثّراء في المال، ولها دور سياسيّ وعلميّ في تاريخ المغرب العربيّ، حفظ القرآن على يدّ الشّيخ محمد المدّاسي، وأتمّ حفظه في السنة الثالثة عشرة من

الإصلاح، فهو بالنّسبة لـــهم أسطـــورة في المخيّال الشّعبيّ، تستحق الذّكر والإشادة، كما يمكننا أنّ نلـــمس الميـــول الشّعبيّ لهذه الشّخصية؛ لأنّه هو بيّن للعرب والعالم كلّه، ذلك الانتماء العربيّ والإسلامي.

1-المبحث الأول: البّعد الإصلاحيّ الثّقافيّ والدّينيّ

تمتـــاز الـــقصيدة الشّعبية بخصوصية ذكر الأبطال والتّغني ببطولاتهم، وأعمالهم الفكرية والدّينية وأثرهم على المجتمع، فيحسن الشّاعر توظيفها بحيث لا تؤثِّر في جماليات القصيدة الفنّية، وتعطيها صورة من الإبداع والجمال.

ومن بين المـــواضيع الـــتّي نجدها بكثرة في القصائد الشّعرية الشّعبية، التّحدث عن مخلّفات الاستعمار، وتأثيره عـــلى الفكر الشّعبيّ الجزائريّ، حيث يبدع الشّاعر في تصويرها، باستعماله الـــرّمز الذّي يوضّح ثقافة الشّاعر، والتّي تبدو عند الكثيرين ثقافة محدودة، والحقيقة عـــكس ذلك؛ لأنّ الشّاعر الشّعبيّ قد أثبت أنّـــه لا يختلف عن غيره من شعراء الفصيـــح، فهو يملك رصيـــدا ثقافيّا وأدبيّا، يجعله يصور الأحداث بطريقة أقل ما يقال عنها أنّها فائقة في الإبداع.

عمره، تلقى المعارف الإسلامية والعربية على يد الشّيخ أحمد أبو حمدان لونيسي بجامع سيدي محمد النّجار، أكمل تعليمه الثّانوي والعالي سنة 1908م، بجامع الزيتونة المعمور، هناك تفتح عقله وذهنه على آفاق واسعة من العلوم والثّقافة الإسلامية، والطّلع على أمهات الكتب والمخطوطات النادرة والنفيسة.

أدّى الشيخ ابن باديس فريضة الحج سنة 1913م، وألقى خلالها عدّة دروس في المسجد النبويّ، والتقى بكبار العلماء، والتقى بالشيخ البشير الإبراهيمي، وهناك ناقشا الوضع المزري للشّعب، وحاولا البّحث عن السّبيل لإخراجه مما هو فيه.

إنّ الشّاعر الشّعبي في ذكره للأحداث المزرية يصوِّر مشاعره على أنّها تتقطع من شدّة الحزن على فراق الشّخصية، وما حلّ بالبلاد جرَّاء الاستعمار، يقول الشّاعر عمر بن موسى* في قصيدة "ابن باديس":

أَتْفَكَرْ يَـــا جِيلْ رَايَدْ نَـهْضَتْنَـــا   وْعَنُـــوا رَحَّمْ فِي انْهَارْ أَنْ فَرَقْنَاهْ

اِمَـــامْ الاِصْـــلاَحْ حَصَّنْ أُمَتْنَا   بَالْعِلْـــمْ وَالإِيمَانْ دَرْسُو مَا نَنْسَاهْ[1]

ويمكن أن يكون هـــذان البيتان مفتاحين للكشّف عن شخصية ابن باديس وعن الوضع الاجتماعي الذّي ارتبطت به الشّخصية، ويمكن أن تساعدانا على فهم نفسية الشّاعر، وموقفه من الاستعمار، والأوضاع التّي عاشها الفرد الجزائريّ.

يتحدث الشّاعر عن ابن باديس كرائد للنّهضة بوقوفه ضدّ تلك الأساليب الاستعمارية، ومحـــاولته نشرها في الفكر الشّعبيّ، فاستعمال الشّاعر للوحدة الموضوعية (رَايَدْ نَهْضَتْنَا)، دليل على أنّ الأمر لا يخلو من الأبعاد الرّمزية، التّي تعبّر على أنّ للشّخصيـــة بصمات في التّغيير الفكريّ والاجتماعي؛ لأنّ المجتمع الـــجزائريّ وقت الاستعمـــار قد تأثر بتلك الأكاذيب الاستعمارية، وأخصّ بالذّكر هنا ما يتعلق بالأمور الدّينية والتعليمية...

---

*- الأستاذ عمر بن موسى روينة، ولد في 1967/09/01 ببلدية البسباس ولاية بسكرة، درس المرحلة الابتدائية في بلدية قايس(الأوراس)، ومرحلة التعليم المتوسط بخنشلة، ومرحلة التعليم الثانوي بأولاد جلال(بسكرة)، متحصل على عدّة جوائز في الشّعر الشّعبيّ، منها جائزة عيد التمور بولاية بسكرة، وجائزة الامام عبد الحميد.

1- عمر بن موسى، قصيدة ابن باديس، غير منشورة(على لسان الشاعر).

والشّاعر رغم نشأته وقت الاستقلال، إلاّ أنّه يعرف جيّدا أنّ الفّكر تأثر بهذه الأساليب، والدّليل على ذلك، أنّه ما يزال يتمسك بمصطلح العـــروشة في وقتنا هذا.

و يهدف الشّاعر الشّعبيّ في تمثّلاتـــه حول الشّخصية، إلى عـــكس ذلك الشّعور بالفقدان أو اليأس تجاه الحالة المزّرية الـــواقعة، والتّي أثرت في الفكر الاجتماعيّ للفرد، باعتبار الشّاعر فردا منهم، يصارع مثّلهم ويحسّ بمعاناتهم، فهو يرفض هذا الوضّع، ويتعاطف مع أبناء وطنه، ويتضامن معهم بالوقوف ضدّ هذا العدو.

أمّا عن الشّخصية التّاريخية التّي يوظّفهـــا الشّـــاعر الشّعبيّ في قصائده، فــ «هي التّي يكون التّاريخ بأحداثه وزمانه، ومكانـــه مقومات رئيسية في تصويرها الفنّي. وأحيانا تتخذ من الأدب الشّعبيّ مصدرا لأحداثها وشخوصها»[1].

وهو ما نراه من خلال توظّيف الشّاعر لشخصيـــة ابن باديس في القصيدة الشعبية، فإنّنا نلمس ذلك الحضور الفكريّ والثّقافي، من خـــلال استعماله لبعض الـــمصطلحـــات مثل: (حَصَنْ أُمَتْنَا) و(إِمَامْ الإصْلاحْ) و(بِالْعِلْمْ وَالإِيمَانْ) و(دَرْسُوا)،كلّها توحي إلى التّأثر الثّقافيّ وتأثيره على الفرد.

1– أ. د.مصطفى السيوفي، تصوير الشّخصيات في قصص محمد فريد أبو حديد، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية، القاهرة، ط1، 2011م، ص111.

ويسعى الشّاعر من خلال هذا التمثّل إلى بثّ روح الوعيّ والنّضال في الفكر الشّعبيّ. كما يساند أفراد مجتمعه ونظرتهم إلى شخصية ابن باديس التّي تحمل صفات ومؤهلات خارقة، «في البطولة والإقدام والشّجاعة، لقهر الظّلم الواقع عليهم، سواء كان في المجتمعات القديمة أو الحديثة»[1].

والواضح من خلال هذا أنّ الشّاعر يرفع من قيمة الشّيخ ابن باديس، من خلال ذكره لهذه الوحدات الدّالة على علمه وثقافته الدّينية، وهي صـــورة فنّية أبدعها الشّاعر الشّعبيّ بتعبير، قد يظهر في البداية تعبيرا مجازيا، «لكنه في الواقع تعبير عن الحقيقة الدّاخلية»[2].

يحـــاول بذلـــك، الـــوصول إلى الحقيقة عن طريق ذكر صفات وأعمال الشخصية التّي لها دور كبير في المجتمع.

إنّ موضوع التّمثّلات، الذّي نعالجه في هذه الدّراسة، حول شخصية الشّيخ ابن بـــاديس يضعنا أمام صور مختلفة، قد وظّفها الشّـــاعر الشّعبيّ للدلالة على المخبـــوءات الـــنّفسية والـــفّكريـــة، وهي دليل على الصّراع القائـــم بين ما هو مرفوض وما هو مرغـــوب به في المجتمـــع الجزائريّ على وجه الخصوص، فنلمس تلك الدّلالات النّفسية، داخل الصّورة الـــتّي يعالجها الشّاعر الشّعبيّ، في ذكره شخصية ابن باديس، وتوظيفه للشّخصية كوسيلة لردع الاستعمار وأفكاره المغروسة فـــي فكـــر الـــفرد الجزائري،

1 – أ. د.مصطفى السيوفي، المرجع السابق، ص112.

2 – نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدس، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 م، ص91.

فيكون البعد الثّقافي وسيلة لتحقيــق المراد الذّي يصبو إليه الشّاعر الشّعبيّ، حين يوظّف الشّخصية كوسيلــة يؤثر بها نفسيّا على الفرد، وهذا ما أكده عبد الله راجع حين قال: «إنّ نجاح الصّورة الشّعرية، في أداء مهمّتها على الوجه الأكمل، إنّما يعود إلى الانسجام والتآلف، الذّي يحصل بين هذين المستويين»[1]، إشارة إلى المستوى المعنــويّ والنّفســي، فربط المستويين معا، يوصل الشّاعر إلى دلالات الصّورة الواضحة، أو الصّورة الذّهنية في فكر المتلقّي.

يقول الشّاعر محمد بوشتّة، في مطلع قصيدة " ابن باديس":

يَا شَعْــبْ بْــلاَدِي زُوخْ الْــيُومْ وابْنْ بَادِيسْ زرْعْ فِيكْ رُوحْ التَضْحِيَّةْ

وَالعُلَمَاءْ جْعَلْهُمْ رْبِي مَثْلَ نْجُومْ ضَاوْينْ مَثْلَ المْصَابِيحْ عْلَى البَشَرِيَةْ[2]

تستوقفنـــا في هذه الأبيات صورة شعرية مثّلها الشّاعر بوشتة، للكشّف عن دلالـــة القصيدة الــشّعبية، حــين وظّف صورة استعارية يوحي بها إلى قيمة شخصية الشّيخ ابن باديس، حيث شبّهه بالعلماء، لكن في الحقيقة هي صورة ليس استعارية؛ بل هي حقيقة موجودة، كانت أعمـــاله وأثاره شاهدا على ذلك. ويريد باستعماله هذه الصّورة إبراز الجانب الحسّي، القائــم عـــلى علاقة بين الشّاعر والشّخصية السّياسيّة، من جهة، وبين الشّخصية وأفراد

1-عبد الله راجع، القصّيدة المغربية المعاصرة (بنية الشّهادة والاستشهاد)، دار قرطبة للطباعة والنّشر والتوزيع، الدّار البيضاء، (د. ط)، 1988م، ص238.

2 – فتيحة ولداي تبنية، شعر محمد بوشتة الشّعبي– جمع ودراسة–، مخطوط مذكرة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2007م، ص131.

المجتمع من جهة أخرى؛ لأنّنا نلمس ذلك التّأثّير المعنويّ والنّفسيّ، من خلال تتبّع أبيات القصيدة كاملة.

ونلاحظ أيضا، أنّ صورة الشّيــخ ابن بـــاديس قد تتحقق لفظيا باستعمال الرّمز الذّي يعكس واقع المجتمــع الجزائري، الــذّي يعاني فكريّا ونفسيّا جراء الاستعمار، فتكون الصّورة الذّهنية وسيلة يستعين بهــا الشّاعر الشّعبيّ، ليقاسم الشّعب أحاسيسهم الوجدانيّة وارتباطهم الثّوري.

أمّا في الصّورة الثّانية التّي يظهر فيها الشّيخ بن باديس، على أنّه نجم يضيء ما حوله، فهيّ بنية اسمية لها دلالــة عميقة، توضّح شيــئين أساسيين، الأوّل هو أنّ الشّعب الجزائري كان يعيش في جهل وظلام، من خلال الأفكار الاستعمارية المغروسة في كيّانه. والثّانية أنّ الشّخصية السّياسيّة لابن باديس، هيّ شخصيّة عالمة بأمور الدّيــن، متفــقهة في الشّريعة الإسلامية، وجدت من أجل إصلاح المجتمع من الأفكار الفاسدة للمستعمر، وينقّي المخيال الشّعبي الجزائريّ من هذه الأفكار التّي لا أصل لها ولا مرجع. يقول الشّاعر"حويلي مزروع"* في قصيدة " نوفمبر":

قَاضُونَا شبُّانْ ضَــاعُو فَــالشَّدَّةْ — كِي نَتْفَكَــرْ مُوتْهُمْ تَبْقَى حَايَرْ

لَكِنْ بَنْ بَادِيسْ كَانْ عْلَــى هُدَى — قَالْ اَلْمُؤْمَنْ لاهْ يَخْضَعْ لَلْكَافِرْ

رَانَــا مُسْلِمِينْ مَانَــاشْ قْرُودَةَ — حْنَايَا هُومَا أَوْلاَدْ الجَزَائِرْ[1]

*- هو حويلي بن أحمد بن بلقاسم بن عمر بن أحمد بن محمد بن مزروع، ينتمي إلى عرش أولاد حركات بن زكري بن نايل، ولد في 1963/11/06 ببلدية البسباس، دائرة سيدي خالد الواقعة في ولاية بسكرة.

1- حويلي مزروع، ديوان شعر الشعبي بعنوان قوافي ودموع، دار الفجر، الجزائر، 2011م، ص24.

يتوّلد من خلال قراءتنا لهذه الأبيات شعور وإحساس بالغبن لفقدان الشّبان، لكن حقيقة الفقدان، لم تكن موت الجسد كما ذكر في عجز البيت الأول، وإنّما مــوت العقل والفكر، والدّليل على ذلك استعماله لفظة "ضاعو"، التّي ترمز إلى ضيــاع الفّكــر، ولــيس ضيــاع الجسد، ووقت الشدّة كما ذكر الشّاعر، هو الاستعمار وأساليبه، التّي تدعو إلى ترك العقيدة، وإتباع أفكار لا أساس لها. وهو ما يفسّره الشّاعر الشّعبيّ في البيت الثّاني، حين ذكر أنّ ابن باديس كان على هدى، ولــم يتأثر بهذه الأساليب، هو الذّي وجّه الفرد ونصحه وحاول إخراجه مما هو فيه، كما حاول إصلاح فكره التائه، الــذّي فقد القدرة على التّميّيز بيّن ما هو حقيقة وما هو كذب، بين ما ينفعه وما يضرّه.

إنّ الشّاعر" حويلي مزروع" رغمّ أنّه عاش فترة الاستقلال، إلاّ أنّه تأثّر كغيره، من الأساليب الاستعمارية، وثــار من خلال شعره الذّي يواكب العمل الثّوري ويدعو له، وخلّد الثّورة لأنّ الشّعر أساسه القناعة الذّاتية، وحبّ الوطن واجب على كل فرد جزائريّ، ورغم الاستقلال لم يبخل على أفراد وطــنه، بكتابة شعر يمجد الثّورة، ويخلدّ الوطنية في النّفوس، وهو فخور بوجوده، رغم ألمه على ما حلّ بأفراد جلدّته، لكنّه يستبشّر بقدوم الــفرج، علــى يد شخصية سياسية وعالمة بأمور مــجتمعه وهو ما نلمسه في بعض النصائح التي يسعى ابن باديس لتقديمها للأفراد المجتمع الجزائري، من خلال قوله "المُؤْمِنْ لاَهْ يَخْضَعْ لَلْكَافَرْ"، فــالبنيّة الاسميــة تبيّن نوعية النّصائح التّي قدّمها ابن باديس لأفراد مجتمعه، والتّي تصبّ في إيقاظ الفّكر الشّعبيّ، من سبات الجهل الذّي

نشره الاستعمار، وما يوضّح ذلــك لفظــة " المؤمن"، ولفظة " الكافر" اللتان ترمزان إلى تباعد الأفكار بين الــمستعمر وشخصية ابن باديس، كما توحي إلى أن المستعمر يسعى إلى إغراق الفكر الشّعبيّ الجزائريّ في بحر الجهل والعقائد غير الإسلامية.

ونجد الشّاعر بن عزوز بن علي*، قــد أشار للدّور الذّي قام به ابن باديس، في إضاءة عقول الشّعب وإخراجه من محيــط الجهــل والأفكار الضّالة التّي أراد الاستعمار غرسها في المخيّال الشّعبي، حين قال في قصيدته "الله يَاجْوَادْ ":

يَــا سَــامْعِينْ انْشَــادِي نَــبْــتَــدَا قَــوْلِــي بَــالمْبَشَّــرْ

سِــــــرَاجْ لَــلْــعْــبَادْ الشَيْخْ عَبْدْ الْحَمِيدْ بَحْرُوا زَاخَــرْ

النــُورْ بِيــهْ أَغْشَــانَــا مَنْ هَذَا السَلْطَانْ يُومْ أَنْ جَــانَــا [1]

فصورة " أغشانا " التّي أطلقها الشّاعر على الشّيخ ابن باديس، توحي إلى قوّة الجهل، الذّي انتشر في المجتمع الجزائريّ، من السّياسة الاستعمارية التّي

*- شاعر شعبي ينتمي إلى قبيلة أولاد علي، من عرش سيدي خالد، يعرف في الأوساط الشّعبية باسم ابن عزوز الخالدي نسبة إلى سيدي خالد مسقط رأسه، لأنّه كان يوقع أشعاره بهذا الاسم، ولد سنة 1879م بسيدي خالد، تعلم مبادئ الكتابة والقراءة في سنّ مبكرة بالكُتّاب، حفظ ما تيسر من القرآن الكريم على عادة أهل ذلك الزّمان، رحل محمد ابن عزوز عن بلدته سنة 1920م، متوجها إلى فرنسا واستقر بمدينة ليون، تأثر بدينه وهو ما انعكس على قصائده، وزاده شاعرية.

1- أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد بسكرة، ص 132.

كانت تسعى إلى نشره في أوساط المجتمع، وابن باديس هو " السّراج" الذّي ينير بعلمه عقول الأفراد.

ونلاحــظ تكــاثف الصّور الذّهنية، التّي مثّلها الشّاعر في ذهن القارئ، باستعماله الصّور الاستعارية الشّعرية، والتّي تظهر متراسلة ومتعلقة فيما بينها، والتّي تصبّ في الصّورة العامة، وهي العلم والدّين والثّقافة. وهي صفات العالم الذّي يكرّس حياته في سبيل خدمة الشّعب، وفتح أبواب المعرفة لكلّ طالب علم.

والشّاعــر الشّــعبيّ فــي هــذا الصدد يحــاول تــحذير أبناء وطنه من الاغترار بالكــافر، الــذّي يوهمهم بأنّه يسعى لتوفير الأمن والاستقرار، مستغلا بذلــك ضعفهــم وعــدم تحــمله الوضع المعاش، فيدعوهم الشّاعر إلى اتّباع أهلّ العلمّ والبّرهان، أصحــاب الأخــلاق الكــريمة. ويواصل الشّاعر محمد ابن عزوز في تمثّلاته لشّخصية الشّيخ ابن باديس فيقول:

تَــحْقِيــقْ ذَا المْعَانِــي	**تَجِدْهَا فِي رَايَسْ الأَخْوَانِــي**
يَبْنَــاهْ فِــي الأَرْكَانِــي	**كِــقْمَــرْ الــمُنِيرْ لَنَا يَظْهَرْ**
تَمْثِيــلْ فِــي لْسَــانِــي	**الشِيخْ عَبْدْ الْحَمِيدْ مَنَهْ أَكْثَرْ**[1]

أكثر الشّاعر محمد بن عزوز من استعماله الصّور الشّعرية، عندمــا تحدّث عن الشّخصيّة السّياسيّة لابن باديس، فتارة يشبّهه "بالبحر"، وهذا للدّلالــة على

1- أحمد الأمين، المصدر السابق، ص135.

قدرته الإصلاحية والقيمة العلميّة، التّي اكتسبها من عالمه المعرفيّ، ولأخرى يصوّره "بالقمر" الذي ينير المكان ليلا. وهي دلالة على قدرته الإقناعية، وقدرته على إصلاح المجتمع ونقله من حالة الجهل إلى العلم بمبادئ الإسلام والعقيدة السمحاء. ويصوره مرة أخرى بالبنّاء الذّي يبني الفكّر، على القاعدة الصّحيحة التي يكون أساسها الدّين والعلم. يقول الشّاعر الحاج لعمارة* في قصيدته" اْلوَطَنْ وَاْلثَوْرَةْ":

سِي عَبْدْ اْلحَمِيدْ طَــوَاعْ الجُهَالْ وبَاعَثْ النَهْضَةْ العَرْبِي فِي الأَصْلْ

هَزْ اسْلاَحَــكْ مَاتْهَابْشْ مَنْ لَنْذَالْ بَنْ بَادِيسْ قَــالْ يَاجِــيــلْ اْلأَمَــلْ[1]

يشير الشّاعر في البيت الأول إلى مسألة مهمّة تتمثّل في "النهضة" ضدّ الفّكر الاستعماريّ، فهو يريد المساهمة بالقلم لأجل تغيير هذا الفّكـــــر، حتّى يرسم لنفسه مكانه في الذّاكرة الشّعبيّة الوطنيّة، فمرحلة النّهضة التّـــي يقــودها الشّيخ ابن باديس، هي المرحلة الإصلاحية الثّائرة، التـــي انتعش

*- الحاج لعمارة من الشّعراء الشّعبيّين المعاصرين، ولد بسيدي خالد في 1959.01.29م، تلقى تعليمه بالكّتاب ثمّ المدرسة الابتدائيّة، متحصّل على مستوى الرّابعة متوسط سنة 1976م. بدأ ينظم الشّعر في بداية السبعينات، ويجمع التراث الشّعبي في سنة 1984م، وخاصة الشّعر الشّعبي،أصبح من أشهر رواة الشّعر الشّعبيّ جمعا وحفظا.

عالج في شعره عدّة أغراض، كالغزال والمدح والرّثاء والقضايا الاجتماعية والوطنية والشّعر الدّيني. شارك في العديد من الملتقيّات والمهرجانات الوطنيّة والمحلّية، منها مهرجان حيزية بالعلمة (سطيف)، كما شارك في الملتقى الدّولي: الخيمة فضاء للقيّم الإنسانية والعيش المشترك، نال جوائز تشجيعية منها الجائزة الأولى الوطنية، ووسام الكلمة الذهبيّة، ووسام التقدير من قبل رئيس الجمهورية.

1- أحمد أمين، المصدر السابق، ص269.

فيهـــا الفكّــر والأدب، فأصبح الفرد الجزائري وسيلة من وسائل الجهـــاد، ففي هذه المرحلـــة «كانت تقض مضاجع العدو وتلك الثّـــورة الفكّـــرية الـــتّي يشغــــل أتونهـــا رجـــال الفكّر»[1].

لذلك كـــان الشّاعـــر الشّعبـــيّ- باعتبـــاره أديب الثّورة- يحمل عبءًا ثقيلا، هو مشكلة تواجه العدوّ باعتباره مركز الإعـــلام، ووسيلـــة لـــنشر الأحداث الواقعة في المجتمع.

وبالعـــودة إلـــى البيت الشّعـــري للشّاعـــر الحاج لعمارة، نلاحظ ذلك التمثّل في البنيّة الفعلية "بَاعَثْ النَّهْضَةْ"، والتّـــي توحي إلى دلالات مختلفة زمنية ومكانية، فالشّاعر ينسب الحملة الإصلاحية إلـــى شخصية ابن بـــاديس، ويتمنى أن تكون حياته وحياة أبنائه وأبناء وطنه وأمته كما يتمناها هذا الشيخ، ونلمس تلك الغـــيرة علـــى العروبـــة والإســـلام حين يربط هذا التمثّل بكلمة "العَرْبِي"، ويعني بالعروبة، العربية التـــي هي لغة القرآن الكـــريم. و«الملاحظ أنّ اللّغـــة العربيـــة في تلك الظروف، كانت أهمّ المطالب الوطنية التّي كانت جمعية العلماء تطالب بها»[2].

1 – أحمد دوغان، شخصيـــات من الأدب الجزائريّ المعاصـــر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ط)، 1989م، ص45.

2 – التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م- 1945م)، ص342.

ومن خلال اللّغة، يعلّمنا كيف نتحدّى فداحة الخطب ونقهر قوة الاستعمار، أمّا في بنيّة "طَوَاعْ الْجُهَالْ" فلها دلالة رمزية تدفع الشّاعر الشّعبي «إلى ابتداع علاقات عديدة داخل البنيّة التّركيبيّة»[1].

فالشّاعر يريد أن يصورّ الشّخصيّة السّياسيّة لابن باديس في عدّة صورّ داخل الصورة الواحدة، فكلمة "طَوَاعْ"، لها عدّة وظائف في النّص؛ منــها أنّه يعلم الفرد، ويعطيه الأفكار الصحيحة والسّليمة، وقــد تتعدّى ذلك إلى استعمال القوّة في حالة ضعف قوة الاستيعاب، أمّــا الصّورة المجملة فتتمثّل في أنّ ابن بــاديس لن يتراجــع عــمّا بدأه، حتّى يخرج الفرد من ذلك الفّكر الاستعماري العميق. أمّــا كلمة "الجّهال " فيعني بها الإنسان الــذّي لا يفــرق بين الخطــأ والصّواب، لا يفــرق بين الــعدو والــصديق، لا يفرِّق بّين العقيدة الصحيحة والمزيّفة، كلّ هذه الدلالات يجمعها الشّاعر الشّعبيّ فــي البنيّة الفعلية "طواع الجهال".

وقد نجد مجموعــة من الشّعــراء الشعبيّين، يرمــزون إلــى الشّيخ ابن بــاديس "بالمصلح"، الذّي يــخرج المــجتمع من ظلمــات الجّهل الاستعماري إلى العلم بالمُثل العليّا، والقيّم الدّينيّة. يقول الشّاعر الشّعبي "أحمد شوقي"*:

---

1 – نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدّس، ص 37.

*– القصيدة بعنوان " في مدّة أسبوع انتشرت الأخبار"، وهي قصيدة ثورية من نظم أحمد شوقي، هو من مواليد 1932 بالأولاد عيسى ولاية غليزان، وقد نظمها في خمسة أجزاء : الجزء الأول سنة 1954 والجزء الثاني سنة 1956 والجزء الثالث 1960 والرابع والخامس سنة 1962.

قْــوَامْهَا اْلاَمِيــرْ خَالَدْ وَاْلأَخْبَــارْ ابَــنْ بَــادِيسْ بَاْلعِلْمْ فَطَنْ الغَفْلَى[1]

يلاحظ من خلال هذا البيت، أنّ الشّاعر كان حالما متمنيّا راجيّا بقاء الشّخصية، التّــي وقّعــت ببصماتها في الفّكر الشّعبيّ الجزائريّ، وأثرت فيه وهو دليل أنّ الشّعب، ليس شعــبا جاهلا؛ بــل ظروفه المعيشية القاسية التّي كان الاستعمار سببا في وجودها، جعلته يتبعه ضعفا وليس جهلا، فلم يجد من يوقظ فيه القوّة المكبوتة التّي ظلّت خامدة داخل جسمه، وهذا ما لاحظناه في الثّورات الشّعبيّة الــعديــدة، التّــي قادها أبطال جزائريّون في السابق، وهو دليل أيضا على أنّ الشّعب يبحث عمــن يقوده ويوجهه، ففي داخله قوّة غير القوّة العادية، لا تجدها إلّا في الشخصية الجزائرية، هــي ميزة الفرد الجزائري التّي ورثها عن الأجداد منذ زمن بعيد، وهي راسخة لا يمكن لأي كان إضعافها.

إنّ الشّاعــر الشّعبيّ، كغيره من شعراء الجزائر، يحسّ بمعاناتهم ويعيش ذلك القهّر الذّي عــاشوه، لذلك فهو قريب من الشّعب، ويرى أنّ الشّعب غافل وليس جاهلا؛ لأنّــه لــم يجد من يوجهه، ويبيّن له السّبيل الصحيح، لذلك فهو يصور الشّيخ ابن باديس على أنّه العالم الذّي بعثه الله تعالى، ليزرع الوعيّ الصحيح ويخرج هذا الشّعب المحقور من ظلمات الغفلة، ووضعه في المسار الصحيح، هو مسار الإسلام والعقيدة السليمة.

1- أحمد حمدي، ديوان الشّعر الشّعبيّ شعر الثّورة المسلحة،ص: 135.

هذا النوع من الأشعار الشّعبية، يدعو فيه الشاعر إلى التحرر من قيود المستعمر، سواء أكانت هذه القيود سياسية أم فكرية ثقافية أم دينية عقائدية أم اجتماعية.

كما يدعو إلى رفع الظّلم، والوقوف ضدّ أساليبه حتّى ينصف الشّعب ويرجع حقه المسلوب، والمتمثّل في العيش الآمن والاستقرار الدائم. يقول الشّاعر المختار في قصيدة "الثامن مارس":

جَا سُلْطَانْ الفْصُولْ فِي عِيدَ كْ مَبْرُوكْ يَـــا أَرْضْ الْحَيَاةْ نَبْتَتْ فِيكْ جْيَـــالْ

أَنْـــجَبْتِ نَبِي حَـــرَّكْ مَنْ وَأْدَتْ بُـــوكْ وَصْبَحْ عَنْدَكْ حَقْ فِي وَسْطْ الرّْجَالْ

وَالأَمِيْـــر يْقُـــولْ ذِي بَنْـــتْ اْلمُـــلُوكْ وَبَـــنْ بَـــادِيسْ عَلْمَكْ بَالْعِلْمْ حْلَالْ[1]

يدعو الشّاعر المختار بن صدّيق إلى «المحافظة على عهدّ الشّهداء، ومواصلة بناء الجزائـــر، وذلـــك بالعلّـــم والمعرفة وعدم التّفرق والاختلاف...»[2]، وهـــذا الاختلاف إن وقع سيغرق الوحدة الوطنية، ويهشّ البناء الوطني الذّي ضحـــّى من أجله أكثر من مليون ونصف مليون شهيد.

وقصيدة "الثامن مارس" هي وسيلة من وسائل التّوعية والإرشاد؛ لأنّ الشّاعر يذكّر بأهـــمّ الشّخصيّات التّي أسهمت في بناء الدّولة الجزائرية، سواء أكان بالبناء السيّـــاسيّ مثّـــلما فعل الأمير عبد القادر، أم بالبناء الفكري مثلما

1– أحمد قيطون، شعر المختّار بن صدّيق، مخطوط رسالة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2002م، ص 228.

2– المصدر نفسه، ص 56.

فعل ابن باديس، حين وضع أســس الدّولة الجزائرية ووضّح انتماءها وأصالتها.

وضع الشّيخ ابن باديس علمه بين أيدي أمته للخروج بهم من ظلمات المستعمــر إلى نور التّحــرر بعد اجتثــاث بذور الشّقاء والفساد الذّي سببه الاستعمــار. ويدعــو إلى التّحــرر من قيوده، حيث يعبّر الشّاعر الشّعبيّ في قصائده «عن وجدانه ويعــكس عــلى صفحته الجميلة، منازع نفسه ومناحي تفكيره حية نابضة»[1].

والمراد عند الشّاعــر هنــا بالتّمني إعطــاء يــد العون إلى أمته، حتّى يتحرّروا من قيود الاستعمار، فهو يشكو تارة، ويرثي تارة، ويفتخر تارة أخرى، وهذا دليل عن المعاناة التّــي يــعيشها في مجتمعه، فــلا يدّخر جهدا حين يجد فرصــة الافتخــار بأمجــاد الأبطال، فيذكر روحهم الطّاهرة، ويشيد بخصالهم الحميدة، ويبرز أصلهم الطيّب الذّي ينتمون إليه.

استعــمل الشّاعــر فــي قصيدته لغة ترقى إلى الفّكر البشريّ، فقد أحسن الــمزج بين اللّغــة والفكــر، وفق رؤيته إلى الأشياء والأحداث الجارية، ومع «ارتقاء الفّكر البشري، ترقى لغته ويرتقي تعامله معها»[2]. وبذلك يصبح الشّعر تعبيرا عن أفكــار الشّاعــر، بمساعدة الألفاظ التّي تسهل عملية التواصل، فاللغة عند الشّاعــر الشّعبي هــي «لغة مشيرة إلى اللّغة

---

1 – عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشّعر العربيّ الحديث، دار المشرق العربيّ، بيروت، ط1، 1985م، ص384.

2 – العربي دحو، الشّعر الشّعبيّ ودوره في الثّورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ص227.

الرّامزة، وهو لا ينبغي بهذه اللّغة الرّامــزة تعقيد اللّغة، واللغة تميل مع ارتقائها إلى الدّقة والبساطة معا»[1].

وبالعــودة إلى الأبيات الأخيرة نجد الشّاعر الشّعبي يتحدّث عن الجزائر بلغة رامزة، وكأنّه يخاطب امرأة، فهو يربطها بهؤلاء الرّجال الذّين ضحّوا من أجلها، وجعلوا لها أصلا تنتمي إليه، فــ«الشّاعر يخرق اللّغة العادية، بابتعاده عن الحدود الضّيّقة للّغة، وربّما قدرته على استثمـــار إمكاناتها البلاغيّة والدّلاليّة في النّص، وتوظّيفها بإعـــادة صياغتها من جديد، حسب المعطيات المستجدة»[2].

و نلاحظ من خلال الصّورة التّي وظّفها الشّاعر، حين يخاطب الوطن أنّه ينقل الجـــامد إلى المتحرك الحي؛ إذ يسند صفة الإنجاب إلى الوطن، وهو دليل على القيمة التّي تملكـــها الشّخصيّـــة الجـــزائريّة، فـــالشّاعر يوحّد بين الكون والإنسان، فدلالة الإنجاب التّي نقلها من الإنسان إلـــى الـــوطن توضّح التّداخل والتّفاعل النّفسي بينهما، و«هكذا نجد الصّورة والـــرّمـــز، قد حددا أيضا نوع الخيّال الذّي يمكن أن يلاحظ، في تعابيرهم الفنّية وفـــي موضوعاتهم المختلفة، وإذا كان البعض من يتناول الصّورة الشّعرية، تعوّد على منح الخيّال أو الرّمز فيها»[3].

---

1 – العربي دحو، المرجع السابق، ص227.

2 – نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدّس، ص37.

3 – العربي دحو، الشّعر الشّعبيّ ودوره في الثّورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ص233.

وقد اهتمّ المحدثّون باللّغة الشّعريّة، واعتبروا أنّ «اللّغــة تعــني الطــريقة أو الأسلوب، التيّ تتحقق من خلال الإحساس والانفعال والتّفاعل مع التّجربة، فمن خلال اللّغة يحقق الشّاعر استقلاليته وتميّزه»[1].

وهذا ما نلاحظه من خــلال الأشّعار الشّعبيّة التّي تميّز بها الشّاعر الشّعبيّ في نقله للأحداث، ومعــالجته للمواضيع التّي تؤثّر في المتلقي وتهزّ وجدانه.

و قد عايش الشّاعر الشّعبي الأحداث السّياسيّة والثّقافيّة لحظة بلحظة، وتأثّر بها كما يتأثّر أفراد المجتمع، وهذا ما نلمسه في شعر عبد الحميد عبابسة، في مطلع قصيدته: "نهضة الإصلاح في الجزائر":

عُلَمَاءْ اْلإِصْلاحْ فِي الدِّيَانَةْ تَنْشُرْ الشِيخْ اِبْنْ بَادِيسْ إِمَامْ المُصْلِحِينْ [2]

وهو يقصد بعلماء الإصلاح رواد النّهضة الفّكرية في الجزائر ومؤسسيي جمعية العلماء المسلمين، الطيّب العقبي* والبشير الإبراهيمي** وعبد الحميد بن باديس.

---

1 – جحيش سهيلة، شعر شهداء الثّورة الربيع بوشامة نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة، الجزائر، 2008م، ص 100.

2 – عبد الحميد عبابسة، الدُر المكنون في الشّعر الملحون، ص83.

*– الطيّب العقبي أحد رواد ومؤسسو جمعية العلماء المسلمين، ولد ببلدية سدي عقبة سنة 1890م وتوفي سنة 1960م وكان نائب الكاتب العام إضافة إلى عضو من الأعضاء المستشارين.

**– البشير الإبراهيمي من الأوائل في تأسيس الجمعية، هو والشّيخ ابن باديس عندما كانا في المدينة المنوّرة، ولد سنة 1889م بمدينة سطيف، وتوفيّ سنة 1965م، وهو نائب رئيس الجمعية.

يحاول الشّاعر تصوير أهمّ الأعمال والأهداف الحقيقية في إنشاء الجمعية، وهي تصحيح العقيدة من التحريفات الاستعمارية الهادفة إلى ضرب الاستقـرار الشعبي وتفرقة الشعب، من خلال تشويه الفكر العقائـديّ وتحريـفه، ومن أهـداف الجمعية أيضا، نبذ تلك الخرافات التّـي غرست في المخيَال الشّعبي الجزائري من الشرق إلى الغرب، ومن الشمـال إلى الجنوب، والتّي ما تزال راسخة فـي الذّهن إلى يومنا هذا، رغم الجهـود القائمـة من طرف المعينين بالإعلام في محاولاتهم إيقاظ الفكر الشّعبي وتوعيته والقضاء على هذه الخرافات.

وهنـاك أهداف أخرى، تعتبر من أولويات الجمعية، وهي إيضاح وإزالة الغموض الذي يكـتنف الفكـر الفـردي والجماعي للمجتمع الجزائري، قصـد إنـارة الطريق للشّعب حتّى يفرِّق بين ما هو إيجابي وما هو سلبي، وبين ما ينفعـه وما يضره، كي يعرف كيف يواجه الأمور القادمة، فيقبل عليها «إقبال العـارف بأهدافه وغاياته»[1].

وكانت تهدف الجمعية أيضا إلـى استقلال المجتمـع الجزائـري؛ لأنّ الجزائر قبل كـل شيء، ليسـت كما كانت تـزعمّ فرنسا أنّها فرنسية؛ بل لها أصالتها وذاتيتها الحضارية وانتماؤها؛ فالمجتمع الجزائري مجتمع أصيل النشأة، محافظ على عاداته وتقـاليده، محـافظ على تعاليم الإسلام، يمتاز عن

1- الزّبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889م-1940)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر،(د. ت)، ص: 61.

بـــعض الشّعوب بالكرامة والعزة والعدالة، ويصبو إلـــى بلوغ القمـــة الفكريـــة، وينبذ التخلف والتدني الاجتماعي والعلمي...

كلّ هذه الأفكار اختصرها الشاعر الشعبي في كلمة "تَنْشُرْ"؛ أي ينشر القيّـــم الرّوحيـــة التّـــي حثّنا الإسلام عليها. والشّيخ ابن باديس هو زعيم هذا الإصلاح ومسيّره، فهو الإمام الذّي يخرج الفرد من ظلمات الفتن والخرافات إلى نور العلم والتّطور الفّكري.

وقد أبرز الشّاعـــر عبد الحميد عبابسة* أهمّ الأعمال التّي قام بها زعيم وإمام الإصلاح الشّيخ عبد الحميد بن باديس، في قوله:

اَلأُسْبُـــوعْ الثَّقَـــافِي فِـــي نُورْ	**عَـــاصِمَـــةْ الشَّرْقْ الجَزَائِرْ**
قَـــسَنْـــطِينَـــة جَمَالْهَـــا مَنْظَرْ	**يَـــتْمَتَـــعْ فِـــيهَـــا كُلْ زَائِرْ**
سِيـــرَتهَاْ شَـــايْعَـــةْ بِجَمَـــالهَاَ	**تَـــارِيخْهَا مَعْرُوفْ بَرْجَالهَاْ**
بَـــنْ بَـــادِيسْ عَلّـــَمْ أَبْطَالَـــهَاَ	**كَـــوَّنْ فِيـــهَا الشَّعْبْ الثَائَرْ**
عَبْـــدْ الْـــحَمِيـــدْ بَـــنْ بَادِيسْ	**لَـــوَنْ مَـــدَارِسْ بَالتَأْسِـــيسْ**
عَلَـــى الْـــعِلْمْ وَالْفَكْرْ حَارِيسْ	**وَالْـــعِلْـــمْ فِي قَسَنْطِينَة زَاهَرْ**[1]

هذه صورة أخرى أعطت لشخصية ابن باديس مكانـــة في الفّـــكر الشّعبيّ الجزائريّ عامة والقسنطينيّ بخاصة، و«ممّا لاشكّ فيه أن شخصية

*– القصيدة السابعة والأربعين، في الأسبوع الثقافي لعاصمة الشّرق قسنطينة سنة 1970م.

1– عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشّعر الملحون، ص106.

"ابن باديس " أصبحــت تلــك الشّخصيّة المحبــوبة والمرغوب فيها، لأنّ المجتمع الجزائريّ يدين بالإسلام، يشترط في من يؤمّه أن يتّصف بصورتين شاملتين: " الخَلْقُ " و"الخُلق "، من هنـــا قدمه الشّاعــر الشّعبيّ للاستدلال على الاكتمال أو الكمال، كما قدمه في أخلاقه العسكرية والاجتماعية في محاولة للاعتراف بما قدمه في سبيل إصلاح المجتمع من كل ما هو ضدّ الفّرد والإسلام والوطن»[1].

استفاد الشّاعر الشّعبيّ من عدّة مواقف للشّخصية، ووضّح بطريقة رمزية صورا دالة على الفضل الكبير، الذّي قدمته لأفراد المجتمع، فهو "المعلّم" الذّي اكتسب مكانة في قلوب أفراد كلّ المجتمع، ســواء المتّقدمة منها أو المتأخرة، وعبر العصور الماضية أو العصر الحاضر، فالمــعلّم هو ضرورة أساسية في التّعليم فهو أساس النّظام التّعليمي، لكن الصّورة هنا تختلف عن صورة المعلّم العادي، الذّي يدرّس في المدرسة، فصورة المعلّم هنـــا، والتّـــي وظّفها الشّاعر تخصّ الأبطال، الذّين أنشأهم ابن باديس وعلمهم الطريقة المثلى، ليكونوا أهلا للمهمّة التّي خلقوا من أجلّها، علمهم مبادئ الدّين وسنن المعـــاملـــة الحسنـــة، والأخلاق الحميدة، وغرس فيهم ثقافة الجهاد في سبيل الله والوطـــن، فصـــورة المعلّم هنا أسمى وأرقى من صورة المعلّم في المدرسة؛ لأنّ المهمّة والعبء الذّي تحمله الشّخصية على عاتقها أكبر بكثير من مهمّة المعلم في المدرسة، فالمهمّة هنا تحدد مصير أمة بكاملها.

1 – العربي دحو، بعض النّماذج الوطنية في الشّعر الشّعبي خلال الثّورة، ص 83.

وينتقل الشّاعــر فـــي القصيدة نفسها إلى إبراز صور أخرى التصقت بشخصية ابن بـــاديس، حين يعرض البنية الفعلية " لَوَنْ مْدَارِسْ بَالتَأْسِيسْ "، والبنية "عْلَى العِلْمْ وَالْفِكْرْ حَارِيسْ"، وهو دليل على «أنّ الثّـورة الجزائريّة، لم تكن حربا من أجل الحرب، وإنّما من أجل الدّفاع عن المبادئ المقدّسة المتمثّلة في الدّين الإسلاميّ واللّغة العربية واستقلال الجزائر»[1].

هذه المبادئ الثّلاثة التّي وضعها الشّاعــر الشّعبــيّ كهدف من أهــداف الوقوف ضدّ الاستعمار، فهي توضّح صورة تقريبية عن نظرة الشّاعــر الشّعبي إلى شخصية ابن باديس، وهي رموز داله علـــى قوّة الشّخصية وتأثّيرها عـــلى النّفوس بإبراز أهمّ الأعمال الثّقافية والدّينية والاجتماعية... التّي صدرت عنها، والتّي كانت تهدف إلى إصلاح الفّكر أولا ثمّ المجتمع، فإصلاح الفّكر الاجتماعي ضرورة ملحّة، لتطوير المجتمع اقتصاديّا وسياسيّا، لذلك ركّز الشّيخ ابن باديس على الإصلاح الفّكري قبل الإصلاح السّياسيّ والاقتصاديّ....

وقد ترمــز البنّية الفــعلية "لَوَنْ المَدَارِسْ بَالتَأْسِيسْ" إلى عدّة دلالات أهمّها: أنّ المدرسة هي القاعــدة الأولـــى الّتـــي يبدأ فيها الإنسان مبادئ العلم والتّعلم، لكن موضوع الدّراسة يعني فـــي المجتمـــع الـــجزائريّ أساس الثّقافة، «وكون الأساس الرّئيسي للثّــقافة، يوجد في عقول النّاس وليس في أيّ مظاهر خارجيّة، وما العناصر المادية إلاّ نتاج للسلوك الثّقافي»[2].

1- عبد الله خليفة ركيبي، القصّة الجزائرية القصيرة، ص51.

2 - د. وهيب سمعان، الثّقافة والتّربية - دراسة تاريخية مــقارنة -، دار المعــارف، مصــر، 1961م، ص 13.

وترتبط الدّراسة دائما بالعلم، وهما شيئان ضروريان في الحياة الاجتماعية، نضيف إليهما الدّين والتّراث الشّعبي، ف«فالدّين هو أهمّ عنصر يشكّل المقومات الأساسية للمجتمع، وهو الذّي يولّد النّظم الثّقافية السائدة في المجتمع، إذ لا يوجد شيء ألصق بالثّقافة من الدّين»[1].

وتمثّل الأبيات الأخيرة، علاقة الشّخصيّة بالمكان، الممثّل في مدينة قسنطينة، والأبيات كلّها مبنيّة على الرّمز، فنلاحظ ذلك الالتحام الواضّح بين الشّخصيّة والمدينة، التّي ترمز إلي مهد العلم وبلاد العلماء، فاستطاع الشّاعر وبطريقة فنية جميلة المزج بين شخصية ابن باديس ومدينة قسنطينة، في نقطة التقاء؛ وهي العلم والتّطور المعرفيّ الفكريّ، فالعلم في قسنطينة كما ذكره الشّاعر بقوله: " وَالعِلْمْ فِي قَسَنْطِينَةْ زَاهَرْ "، علم متطور ومنتشر بين أفراد المجتمع، فهي نسيج العلم ومهد العلماء.

وقد سار الشّاعر الشّعبي "قادة قندوز" في قصيدته "يا وطني العزيز بالدم نفديك"،على درب الشّعراء السّابقين، الذّين ربطوا الشّخصية بالمدينة أو البلد، حين قال:

يَـا وَطْـنِي اَلعْـزِيزْ بَالـدَّمْ نَفْـدِيكْ مَـا نَنْسَى اَلِي فَـاتْ وَالْحَقْ يَنْقَالْ

يَـا الجِيـلْ الصَّاعَـدْ بَاغِـي اَنْعَيكْ قَارْيينْ الـثَّـقَافَـة تَـارِيخْ لَجْيَالْ

اللّي اَمَتْوَرَخْ فِي الَكْتُوبْ مَا فِيهْ تَشْكِيكْ تَارِيخْنَا فِي الْكْتـوُبْ وَاعْلِيكْ لَقوَالْ

تَارِيخْ بَـنْ بَـادِيسْ مَاهُوشْ خَافِيكْ الشَيْخْ بُوعْمَامَةْ هُـوَ وَالْأَمِيرْ لَبْطَالْ[2]

1 – د. أحمد بن نعمان، هذي هيّ الثّقافة، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 1996م، ص127.

2 – عبد القادر لصهب، شعر قادة قندوز الشّعبيّ، مخطوط رسالة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007م، ص 152.

يكتسب الوطن قيمة كبيرة في نفس الفرد الجزائريّ، فالوطن يشكل أحد مقومات الوجود، وأســاس الانتماء، فحبّ الإنسان وارتباطه بالوطن، شعور إلهيّ ينشأ مع الفرد منذ وجــوده الأول فــي الحياة، لكن هذا الحبّ قد يقوى ويتمتن حين يتعرض الوطن إلى الاحتلال، فالتّجربة المعــاشــة فــي الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي، هيّ تجربة مريرة وقاسية عرف فيها الفرد الجزائريّ قيمة الحرية، حين خاض صراعا مريرا مع العدوّ، الذّي اعتبر الجزائر فرنسية، وعمل على تجريد الشّعب من أرضه وتعريضه إلى معاناة الحرمان والجوع والفقر.

إنّ التّضحيات التّي قدمها أبطال الجزائر، أمثّال الشّيخ بــوعمامــة والأمير عبد القادر وابن باديس وغيرهم شكلت قوّة اتصال بين الفرد الجزائريّ ووطنه، حيث لا يمكن لأيّ قوّة مهما كانت أنّ تفرق بينهم.

وبذلك أوجــد الشّاعــر الشّعبــيّ مــن هــذه العلاقة، موضوعات عديدة في قصائده، وذكّــر الأجيــال بتضحيات الأبطال، وتاريخهم المليء بالمواقف، حتّى وصل به الأمر إلى إضفــاء نوع من التّقديس على هذه الشخصيات، ومن أهمّ الرّموز الشّعرية في القصائد الشّعبيــّة، معــالجة القضايا الفكرية والثّقافية، وربطها بالشّخصيّات السّياسيّة.

إنّ تاريخ ابن باديس الذّي ذكره الشّاعر الشّعبي في الأبيات الأخيرة كبير وحافــل بالمواقف، ومن أبرزها التّعليم العربيّ والتّعليم الدّيني، حيث «سعت الجمعية إلى توسيع دائرة الأمكنة، بإحداث مكاتب حرّة للتعليم المكتبيّ

للصّغار، وتنظيم دروس في الــوعظّ الإرشاد الدّيني في المسجد، وتنظيم محاضرات في التّهذيب وشؤون الحياة العامّة في النوادي»[1].

ومن مواقف الجمعية أيضا، إصلاح الدّين من البدع والمنكرات والطرق المتّبعة؛ لأنّــها سبب التّفــرق والضلالة، والقضاء عليها يقضي على الشّر والباطل المنكر.

ومن بين الأساليب الاستعمارية التّي حاربتها الجمعية، التّبشير الناتج من التعصّب المسيحي المسلّح، واستعمالها كأداة من الأدوات السّياسيّة، «في ثوب دّينيّ وشكل كهنوتي دفعته ليكون رائدها في الفتح وقائدها إلى الاستعمار»[2].

لكن الاستعمار لم يفلح في مهمّته التّبشيرية؛ لأنّه وجد شخصية جزائرية مسلمة متمسكة بدينها، رغمّ أنّ معظم الأفراد من الأميين والفقراء، لكن وجود أبطال أمثَال ابن بــاديس جعــل الأمــيّة والــجهل ينصهــران، ويعوّضهــما بالعلم والوعي، وهذا ما أشار إليه الشاعر الشعبي في قوله:

فرَنْــسَــاالــمَقْــهُــورَةْ بْأَعْمَالــهَاَ الشِّــينَــة ْمَشْهُورَةْ

كِـــــي دُّورْ الــــــدَّوْرَةْ تَعْــمَلْ فِي نَــارْ بُــعْمْــزِّيَــةْ[3]

1– أ. الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النّهضة العلميّة والفّكرية (1889م–1940م)، ص62.

2– المرجع نفسه، ص65.

3 – التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م– 1945م)، ص344.

يشير الشّاعر إلى فرنسا بالمقهورة؛ وهي دلالة على الظّلم والاضطهاد الذّي مارسته في حقّ الشّعب الجزائري، والدّليل على ذلك قوله في العجز: " بْأَعْمَالهَا الشِّينَةْ مَشْهُورَةْ "؛ أي أنّها معروفة بأعمال التخريب، وقهر الضّعفاء وقتل النّساء والأطفال والشيوخ، وحرق المزارع ونشر الكفر، بالاعتماد على سلطة الغنى والقوة، واستغلال ضعف الشّعب ماديّا ونفسيّا، لتفرض عليه إتباعها، حتّى ظهر الشّيخ ابن باديس، الذّي راح يواجه قدر شعب وطنه، ويواجه المواقف المخالفة للعقيدة ويرفضها رفضا قاطعا، فـ«لم يكن هناك كفر، ولكن إسلام مشوّه، لم يكن هناك جهل فحسب، بل ثقافة دخّيلة مسمومة»[1].

فالشّعب الجزائريّ الذّي وجده ابن باديس، قد يئس واستسلم لهذه الأساليب من هذا الغريب الدّخيل، رغم ما يميّزه عن غيره من صلابة وقدرة على مواجهة الصعاب، وكان أكبر المتأثّرين هم الشّباب الذّين يميلون إلى التّقليد الأعمى، فشوَّهت ثقافتهم وشوهت لغتهم، وجاء ابن باديس ليبيّن ويثبت أنّ الجزائر عربية اللّغة وليست فرنسية، ومسلمة ولا تدين إلاّ بالإسلام، يقول ابن باديس:

شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ

مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذِبْ[2]

1 – بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983م، ص127.

2 – أ. الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النّهضة العلميّة و الفكرية (1889م– 1940م)، ص : د.

لقد اتخذ ابن باديس كوسيلة للإصلاح الثّقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ، التربية والتعليم، فـ«إنّ الإصلاح يتناول ميادين التوجيه الأخلاقيّ والاقتصاديّ، والثّقافيّ والسياسي... أمّا الانصراف إلى إصلاح حالة واحدة، فإنّه لا يؤدي إلى نتيجة؛ بل يؤدي إلى الهدم والتخريب»[1].

وتكون المدرسة المرحلة التّعليمية الأولى لتوجيه الطّفل وتعليمه المبادئ الصحيحة، وتوجيهه أحسن توجيه، ولذلك نجد معظّم الشّعراء الذين أشاروا إلى ابن باديس، يذكرون دائما العلمّ والمدرسة، التّي ارتبطت شخصيته بهما، وما أعماله وانجازاته إلاّ شاهد على ذلك الارتباط.

2-المبحث الثاني: البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ

لم يشمـــل الإصـــلاح عند الإمام ابن باديس الثّقافة والدّين فقط؛ بل شمل أيضا الإصـــلاح الاجتمـــاعيّ، ويتمثّل هذا الإصلاح في تنقيّة أخلاق المسلم من الفساد؛ لأنّ «الإصـــلاح الاجتمـــاعيّ يقـــوم عـــلى أساس أنّ الأخلاق تنبع من الدّاخل، وأنّ الوسيلة هيّ تطهير القلوب، وتغيّير النّفوس، وهذا يؤدي إلى تغيّير المؤسسات الاجتماعية»[2].

وكي يصلح أخلاق المسلمين؛ لابد من إصـــلاح علمائهم من الأمة؛ لأنّ العالم في أمته مثل القلب في الجسد، فإذا صلح القلب صلح الـــجسد كلّه، وإذا فسد القلب فسد الجسد كلّه، ولن يصلح العلماء إلاّ إذا قدّموا علما صالحا،

1 – د. عمّار الطالبي، أثار ابن باديس، المجلد الأول، تفسير وشرح الأحاديث، ج1، الشّركة الجزائريّة، الجزائر، ط1، 1968م، ص 100.

2 – المرجع نفسه، ص 101.

وأصلحوا التّعليم، وهو ما قام به الإمام ابن باديس حين بدأ إصلاحه الاجتماعيّ، بإصلاح التّربية والتّعليم، عن طريق تصحيح العقائد والأخـــلاق، فبـــاطن الإنسان أساس الظّاهر، يقول الله تعالى: " **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**"[1].

وقد تختلف الأخلاق من إنسان لآخر، لـــ«هذا نجد القاعدة الأخلاقيّة، لا تتّسم بالوّضوح والتحديد، نتيجـــة لاختـــلاف الجوانـــب الـــدّاخلية للأفـــراد، والشّعور العام للجماعة»[2].

والإصـــلاح عند الإمام ابن باديس يبدأ بإصلاح العلماء، وهذا ما تحدثّ عنه في مقال بعنوان " صلاح التّعليم أساس الإصلاح "، حيث يقول: «لن يصلح المسلمون، إلاّ إذا صلح علماءهم، لأنّهم بمثابة القلب للأمة ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم»[3].

فالفّكر عند ابن باديس يجمع بين العلم وطبيعة الإنسان الفكرية، بين ما هو نظريّ وما هو علميّ، وهـــذا دليل عـــلى القـــوّة النّفسية التي يتمتّع بها الشّيخ، وطبيعة الفّكر عند المؤمن، والدّليل على ما قلناه، قوله «العلّم قبل العمل، ومن دخل العلم بغير علم لا يأمن على نفسه من الظلال»[4].

والفكر الاستعماري المغروس في الذّاكرة الشّعبيّة، لابد من إسقاطه عن طريق العلم، ونعني بكلامنا هـــذا، الـــبدع والضلالات والمعتقدات الخاطئة والخرافات...

---

1 – سورة الشمس، الآيتان09 و10.

2 – إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق... والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، المجلس الأعلى للثّقافة، دار الكتب المصرية، مصر، 2001، ص90.

3 – د. عمار الطلبي، آثار ابن باديس، ص 101.

4 – المرجع نفسه، ص102.

وهذا كلّه من الأهداف التّي سعـــى إلـــيها الشّيـــخ ابن باديس؛ أي تنقية المجتمع من هذه الرذائل، المقصودة منهـــا والمفـــعول عنها، فراح يوجه الطفل باعتباره قاعدة المجتمع ومستقبله المشرق إلى تكوين شخصيات متكاملة من كلّ النواحي الاجتماعية والأخلاقية، ويكون الهدف مـــن التّربيـــة، إصـــلاح الدّين والأخلاق والقيّم الاجتماعيّة، فـــالدّين يربيـــنا عـــلى ألفة الجوع، وعدم التبذير والاقتصار على حسب الحاجة، فـــ«طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الثلاثة يكفي الستة...»[1]، وهذا يحثّ على التّضامن والمواساة بين أفراد المجتمع الذين يجمعهم دين واحد وثقافة واحدة.

ومن هذه الفكرة، انطلق الشّاعر الشّعبي ينظم قصائده ويربطها بالوجود الإنساني، ويعكس واقعه المعاش، وينظم القصائد ليعبّر فيها عن آلامه وآلام الشّعب، ورفضهم لكلّ ما يخالف اعتقادهم الدّينيّ من جهة ورفضهم الحياة الاجتماعية المزريّة من جهة أخرى.

ومن خلال القصائد الشّعبية، نـــستلهم تلك الازدواجية في الوظيفة، التّي تؤديها اللّغة العاميّة في النّص، ما يـــدّل على أنّ الّرمز يدفع باللّغة والصّورة الذّهنية إلى الإبداع، داخل البنيّة التركيبيّة الاسميّة والفعليّة في النّص الشّعريّ الشّعبيّ، وإنشاء علاقة مع البنيّة العميـــقة التّي تدلّ على الموضوع المعالج،

1– أ. الزبير بن الرحال، الإمام عبد الحميد بن باديـــس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889 م –1940م)، ص83.

وبذلك توجد الفكرة الشّعريّة المراد توضيحها للقارئ، فاللّغة العاميّة هنا هي وسيلة تجسّد الصّور في الخطاب الشّعريّ.

لقد اتخذ الشّعراء الشّعبيّــون قرارا بتوحيد كــلمتهم، وهي الانتصار على العدو واستقلال المقومات الوطنية، فعبّروا عن وجدانهم النّابع من أصالتهم وشغلوا ساحة الشّعر الشّعبيّ في الجزائر، بأرقى التّعــابير الفنّية وبلغة عامية بسيطة الفهم، بليغة المعاني، والتّي تحمــل دلالات واسعــة فـــي المعنى. يقول شّاعر شّعبيّ في إحدى قصائده:

لُــغَــتْــنَــا فْــنَــاتْ حَتىَّ جْوَامَعْنَا تْفَــرْمَــاتْ

مَــا بْــقَــاتْ حْيَــاةْ الــذِكْرَيَــاتْ كَثْرَتْ عْلِــيَ [1]

وأول أسلوب استعماريّ قام به الاستعمار محــاربة اللّغة العربية، والتّي تعتبر من مقومات المجتمع الجزائريّ، فهي التّي توحد المجتمــع الجزائريّ وتميّزه عن باقي المجتمعات، كما أنّها لغة القرآن الكريــم الذّي أنزل على سيّد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وهي لغة أصحاب الجنّــة التّـــي يسعى المجاهدون إلى الفوز بها، وهي التّي تؤكّد انتماءنا العربيّ والدّينيّ، و«الملاحظ أنّ اللّغة العربيّة – في تلك الظروف، كانت من أهمّ المطالــب الــوطنيّة، التّي كانت جمعية العلماء تطالب بها»[2].

1– التّلّي بن الشيخ، دور الشّعر الشّعبيّ الجزائريّ في الثّورة (1830م– 1945م)، ص 342.

2– المرجع نفسه، ص: 341.

والموضوع نفسه عالجه الشّاعر عمـــر موســـى، عندمـــا ذكر نصائح وإرشادات الشّيخ ابن باديس، محاولة منه إخـــراج الشعب ممّا هو فيه بقوله:

سِي عَبْدْ الحَمــِيدْ هَــاكْذَ عَلَمْنَا لَـــلْحْيَاةْ سْــلاَحْ مَــنْقُولُو جَبْنَــاهْ

وَمَنْ كُلْ الخَطُوبْ يَاسَـــرْ حَذَرْنَا لَلْعَدْيَانْ السَمْ بَالنَّـــارْ أَمْزَجْــنَـــاهْ

وْمَنْ شَرْ المُحْتَلْ حَصَــنْ لُغَتْنَـــا وْمَنْ كِيدْ التَنْصِيرْ لَكْتَابْ أَحْفَضْنَاهْ

الشْبَــابْ عْلِيـــهْ نَبْــنِـــي أُمَتْنَـــا إِذَا كَـــانْ أَحْنَـــا بْحِكْمَةْ عَلَمْنَاهْ

وَأنْــوَرِيهْ أَمْجَادْ فِيـــهَا عَزَتْــنَـــا وْبَالــمُقَــومَاتْ عَقْــلُـــو سَلَحْنَاه[1]

نلمس من خلال هذه الأبيات نوعا من التّفاؤل بمستقبل الحياة الاجتمـــاعية، ويوضح الشّاعر السبيل إلى هذا التفاؤل، بالتّباع نصائح الشّيخ ابن باديس الذّي يدعو إلى العلم وإتباع تعاليم الدّين وأسس العقيدة، لأنّه سلاح الحيـــاة وحـــامي الفّكر والمنجّى من كيّد الظّالمين، فابن باديس يرى في العلـــم الـــهدّف الرئيسي للإصلاح الاجتماعي، والذّي يوصل إلى القمّة، يقول في ذلك: «إنّ كلّ ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإنّنا نأخذه لنبلغ به ما نـــستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية»[2].

ويقصد الشّاعر في قولـــه "مَنْقَوْلُو جَبْنَاهْ"، أي من نصـــائـــحه ودروســـه وإرشاداته التّي كان يقدّمها ابـــن باديس، أخرجنا أبناء الوطن من

1- عمر موسى، قصيدة ابن باديس..

2- د.عمار طالبي، أثار ابن باديس، ص: 104.

الضلالـــة التّي غرسها الاستعمار في فكـــره، ودليل على ذلك قوله في البيت الموالي " مَنْ كُلْ خْطُوبْ يَاسَرْ حَذَرْنَا "؛ أي حذرنا من تلك الخطب الاستعمارية، التّي تظلل الفكّر وتوهمه بالصّور الكاذبة، التّي تـوحي إلى حسن نيّة الاستعمار، وأهدافه الكاذبة التّي بيّن فيها أن وجوده في الجزائــر من أجــل نشر الأمن والاستقرار وتعليم الشعب ما ينفعه من خلال نشر دين مزيف.

ورمز الشّاعر الشّعبي للاستعمــار " بالسم" و" العديان"، وهي رموز تدّل على عدّة أشياء، أهمّها أنّ السمّ له وظيفة واحدة هي القتل، ولذلك فهو يريد أن يبيّن الهدف الرئيسي للاستعمار المتمثّل في قتل الشّعب، إمّا قتله جسديّا أو فكريّا أو دينيّا، فالعدوّ لا يجني منه إلا التّعب والشّقاء والأزمات، ولا يمكن للعدوّ أن يمنحك ما تحب، لذلك فهو يحذرنا منه ويصرّ على ذلك.

و يبيّن الشّــاعر ويشخّــص الحالة، ويحدد مصدر الفساد والجهل، بقوله: " مَنْ شَرّْ المُحْتَلْ حَصَّنْ لُغَتْنَا"، فــهو يــركّز عــلى الجانب الأخلاقي؛ لأنّ شرّ المحتل ليس في إضعاف اللّغة؛ بل أكثر من ذلك؛ لأنّــه يغرس في الشّعب فساد العقل، ومن ثمّة فساد الدّين، لأنّ أساس الدّين هو العقل، الذّي يميّز بين الحلال والحرام، وبين الجائز والممنوع عنه الجواز، وما يثبت كلامنا هو قوله: " مَنْ كِيدْ التَنْصِيرْ لَكْتَابْ أَحْفَظْنَاهْ"، يــعني ذلــك أنّ الشّاعر يرمز إلى ابن باديس، بالأداة التّي تساعد على حماية اللّغــة والــدّين، من كيد المحتّل، فهو يرمز إليه على أنّه الوسيلة التــي تستطيع

حماية الفّكر من كلّ ذرّة ضـّـــارة؛ لأنّه الرّجل الواقف بالمرصاد لكلّ محاولة تهدف إلى زعزعة استقرار البلاد.

و قد نجد الشّاعر حين يقف على الوضع الاجتماعي للفرد، يـــخص فيــه بذكر الشّباب الذّي يعتبر أساس بناء الوطن، حيث يبرز أمرا مهمّا هـــو التعليم، فعبارة " بْحِكْمَهْ عَلَمْنَاهْ"، تدلّ على أهميّة الدّروس الذّي تلقاها الشباب، ويـــعني بالحكمة، التّجربة التّي اكتسبها الشّيخ من دراساته عند أكبر المشايخ، والتـــي اكتسبها أيضا من رحلاته العلمية إلى المشرق واحتكاكه بالعلماء، والتّي أكسبته حنكة وخبرة في مجال تلقين الدّروس وتعليم العلوم الفقهيّة والدّينيّة، فهو يوجه خطابه لمن كانت طبيعتهم السّماع والرؤية الحسنة، فالحكمة تسمح بالتعايش مع القائم وتبريره.

إنّ الدّور الذّي يلازم الشّاعر في هذه الأبيات، يتمثّل في إبراز أهمّ الصّور الموجودة في الذّهــن، خـــلال ذكـــر الشّيخ ابن باديس، والتّي أظهرتها بعض المصطلحات الدّالة، كالقول والخطاب والحكمة والتّحصّين والحفظ... وكلّها تدلّ على الأعمال التّي قام بها ودوره في أنقاذ المجتمع، لكن " الشّاعر الملحون لا يكتفي بذلك، بل هو يتجاوزه نحو إســـداء النّصيحة وإعطاء التّوجيه الكفيلين عند الأخذ بهما، بتخفيف ضغط الواقع واحتمال نتائجه، وغالبا ما يؤكّد شعراء الملحون، على قيم أخلاقية مثل الصّبر»[1].

1- عبد الصّمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالاتها، جزء الأول، اتصالات سبو، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2010م، ص157.

أمّا المقومات التّي يتحدّث عنها الشّاعر في قولــه: "بَالْمَقَومَــاتْ عَقْلُو سلَحْنَاهْ "، فيقصد بها «الكرم والأمانة ورعاية الجار، وصون اللّسان والفرج، وإطاعة الله والنبيّ والوالدين، والرّفق باليتامى والأطفال والشّيوخ»[1].

ومن بين المقومات أيضا، دفع المضّار عن ثلاثة أمــور مــوجودة في الإنسان، هي العقل والدّين، «فيثّقف عقله بالعلّم، وتقوم أخلاقه بالسلوك النبيّ، ويقوّي بدنه بتنظيم الغذاء، وتوقي الأذى، والتّربص على العمل»[2].

و بهذا يسعى الشّاعر إلى توضيح أمر مهمّ، سعى ابن باديس إليــه من خلال حملة التّوعية والإرشاد، وهي بناء الشّخصيّة الجزائريّة، من خلال الفكر والشعور والعمل، وليس فقط من خلال بناء الفرد الإسلامي، أو من النّــاحية الأخلاقية.

يقول الشّاعر عبد الحميد عبابسة:

اِبْنَ بَــادِيسْ رَايَسْ اْلاصْلاَحْ فِــي قْــلوُبْ اْلمُخْلِصينْ فَتَــاح

فَــسَّــرْ الَــقُرْآنْ بَــنَــجَاحْ فِــي النَهْضَة الِاصْــلاَحِيَة نَاهَرْ[3]

نجد الشّاعر في هذه الأبيات، يستعمــل الجمــل الاسمية، التّي ترد في المواقف التّي تستدعي ذكر أعمال الشّخصيــة، مثل: " رَايَسْ الإصْلاَحْ " و"الــنَّهْضَة الاصْلاحِيَّة مَاهَرْ "، ويستعمل الجمل الفعلية في مثل قوله: " فَسَرْ

1 – عبد الصّمد بلكبير، المرجع السابق، ص 157.

2 – د. عمار طالبي، آثار ابن باديس، ص 105.

3 – عبد الحميد عبابسة، الدرّ المكنون في الشّعر الملحون، ص106.

اَلقُرْآنْ بِنَجَاحْ " و" فِي قْلُوبْ المُخْلِصِينْ فَتَاحْ "، وهــذا تعبير من الشّاعر، عن الرؤية الفعلــية للأعمال المنجزة للشّيخ ابــن بــاديس، والفضّائــل الأخلاقية الحميدة، أمّا عند استعماله الجملة الاسمية، فهو تعبير عن صفات الشّخصية الخلقية المتمثّلة مثلا في: "أخو الأزمات " و" المخلص "...، وذلك لتأكيــد هذه الصفات وثبوتها في شخص ابن باديس.

ومن بين الصّفات أيضا صفة " التّقوى "، المتمثّلة في البنيّة الفعلية " فَسَّرْ القُرْآنْ بِنَجَاحْ "، والتّي تحثّ علــى الالــتزام بــه؛ لأنّ «تقوّى الله هي الزّاد الــحقيقيّ، الــذّي ينبغي على الإنسان أن يتزوّد به لذلك اليوم، وأن يبذل حياته الدّنــــيا في احتوائه، والعمل لأجله»[1].

أمّا في الــوحدة المــوضوعيّة "فِي النَّهْضَةْ الاصْــلاحِيَة مَاهَرْ"، فهو يربط «نــزعــة الاصــلاح التّــي ظــهرت فــي الــجزائــر بعــد الحرب العالمية الأولى»[2] بالشّخصية السّياسية لابن باديس؛ لأنّه رائدها وأحد المؤسسين لها، فهو ماهر في زرع أفكارها الصّحيحة، والتعامــل الحســن مع الوضــع المعاش، فهو ذكي في توظيف أفكاره الدّينية لحــلّ الأزمات الاجتماعيــة والفكّــرية، التّي غرسها الاستعمار الفرنسيّ في الفكّر الشّعبيّ.

---

1 – محمد شحادة تيم، مفهوم الأخلاقّ في الشّعر العربيّ في العصرّ العباسيّ الأول، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، 1994م، ص 476.

2 – د. أحمد شرفي الرّفاعيّ، الشّعر الوّطني الجزائريّ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010م، ص56.

ظهــر الإصلاح الاجتمــاعيّ فــي الجــزائر، عــلى يد أحد علمائها، وعرف «في مراحل متكاملة تمثّل تطور مفهوم الإصلاح عنده»[1]، فهي تعنى بما جاء به القرآن الكريم والسنّة النّبويّة، كــما تعنــى بالمشّاكل الاجتمــاعيّة وتحاول إصلاح الفّكر الاجتماعيّ عند الفرد الجزائريّ، وإعادته إلى الطريق الصحيح.

لقد جسّد الشّاعر الشّعبيّ في شعره الملحون، مــعظّم القضّايــا الواقعيّة، المطروحة في المجتمع، وأبرز سلوك الفرد السلبيّة والإيجابيّة، وتنحصر معظم هذه القضايا في الصّراع القائم بين أساليب الاستعمار، والذّي نتج عنــه «الفقر والقهر والصّراع بين الخيّر والشرّ والحريّة والعدالة الاجتماعية»[2]، وهــذا كلّه يعبّر عن مسألة اجتماعية، صنع منّها الشّاعر الشّعبيّ موضوعا اجتماعيا، جعل له شكلا تعبيريا دقيقا ومفصلا، معتمدا في ذلــك على النّمط القصصيّ في سرده للواقع المعاش، موضحا الوضع الاجتماعي المزري في صورة تعكس المعاناة التّي عاشها الفّرد الجزائري وقت الاستعمار، وما يزال يعيش آثارها إلى يومنا هذا، من خلال الممارسات الخرافية والاعتقاد بالأضرحة...وغيرها من العادات التي نشرها المستعمر، والتّي حاربها الشّيخ ابن باديس، عندما رفع التّحدي واجتهد سنة 1913م، لمّا قام بنزعة الإصلاح ضدّ هذه الممارسات.

1 – د. أحمد شرفي الرّفاعيّ، المرجع السابق، ص: 57.

2 – أ. د. مصطفى السّيوفيّ، تصوير الشّخصيّات في قصص محمد فريد أبو حديد، ص: 203.

ونلاحظ أنّ هذه الظواهر الاجتماعية التّي عرفت في المجتمع الجزائريّ، والمتمثّلـــة فـــي زيارة الأضــرحة، لم تعد موجودة كسابق عهدها في ولايات الشرق، لكن تجدها موجودة بكثرة في المنطقة الغربيّة للبلاد التّي لم تصّلها هذه النّزعة الإصلاحية، وهذا دليل على قوّة تأثّير شخصية ابن باديس على المجتمع الجزائري عامة.

و كلمة "فَتَاحْ" المذكورة في عجز البيت الأول، تنقل إلينا تجربة الشّاعر في الحياة، لتعمّق فينا الأخلاق، مثل التّواضع والصدّق والأخوّة والتّقوى، كما تنقل إلينا التّجربة الذّاتية للشّاعر.

و يحاول الشّاعر من خلال إبرازه لأهمّ التمثلات الشعرية لشّخصية ابن باديس، أن يبرز صورة الكمال التّي ينسبها إلى ابن باديس، ولم يصرح الشّاعر بهذه الصّــورة؛ لأنّ الكمال يقود إلى النّقص، وتلك هي السّمة الغالبة في حياة الإنسان؛ لأنّ الإنسان إذا اكتمل أجله ورزقه فقد انتهى أجله، لذلك لا يريد أن يفصح عن هذه الصورة، لكي لا يحكم على الشّخصية بالانتهــاء، فــالشخصية باقية لا محال في الذّاكرة الشّعبيّة، حتّى وإن فقد الــجســم؛ لأنّ الموت حقيقة دينيّة، لكن الشّاعر الشّعبيّ يحاول أن يقوّي هذه الحقيقة، في نفــس وفكر الفرد الجزائري، عندما يقدّمها له كتجربة حيّة، تكون الشّخصيّة البطلة محور هذه التّجربة. يقول الشّاعر "عمر موسى":

الظَالَمْ مَنْ جَاوْ قَصْدُو يَخْذَلْنَــا وْجَــدْنَــا لُو كُل آَفَهْ حَــارَبْنَــاهْ

وْ إِذَا مُتْ يْقُولْ لِيكُمْ صَيْحَتْنَــا الْجَزَائِــرْ لَلْعْرَب وْطَنْ انَسْبَنَــاهْ

عَلَمْنَا خْصَالْ عَنْهَا وَصَــانَــا وبِهَا كــاَنْ يْحَبْ وعَنْهاَ عَاهَدْنَا

اَرْحَمْ ذَا لإمام واقْبَلْ دَعْوَتْنَــا غْفْرَانَكْ يَا حَيْ عَبْــدَكْ يَتْرَجَــاهْ

يَحْيَا وَطْنِي فِيهْ تَكْمَلْ فَرْحَتْنَا عُرُوبَهْ وَاِسْلاَمْ شَعَارْ أَرْفَعْنَــاهْ[1]

يقصد الشّاعر بكلمة " الظّالم"، الاستعمار الذّي طبق على الأهالي، سياسة تعسفية وأوهمهم بأنّ وجوده في الجزائر، من أجل نشر الأمــن والاستقرار، لكنه خدع هذا الشّعب وزرع في المجتمع الآفّات الاجتماعية، وخرب عقول الأفــراد، وأصبح الفرد يعيش مأساة حقيقية، ومن هنا يمكــن القول: «إنّ تجسّيم احتلال الجزائر، بأنّه (مأساة اجتماعية) ليس من المبــالغة فــي شيء، فهي الوجه الأكثّر دلالة عليه، والأصدق ترجمة عن أبعاده ونوايّاه»[2]، والمتمثّلة في زعزعة استقرار الفرد وزرع فيه نوع من الرّعب واللا استقرار.

فالشّاعر يلــفت انتباه القارئ، حين يذكر الظّالم و"ابن باديس"، في موقف المقارنة بين الخيّــر والشــرّ، بين الأحبــاب والأعداء، محاولا إبراز التناقض الموجود بين أخلاق الشرّ، المتمثّلة في صــورة الاستعمــار، وأخــلاق الخيــر المتمثّلة في صورة الإمام المصلّح عبد الحميد بن باديس.

أمّا شعار الإصلاح، فقد مثّله الشّاعر في البنيّة الفعليّــة " عَلَمْنَا خِصَــالْ عَنْهَا وَصَانَا"، فالإصلاح مرتبط «بالممارسة العلميّة للدّعوة

1- عمر موسى، قصيدة ابن باديس.

2- د. صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص: 35.

المعروفة، بأهدافها الاجتماعية والدّينية»[1]. هذه الدّعوة المتمثّلة في إصلاح ما خلّفه العدوّ من تلك الآفات، التّي يصوّرها الشّيخ المولود الزّريبيّ بقوله: «وقد ظهر في قطرنا الجزائريّ في هذا الزّمان بدع كثيرة، واعتقادات فاسدة، ومنبع هذه البدع بعض الزّوايا»[2]، وهذه الزّوايا التّي يقصدّها الشيخ في قوله "هيّ من إنتاج استعماريّ"، أراد من خلالها زرع الفتن ونشر الضّعف بين المسلمين ونشر الانحراف لدى الأفراد في المجتمع الجزائريّ، وهذا بطبيعة الحال، النّقطة الأساسيّة التّي حاربها ابن باديس، وأصلح المجتمع الجزائري منّها، وفي أبيات أخرى يعبّر الشّاعر عبد الحميد عبابسة، عن نفس النقطة، حين يقول:

سِيرْتَةْ زَاهْرَةْ بَالعُلُومْ كُلْ عِلْمْ فِيهَا مَقْيُومْ

الثَقَافَة وَالإصْلاَحْ يْدُومْ ومْصَابَحْ العِلْمْ تَتْنَاوَرْ

التْوَارِيخْ عْلِيكْ تَتْكَلَمْ يَا مَهْدْ الإِصْلاَحْ والعِلْمْ

رْجَالَكْ العُلَمَاءْ تَتْعَظَمْ يَا جَنَةْ السايَحْ وَالزَائَرْ

سَلاَمِي الَجْمِيعْ سُكَانَكْ بِالثَقَافَةْ أَتْرَفَعْ شَانَكْ

اِبْنْ بَادِيْسْ بِالعِلْمْ صَانَكْ خَلْفْ مْصَابَحْ تَتْنَاوَر[3]

---

[1] – د.أحمد شرفي الرّفاعي، الشّعر الوطنيّ الجزائريّ، ص: 53.

[2]– الزّريبي المولود، بدور الإفهام أو شموس الأحلام، على عقائد إبن عاشور الحبر الهمام، المطبعة التونسية، تونس، 1912م، ص: 61.

[3] – عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون الشّعر في الملحون ص: 106.

أحسن الشّاعر عبد الحميد عبابســـة، في التّعبير عــن المضمون الذّي عالجه الشّعراء الشّعبيّون من قبل حول شخصيـــة ابن باديس، حيث يمثله بعدّة صور مثل: " مهد الإصلاح"، الذّي يرمز من خلال هذا التعبير، إلى الانتقال الفكريّ المتخلف للفرد الجزائري، من مرحلة الجهلّ إلى مرحلة العلّم بأمــور الدّين، ومحاربة تلك الأفكار، التّي راهنت فرنسا على إيصالها وترسيخهــا في الفكر الجزائري، في مهمّتها الحضارية في الجزائر، عن طريق التعليــم المبنيّ على القيم الفرنسية، وترسّيخ ثقافتها الاستعمارية، محاولة احتلال الفّكر، والتّغلب على الــرّوح المعنويـــة، الــتّي غرستها فيهــم مواقف الأبطال وصمودهم في وجه الاستعمار.

لكــن إرادة الشّعــب كانت أقوّى، حين رفض تحسين الوضع التعليمي، باعتبار الطّبيعة العنصريـــة التّي ميّزت سلوك المعمر الفرنسي، ومعاملاته السيئة لأفراد الشعب الجزائري؛ لأنّه كان ينظر إليه، على أنّه لا يصلّــح إلاّ للأعمال الشّاقة.

في هذه الظّروف الاجتماعية، التّي عاش فيها الشّعب الجزائريّ، والتّي أثّرت فيه، وجعلته يعيش مرحلة التّخلف ويعيش مرارة الحرمان من أدنى حقوقه، والتي أثرت في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والاجتماعية.

إلى أن ظهرت جمعية العلماء المسلمين، التّي ترأسها الشّيخ عبد الحميد بن باديس، والذّي يعتبر المؤسس الأوّل لهذه الحركة، التّي قامت على أساس

تعليم الفرد أصول الدّين ومبـــادئه، عــكس ما حاولت فرنسا نشره في الفّكر الشّعبيّ.

ورغمّ هذا الوضع الاستعماري، إلاّ أنّ بعض الشّخصيات الجزائريّة، حققت نوعا من الاستثناء، أمثّال الشّيخ ابن باديس، الذّي هاجر إلى بلاد التّعليم المشهورة بالمشرق، مثّل جامع الأزهر وجامع الزّيتونة بتونس،كما اتّجه نحو الجنوب، أين التحق بالزّوايا التّي كانت تمثّل المراكز التّعليميّة والدّينيّة وقت الاستعمار.

وبالعودة إلى الأبيات التّي بين أيدينا، نلاحظ أنّ الشّاعر يخاطب مدينة العلماء التّي لها مكانة علميّة وثقافيّة كبيرة إبان الاحتلال الفرنسي، لاحتوائها على أعرق الجامعات، والتّي كوّنت العديد من العلماء، فــقسنطينة لها مكانة علميّة وحضارية مثّلها مثل باقي الجامعات المشرقية المعروفة في ذلك الوقت.

وتميّزت هذه الأبيات أيضا، بالتصوير الفنّي المميّز، من خلال استعمال الشّاعر للصور البيانية المتنوعة مثل: " مهد الإصلاح" و"جنة الســـايح والزائر" و"خلّف مصابح تتناور"، وغيّرها من الصّور الرّمزية، الدّالة أولا على القيمة العلميّة التّي تزخر بها مدينة قسنطينة، والمفيدة ثانيا لقيمة الشّيخ ودوره في إنارة عقول الشّعب الجزائري في مدينة قسنطينة، وإخراجهم من ظلمات الجهلّ الذّي كان نتيجة السّياسة الاستعماريّة الهادفة،إلى تحطيم الإرادة الشّعبية، والتّي كان للعلّم والتّعليم دور هام في ذلك، فالتّغيّير الذّي كان هدفا يسعى العلماء الجزائريون إلى تحقيقه،عن طريق نشر الفّكر الإصلاحيّ، هذا

الفكر الذّي نسبه الشّاعر الشّعبيّ، إلى ابن باديس، يقول في ذلك الشّاعر الشّعبي محمد بوشتة:

فَــطْنَــتْ شَــعْبَــكْ مَالنُــومْ وْفِي كْتُوبَكَ خَلِيتْ لِيهْ وَصِيَّةْ

مَا رْضِيتْ بِيهْ أَيْعِيشْ مَذْمُومْ أَيْعِيشْ فَالذُلْ تَحْتْ العُبُــودِيّةْ

العِلْــمْ وَرْدَة مَــا لْــمَشْمُــومْ وَلِــي شَمَــهْ يَبْرَى مَا لأُمِيَّة

وَالــجَهْــلْ طَــمْعَــهْ مَسْمُومْ وَالأُمِــي مَكْفُــوفْ فِي الدُنْيَّا[1]

تبيّن هذه الأبيات، استعمال الشّاعر لبعض الألفاظ ذات مستوى دلاليّ، مثل ذكر "الجهل والعلم" و" فطن ونوم"، وهي ألفــاظ متبــايّنة المعاني، يريد الشّاعر من خلالها، إلى تقريب المعاني إلى المتلقي، حين يبرز التبايّن المعنويّ بين اللّفظتين المتقابلتيّن في المعنى، وهي دليل على التّحدي المستّمر في النّفس الشاعرة، ضدّ كلّ إعاقة تواجهه في الحياة، وخاصة الاستعمار الذّي يعتّبر أكبر عائق، يقف أمام تطور الفكر الاجتماعيّ والثّقافيّ والدّينيّ...

وهــذا النــّوع مــن التّعبير، يوضّح الغّايــة المقصودة لدى الشّاعر، في استعماله الكلمات المتقابلة، والتّي تدلّ عن «المواجهة العنّيفة الدائمة بيّن المواطن والدّخيل، في صورة ثورات لا يهدأ لها نفس، أبعــاد اجتماعيّة قائمة، تنبع من الفّشل الذّي تمنى به هذه الثّورات، أمام القوّة الغاشّمة»[2].

1– فتيحة ولداي تبنية، شعر محمد بوشتة الشّعبي، ص: 131.

2 – صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائريّ الحديث، ص: 36.

وقد وظّف الشّاعر "الجهل"، للدّلالة على الاستعمار الذّي سعى إلى غرسه في المخيّال الشّعبيّ الجزائريّ، حتّى لا يجد صعوبة في السّيطرة على الأجسام، فكانت «الحملة تستهدف جسما وروحا، فقد أدركت أنّ الخطر لا يمكن أن يزول بإبادة الجسم وحده، فطاردت الاثنين معا»[1].

أمّا في استعماله "العلم"، فهو للدّلالة على شخصية ابن باديس المصلحة، لهذه الحملة الساعية إلى تدمير الفّكر والجّسم والدّين، والدليل على ذلك قول الشّاعر: " فَطَنْتْ شَعْبَكْ مَالنُومْ"، فكلمة النّوم دلالة على ظلام الجهل، المملوء بكلّ أنواع العبوديّة والاضطهاد الممارس من طرف الاستعمار الفرنسيّ، وتوظيفه للفظة فطنت، التّي يقصد بها نشر العلّم وتوضيح وتيسير الأمور الغّامضّة في كلّ من الدّين والحياة الاجتماعيّة.

وعندما يتجاوز الشّاعر الشّعبيّ مرحلة التّعبير والتوضّيح، ينتقل إلى مرحلة النّصح والإرشاد، والاعتماد على التمثّيل اللّفظي والمعنويّ لشخصية ابن باديس، حين يخيّر الأفراد بين من يختار العلم سيكون مصيره حتما الشّفاء من مرض الأميّة، ومن يختار الجهل ويتّبع الجهلاء سيكون له سمّا يؤدي به إلى الهاوية، وهو ما رمز إليه الشّاعر، بالأعمى في الدّنيا والآخرة.

و شاعر الملحون في هذه الأبيات، يمثّل شخصية ابن باديس بعدّة صور متنوعة ومختلفة حسب التّوظيف الشّعري لها، يصور تارة بالخير من خلال سعيه إلى توفير الأمن والاستقرار للأفراد، وإخراجهم من ظلمات الجهل، حتى

---

[1] – صالح خرفي، المرجع السابق، ص: 50.

يميّز بين ما ينفعهم وما يضرّهم، ويمثّل تارة أخرى الشّخصية بصورة الإخـــلاص، المتمثّلة في توجيه الفرد الجزائري إلى السّلوك الحسن، والاعتماد على العقل والسّعيّ إلى الاجتهاد وأتباع القرآن الكريم والسنة النّبوية.

كما يمثّل الشّخصية بالوفاء للوطن وعدم السّماح لأيّ كان المساس بقيم الدّولة ومقوّماتها. أمّا صورة الصّدق فتتمثل في اعتمـــاده العقيـــدة الصحيحة الثّابتة، وهي عقيدة الإسلام التي لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يغيّر فيها، كما لا يمكنه أن يغرر بمجتمعه؛ لأنّ صفات الإمام هيّ التّوجيه والإصلاح.

وكلّ هـــذه الصّـــور، تصبّ في مصبّ الأخلاق التّي يستحسنها المجتمع ويأمر باحترامها، فهيّ عواطف نبيلة تزرع الاحترام بين النّاس، تحثّ على فعل الخير، والأخـــلاق لا تكـــون مـــن أجل المنفعة الذاتية للفرد، بل تكون من أجل المنتفعة العامة قصد إرساء الاحترام بين الأفراد والعيش في سلام.

3-المبحث الثّالث: البّعد الإصلاحيّ السيّاسيّ

عرفت الجزائر نهضة شاملة وقت الاستعمار، ونتج عن ذلك ظهور أفكار تحررية ضـــدّ هـــذا الـــدّخيل، وأدت إلى ظهور ثورات يقودها رجال العلم والثّقافة، هدفهم الرئيسيّ خـــدمة الوطن، وكان ابن باديس أحد هذه الشّخصيات، التّي أسهمت في خدمة الوطن، يقول ابن باديس: «وأنّا أشعر بأنّ كلّ مقوّماتي الشّخصية، مستمدّة من (الوطن) مباشرة، فأرى من

الواجب أن تكون خدماتي، أوّل ما تتصل به مباشرة؛ لأنّني كلّما أردت عملا، وجدتّني في حاجة إلى رجاله وماله وحاله وآماله وآلامه»[1].

وأوّل الأعمـــال الـــتّي قام بها في مجال السّياسة، البحث عن «الجماعة القائدة المفكرة، التّي تقود الـــمجتمع إلى الحضارة»[2]، عن طريق انتخاب الجمعية وتعيّين أعضائها.

وتزامن ظهور الجمعية، في وقت ضـــعف فيه الـــوعيّ الـــوطني، وزادت مظاهر الظّلم والإرهاب المسلّط على الـــفرد الجزائريّ، وظهور النّزعة الوطنيّة المعروفة، «بالضّعف والبّساطة وانعدام الـــتّنظيمات السّياسية، ووسائل الإعلام والقيّادة الوطنيّة، التّي تحدد أهداف النّضال وطرقه»[3].

ومن هذه النقطة، يمكن القول إن الشّعر الملحون عالج القضايا السّياسية، باعتباره الوسيلة الإعلاميّة، في الوقت الذّي غابت وسائل الإعلام، التّي كانت تميل إلى الإعلام الفرنسيّ، وتبرز محاسنه.

وأهمّ الأعمال الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسيّاسيّة، التّي قام بها حتّى يخفّف معاناة الشعب من الوّضع المزّري الذّي عاشه الشّعب الجزائريّ، بسبب

1- د.عمار طالبي، أثار ابن باديس، ص: 106.

2- المرجع نفسه، ص: 107.

3 - د. أحمد شرفي، الشّعر الوطنيّ الجزائريّ،ص: 15.

سياسة فرنسا الاستعمارية، بناء الجمعية وتسطير الأهداف الرّامية إلى تحسين الوضع الأمني، والاجتماعي والثقافي لدى الفرد.

و قد وظّف الشاعر شخصية ابن بـــاديس، كرمـــز يؤثر به على الفرد الجزائريّ ويحفز به المجاهدين؛ لأنّه شخصية عالمة بأمور المجتمع، ومثقفه ثقافة جزائرية أصيلة، يعرف التصرف ويحسن التّسيير، يقول الشاعر الشعبي في ذلك:

تْـــكَـــلَـــمْ الـــفْحَـــلْ عَرْبِـــي مَا يَحْمَلْـــشْ الـــذُّلْ

رَاجَـــــلْ بَـــطَـــلْ أَصْـــلُو مَـــنْ الإِبْـــرَاهِيمِيَةَ[1]

يمثّل الشّاعر من خلال البيتين، دلالات إيحائيّة لبعض الكلّمات الرّامزة، وهذا يدّل على القوّة الشّعرية والإبداعيّة في الشّعر الملحون، والمجسّدة في تركيب الخطاب الشّعريّ الشّعبي.

فرّمز "الفْحَلْ" في صدر البيت الأول، له دلالة رمزيـــة تمثّل بها الشّاعـــر؛ لأنّها توحي إلى الشّخصية الشّجـــاعة التّي لم تكن تخشى قوّة الاستعمار المدجّجـــة بالسّلاح والإعلام والإمكانيات الضّخمة، فهو الزّعيم والقائد الذّي يعرف ساعة الهجـــوم، وساعـــة الدّفـــاع عـــن مصالـــح الوطن، فصورة الفّحل هي صورة استعارية. ومن مميزات الاستعـــارة أنّـــها «ينبغي أن تكون جميلة الوقع على الأذن، جميلة للفّهم وللعين أو لأي حسّ

[1] – التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م – 1945م)، ص343.

أخر»[1]، فالشاعر الشعبي استقى صورة الفّحل من الواقع المعاش، حيث أنّها كلمة مستقاة من الحياة الشعبية، والتّي تطلق على الجمـل أو الـخروف، المحضّر خصيصّا لعملية الإخصاب، فأخذ الصّورة ووظّفها كرمز تتقـاطع فيه بعض السّمـات كـالقوّة مثلا، وقد يدلّ مصطلح الفحل في المفهوم الشّعبي، على الرّجل الذّي لا يرضّى أن يعيش في الذلّ، ولا يسمح لأيّ كان ابتزازه وأخذ شيء يخصّه، إذا كان بالقوّة والاستبـداد، ولهذا فإنّ إطلاق مصطلح الفحل على شخصية ابن باديـس؛ لأنّه يتميّز بالإضافة إلى الخصائص المذكورة في السّابق، بالعلم والثّقافة الواسعة وقـوّة التأثيـر عـلى الفرد، ويستطيع أن يبدّل له حالة الخوف التّي يعيشها، إلى حالة غيّرها، ممثلة في الشّجـاعة والإقـدام. وهذا دليل على ذكاء الشّاعـر الشّعبيّ، وقدرته على «تصوير الأحاسيس الذّاتية وتجسّيدها وتحويل المشاهّد، إلى انفعالات يتقمصها المتّلقي عن طواعية»[2].

أمّا صورة "رَاجَلْ" بالتّعبير العاميّ، لها دلالات أيضا تختّلف نوعا ما عن كلمة "رجل" باللّغة الفصيحة، التّي تطلق على كلّ مذّكر بالغ، فرّاجل هنا تعنّي الإنسان الذّي لا يحبّ الذّل على نفسه، ولا يتحملّ القهر، كما لا يقبل على نفسه وعلى أخيه المسلم الظّلم والإرهاب المسلط، فيقف وقت الشّدّة مع

1– أرسطو طاليس،الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، بغداد، 1986م، ص: 200.

2 – نوارة ولد أحمد، شعرية القّصيدة الثّورية في اللّهب المّقدس، ص: 121.

الضّعيف، ويدافع عن شرفه وعرضه، ولا يسكت عن الحقّ حتّى يسترجعه أو يقتّل من أجله.

ومن تمثّلات الشّاعر أيضا استعماله لفظة "البطل" التّي لها دلالة النّجاح والأمن والملاذ والاطمئنان، فــ«البّطل هو الصورة التّي تريدها الذّات للذّات، من حيث التّكامل، إنه تجسيد أحلام، وتجسد التطلعات إلى الخلاصّ، وإزالة مالا نودّه، وإسقاط مالا نوّده»[1].

وصورة البّطل هنا تدّل على كمال الشّخصية؛ فالشّيخ ابن باديس مــاهر فـــي السّياسة، عالمٌ بأمور الدّين، ساعي إلى تحقيق الحرّية الفّكرية والجّسدية داخــل الوطــن، يحسن التّعامــل مع الظّروف العصّيبة، قراراته صائبة وتصبّ فـــي مصلحة الفّرد الجزائريّ، باختصار البّطــل هو «قيمة وصورة كاملة، يمتــصّ المشاعر المثاليّة، التّي عرفتها الإنسانية، وتتشكل فيها الخبرات، إنّه تعبيــرات عن الأمل، وعن إمكانية الخلاصّ، وهذا ما ينبئ في الآن عينه عن واقع جارح، وقواهر نظيرة سلطّة قامعة، أو لقمة غير سائغة، وبذلك يأتّي ذلك البّطل تغطيته لتلك الجراحات للوّاقع واللّقمة والأمن وتوكيد الذّات والمحن»[2].

---

[1] – علي زيغور، قطاع البّطولة والنّرجسيّة في الذّات العربية المستعلى والأكبري في التّراث والتّحليل النّفسي، ص: 24.

[2] – المرجع نفسه، ص: 24.

و الشّاعر الشّعبي قام بالدّور الذّي كان منتظرا منه في تصوير النّضـــال والمواقف الرّجولية، كما صوّر آمال وآلام الشّعب، ومـــا عانـــاه فـــي فتـــرة المقاومة وقبلها في شتّى المجالات.

كما وصف الشّاعر الشّعبي الأبطال ومعجزاتهم، حيث كان يوحي إلى إعطاء نفسٍ جديدة للطبقة الشعبية قصد النّهوض والوقوف على قدم وساق مع الرّموز البطولية التّي أصبحت تمنحهم فائدة معنويّة وطعما يتفاعلون به.

والشّعـــر الشّعبي هو الشّعر القومي، الذّي يعالج القضّايا الاجتمـــاعيّة الحساسّة؛ كقضيـــّة الاستقلال مثلا، وقد أستطاع الشّاعر أن يصنع تفاعلا بين الفرد الجزائريّ وسلاح الإسلام والعرّوبة الوطنيّة في القصيدة الشّعبيّة، يقول الشّاعر الحاج لعمارة:

بَنْ بَادِيـــسْ قَالْ يَا جِيلْ الأَمَلْ هَزْ اسْلاَحَكْ مَا تْهَابَشْ مَنْ لَنْذَالْ[1]

إنّ الغايّة التّي يرمي إليّها الحاج لعمارة، من خلال البناء الفنّي في هذا البيت، هـــيّ إبراز دور ابن باديس في الثّورة، حيث مثّله في صورة القوّة، وبالمقابل صوّر الاستعمار في صورة الضّعف، حين يخاطب الشّعب ويدعوهم إلى حمل السّلاح ضدّ الدّخيل الاستعماري، الذّي مثّله من خلال استعمال لفظة " النذل"، والتّـــي يريد من خلالـــها التقليل مـــن هيبّة الاستعمار وسياسته التّرهيبيّة، التّي يمارسها على الشّعب، ويستشهد الشّاعر في هذا الموقف، حين يمثّل الشّيخ ابن باديس بالرّجل السّياسيّ والقائد العســـكريّ، الذّي يبدد دوافع الخوّف واليّأس، ويحاول من خلال خطابه، أن يجعل مـــن الأحزان وسيلة للتّضحية،

[1] – د. أحمد الأمين، من فحول الشّعراء في سيدي خالد، ص: 269.

ورفــض أشكال وأساليب القمع والإرهاب، «وقد أخذ نجمه يتألق في سماء الكّفاح، وأخذ اسمه يكتسح ميادين النّضال، وأخذت بواكير أعمــاله الإصلاحيــة تبدد حجب الظّلام الحالك... وكأنّ عبد الحميد بن باديس كــان الحادي عشرة من ذلــك الرّعيل الأول، الذّي بعث به عمر بن عبد الــعزيز الخليفــة الأمويّ، ولهذا المغرب العربيّ، يعلّم النّاس دينهم ويجدد إيمانهم، ويمتّن أخلاقهم ويهديهم سبيل الرّشاد، وقد لا يستطيع أحد وصف هذا الرّجل العملاق»[1].

ويمكن أنّ نلاحظ تداخل البّعد السيّاسيّ بالقيّم الدّينية، في معالجة المآسي، حين يبثّ «روح الوعيّ والنّضال ومحاولة التّخلص من سيطرة، نظرة المجتمع للنّظرة الدّونية لبعض النّاس، الذّين يملكون قدرات خارقة في البّطولة والإقدام والشّجاعة، لقهر الظّلم الــواقع عليهــم، سواء كان في المجتمعات القديمة أو الحديثة»[2].

ولذلك نلــمس تلــك الثّقة التّي وضعها الشّعب في شخص ابن باديس، والأمل المشرق، من خلال التّعلق الحاصل بينهما باعتباره رمزا ثوريّا ودينيّا، فــ«الشّخصية المؤمنة للشيخ ابن باديس، قد تجاوبت معها النّفوس، واطمأنت إليها القلوب. وتابع الشّيخ بعد ذلك دوره باندفاع وحماسة شّديدين، لا يتعبه الــجهّد ولا ينال منه التّعب، ويزيد من حماسته واندفاعه، ما كان يلمسه من

1- بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة،ص: 94.

2- أ.د.مصطفى السيّوفي، تصوير الشّخصيات في قصص محمد فريد أبو حديد، ص: 112.

تجــاوب عميق في نفوس تلاميذه وأتباعه»[1]. وهذا ما يوضّحه الشّاعر محمد بوشتة في قوله:

يَا شَعْــبْ بْلاَدِي كَافَحْتْ جَيشْ شُومْ وَحَقَقْــتْ لِبَنْ بَــادِيسْ هَذَا الأُمْنِيَة

أَنْــتَ الــيــُومْ مَــا عْلِــيكْ لــُومْ بَنْ بَادِيسْ مَدْحَكْ فِي قْصِيدَة شِعْرِيَ[2]

يربط الشّاعر هنا في هذا البيت، بيّن الكّفاح والشّيخ ابن باديس، وقت كان يزرع الفّكر الكفاحيّ في نفس الفّرد الجزائريّ، وكان يأمل أن ينهض بالوقوف ضدّ كلّ الأوضّاع، سواء كان هذا الوقوف وقوفا اجتماعيا أو سياسيا أو دينيا.

إنّ في شخصية ابن باديس شيء يختلف عن الآخرين، فهو لا يرضى بما يرضى به الآخرون لأنفسهم، ينظر إلى الفرد الجزائريّ بمنظار القيّم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وهذا ما ولّد في نفسه شعورا قويّا، بالوّقوف ضدّ الحياة المذّلة والهوان الحاصل بسبب الواقع الاستعماري.

يوضّح الشّاعر الشّعبي صورة الرّضا، التّي قد تتولد في نفس ابن باديس؛ لأنّ لفظة " الأُمْنِيَةْ"، تدلّ على المعاناة والضغط النّفسي الواقع بسبب الأوضاع الرّاهنة، والتّي جعلت ابن باديس يوظّف كلّ الإمكانيّات الماديّة والبشريّة والفكريّة، من أجل النّهوض ضدّ هذا الوضّع الاستعماري. يقول محمد بوشتة في القصيدة نفسها:

---

1 – بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة، ص: 96.

2 – فتيحة ولداي تبنية،شعر محمد بوشتّة الشّعبيّ، ص: 131

خَلِيـــتْ لَسْتِعْمَـــارْ حَايَرْ أَيْعُومْ أَفَــكَرْ لِيــلْ وَنْهَـــارْ بِكُــلْ عَقْلِيَه

كَوَنْتْ شَخْصِيَاتْ غَالْيينْ فَسُومْ بِينَتْلْهُمْ سَبِيلْ الوُصُولْ إِلَى الحُرِيَة[1]

من بين الأهداف التّي سعى إلى تحقيقها، الشّيخ ابن باديس هيّ الحرية، والتّي تعني بالمفهوم الشّعبيّ الاستقلال، لكنّ لفظة الحرية أشمل وأوسع في المعنى، فهي حلم كلّ جزائريّ، وحقّ طبيعيّ متأصل في روحه، واردٌ في الأديّان والشرائع، وأقرتّه القوانين الدولية، ووافقت وصادقت عليه الأعراف.

وأصبحت لفظة "الحرّية" موضوع كلّ الخطب السيّاسيّة وقت الاستعمار، وفي وقتنا هذا، حيث نـــلاحظ أن الأحزاب السيـــاسيـــة تتضمّن تسميّات حزبها "الحرية" مثل: "حزب انتصار الحريات الديمقراطية" و"أحباب البيّان والحريّة"، كما نجد بعض الشّعراء الشّعبيّين يذكرون الحرية في أشعـــارهم ويوظّفـــونها، كوسيلة لشّحن بطاريات المجاهدين، فالشّاعر دائم التّمجيد للحريّة، حين يـــعتبّر التّضحية واجبة وشرفا من أجل الوصـــول إليـــها، فالتضحية بالنّسبة إليهم أفضل وأرحم من العيش في حياة الذّل والهوان.

إنّ استعمال الشّاعر للوحدة الموضوعية "كَوَنْتْ شَخْصِيَاتْ غَالْيينْ فِي السُومْ"، دلالـــة عـــلى كفاءة الشّخصية، وبلاغته في الإقناع وتوصيل الفّكرة إلى رجاله، الذّين وضع فيهم الثّقة، من أجل الوصول إلى الحريّة، وما يدلّ على هذه الكفاءة استعمال الوحدة " بَيَنْتَلْهُمْ سَبِيلْ الوُصُولْ إِلَى الحُرِيَةْ"، وتعنـــي أنّ الطريق إلى الحرية أصبح سهل المنال، إذا اتّبع أفراد الجمعيّـــة،

1 – فتيحة ولداي تبنية، المصدر السابق، ص: 131.

وروّادها النّصائح والإرشادات الموجهة لهم، فالشّيخ رجل سياســيّ، يحسن التّخطيــط، ويعرف من أين تؤكل الكَتِف؛ لأنّه يتميّز عن غيره بالعلــم والحلم وقوّة الإيمان بالله تعالى والإصرار على بلوغ المراد. أمّا التّخطيط فمبنيّ على المدى الطويل؛ لأنّ نتائجه جنينا ثمارها في وقتنا الحاضــر، وأصبح المجتمــع ناضجــا فكريا وثقافيّا واجتماعيّا وحتّى سياسيّا. ورسم الشيخ ابن باديس لنفسه صورة في الفكر الشعبي، ينسب له يوم يحتفل فيه الفرد الجزائري كلّ سنة، إنّه يوم العلم الذّي يرمز للعلاقة الموجودة بين الشعب الجزائري والشيخ ابن باديس، ودليل أيضا على التأثّير النّفســي، وقــوّة وطــأة الشّخصية على النّفوس وأحاسيس الشّعب، حتى أصبح رمزا من رموز الدّولــة، وأسطورة في المخيَال الشّعبيّ الجزائري.

إنّ الشّاعر الشّعبي باستعماله لفظة الحرية في القصيــدة يهــدف إلى فكّ شفرة الموضوع، الذّي يريــد إيصالــه إلى المتّلقي، كما يحــاول أن يؤثّر عليه ويبررّ هذا التأثّير، ويحييّ وجدانه قصد النّهوض، وعدم تقبّل الوّضع الذّي يعيش فيه، فهو بهذا يجسّد الثّورة من خلال النّظم، معبّرا عن آلامــه ورفضه للواقع المعاش، في تلك الفترة وموظّفا الرّمز في التّعبير عن وجدانه، مستعمــلا اللّغة العاميّة البّليغة، والصّورة الذّهنيّة العميقة، لينتج علاقات داخــل البنيّة التركيبيّة للقصيدة الشّعرية الشّعبية، ما يسمح بوجود أفكار تعكس الواقع المعاش، وتؤثّر في نفس المتّلقي. يقول الشّاعر عمر موسى:

الشَبَــابْ عْلــِيهْ نَــبْنِي أَمَــلْنَــا إِذَا كَـــانْ أَحْنَا بِحِكْمَةْ عَلَمْنَاهْ

وَانْوَرِيــهْ أَمْجَــادْ فِيــهَا عَزْتْنَــا وَبِالمُقَومَاتْ عَــقْلُــو سَلَحْنَاهْ

الظَــالمَ مَــنْ جَاوْ قَصْدُو يَخْذَلْنَا وْجَدْنَـــا لُو كُلْ أَفَهْ حَارَبْنَاهْ[1]

يريد الشّاعر من خلال هذه الأبيـــات، أنّ يبيّــن الطريقة المثّلى التّي اعتمدها الشّيخ ابن باديس، في بناء مستقبل الجزائر، وذلك من خلال الاعتماد على الشباب كأساس لمستقبل الوطن، فهم رمز المستقبل وأساس الدّولة والأمل المشرق، الذّي يخرج الوطن من المّحن، إذا أحسن تعليمـــهم وتربيتهم سيكون للوطن مستقبل ناجح، لكن إذا لم نحسن تعليمهم، سنجني سوء العاقبـــة ونؤدي بمستقبل البلاد إلى الهاوية وبئس المصير.

ويقصد الشّاعر في ذكره "بَالْحِكْمَةْ عَلَّمْنَاهْ"؛ أي أن يكون استمرار التّجربة التّي بدأها الشّيخ ابن باديس، مقتديا به؛ لأنّه عالم بأمور الدّين، فاهماً لما هو مقبل عليه، فالشّاعر يريد غرس فكرة في ذهــن الشّبـــاب؛ وهـــي الاقتداء بأمجاد الماضي، التّي كانت تسعى إلى العزّة والكرامة ونبــذ الظّلـــم والاضطهاد، والمحافظة على مقومات الشّعب، المتمثّلة في اللّغة والدّيـــن والوطـــن، وهذا ما يفسّره الشّاعر في آخر بيت من قصيدة" ابن باديس" بقوله:

يَحْيَا وَطْنِي فِيهْ تَكْمَلْ فَرْحَتْنَـــا عُرُوبَةْ وَإِسْلاَمْ شِعَارْ أَرْفَعْنَـــاهْ[2]

فدور الشّباب هو حماية الوطن من الدّخيل الأجنبي؛ لأنّ الفرحة لا تكون إلاّ بالاستقلال والحرية. والحفاظ على اللّغة والدّين شعار الشيخ ابن باديس،

1– عمر موسى، قصيدة ابن بادس، المصدر السابق

2 – المصدر نفسه.

والسّبيل إلى اكتمال الفرحة والعيش في سرور داخل الوطن المستقل. يقول الشّاعر بن جدية محمد*:

جمعْيةَ العُلَمَاء فِي الجَزَائِر مَشْهُورَة قَالُوا المُوتْ أَحْسَنْ لَنَا مَنْ ذِي الحيَاةْ

أَنْــوَحْـدُو صَفُوفْنَــا رَاجَلْ وَامْرَاه الــنّصْــرْ حَلِيفْنَــا وإِلاّ المَمَــاتْ[1]

يعتمد الشّاعر في هذه الأبيات على الرّمز، في إشارته إلى جمعية العلماء المسلمين، والتّي يقصد رئيسها الأول الشّيخ ابن باديس وأحد مؤسسيها. وأمّا الصّورة الرّمزية فتظهر بإعلان شهرتها في الجزائر، وأهمّ الأهداف التّي تسعى إليها الجمعية، والممثّلة في توحيد الصّفــوف، والوقوف إلى جانب أبناء الوطن وقفة الرجل الواحد، لإخراج العدوّ بكلّ الطرق والسّبل الممكنة، حتّى ولو تطلّب مناّ إخراجه التضحية بأجسادنا والاستشهاد في سبيله؛ لأنّ الموت بالنّسبة للأفراد أهمّ وأرحم من العيش تحت لواء الظّلم والاستبداد، وعيش الحياة الفاسدة، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: " **الذِّينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ**."[2]

*- القصيدة بعنوان: " ملحمة المقاومة الشعبية"، نظمها سنة 1957م بورقلة، يتحدث فيها عن بطولات الشّعب الجزائريّ.

1- أحمد حمدي، ديوان الشّعر الشّعبيّ شعر الثّورة المسلحة، ص: 22.

2- سورة التّوبة، الآية20.

فالشّاعـــر فـــي هذه الصّورة يكشف عن هدف ابن باديس من تأسيس الجمعيّة، والذّي يدعو إلى التّضحيّة بالنّفس والنّفيس، في سبيل إعلاء كلّمة الحقّ وتحرير الوطن.

وهنا تتوّحد شخصية ابن باديس مع فكر الشّاعر، في نقاط مشتركة، ذلك عندما مثّل الشّخصيّة في الحاضـــر، وجعل لتجربتها وأبعادها نقطة يقتدي بها أفراد الوطن، ونلاحظ أيضا أنّ للثّقافة الإسلاميّة، أثر بارز جعلها الشّاعر وسيلة إقناع، باعتماده على الرّمز الدّيني والثّقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ...ينافس من خلاله قضيّة الفساد الفّكريّ والدّينيّ والمعاناة الاجتماعيّة للفرد الجزائريّ. فهو بهذا يعكـــس واقعـــه المعاش، ويستحضر تاريخ الشّخصية الحافل بالأمجاد والبطولات، ليرمز إليه برموز تشعّ بالإيحاء، و«تستمّد طاقاتها الإيحائيّة، من إضفائها جوّا رمزيّا أسطوريّا...»[1].

أمّا عبارة " الموت" التّي استعملها الشّاعر في البنيّة التركيبيّة "المُوتْ أَحْسَنْ لَنَا مَنْ ذِي الحَيَاةْ"، والبنيّة" النَصرْ حَلِيفْنَا وْإِلا المَمَاتْ"، فالموت أجل وهو دلالة على انتهاء المعاناة، لكنّ العاقبة تكون لمن أحسن عـــمل الدّنيـــا وعمـــل لآخرته، لذلـــك نلـــمس تلـــك العلاقة المبنيّة على التضاد، فيمكن أن نقرأ عدّة مستويات دلاليّة، تتطلب منّا المشاركة في تأويلها، وهو ما يفسّره "رولان بارث" حول المدلول الأدبيّ بقوله: «إنّ المدلول الأدبيّ، هو إذن

1- معمر حجيج، الهاجس في شعر أحمد معاش، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، (عدد خاص بملتقى شعر الثّورة الجزائريّة)، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، العدد3، نوفمبر 2005م، ص: 192 -193.

مدلول ثان ورمزي، والشّكل هو معرفة بأيّ ميكانيزم، يمــكن للنّــص أن يولّد نوعا خاصا جدّا، من المعنى»[1]. فارتقاء الشّعر الشّعبيّ إلى المنزلة اللائقة، يكون حين يستعمل الشّاعر الرّمز، الذّي يؤدي إلى الإيحاء، الذّي يعطي المعنى المطلــوب داخل القصيدة الشعرية.

واستعماله للموت والحياة، للدّلالة العكسيّة التّي توحــي إليــها اللّفظتين، فالموت عنده هو الرّاحة، أمّا الحياة هي المعاناة في ظلّ هذا الوضع الاجتماعيّ والسيّاسيّ المزري، فالهروب إلى الدّار الآخرة، خير من العيــش في نّار الدّنيا، لكن دلالّة الحيّاة في الواقع هي الجنّة والصدق والطهارة والأمــل والراحة والسعادة، والموت في الواقع هو الكذب والنّفاق والقيّد والخــوف واليــأس، فعندما يحصر الإنسان بين الموت والحياة، يكون بين الخيّر والشــرّ، فإن فــعل خيرا فقد نال ثواب الدّنيا والآخرة، أمّا إذا فعل شرّا فقد نال عقــاب الآخــرة، وبذلك نستنتج أنّ ثنائية **(**الموت والحياة**)** التّي وظّفها الشّاعر في القصيدة، لــها دلالات أبديّة تقوم على وحدة متراكمة من الوحدات الدّلالية التّي توضح بعض العلاقات بين الألفاظ لتعطي المفهوم العامّ للنّص الشّعريّ.

1 – فانسان جوف، الأدب عند رولان بارث ترجمة وتقديم عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004م، ص: 99.

الفصل الثالث:

تمثّلات الشّعر الشّعبيّ لشّخصية عبد العزيز بوتفّليقة

1-تمهيد:

2- المبحث الأول: البّعد الثّقافيّ الدّينيّ.

3- المبحث الثاني: البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ.

4- المبحث الثالث: البّعد السيّاسي الاقتصاديّ.

1-تمهيد:

لقد كان الوّضع السّياسي، قبل ظهور شخصية عبد العزيز بوتفليقة*، في وضع مُزْرٍ يطبعه العنف في كل أنحاء الجزائر لعدّة سنين، والذّي يعني القتل، من خلال المجازر التّي بقيت راسخة في الذّاكرة الشّعبية عند الجزائريّين.

وقد ترك عبد العزيز بوتفليقة انطباعا حسنا من خلال مواقفه الرّجوليّة، والتّحدي والإرادة للنّهــوض مــن هذا الوّضــع المزري، وقد نضجت خبرته السّابقة، من خلال حسن التّعامل مع الظّروف والأحداثّ السّياسيّة والاجتماعيّة بصدق؛ لأنّه يدافع عن وطنه، و«لن يتسامح مع أيّ مساس بالدّولة، وأنّه يستعمل كل الوسائل لقمع الإرهابّ ودّعائمه»[1].

إنّ تاريخ الجزائر، حافل بالمواقف والتحديات لــعدّة شخصيات، وما عبد العزيز بوتفليقة إلاّ صورة من هذه التحدّيات، التّي سجلــت مآثر سجلتها الذّاكرة الشّعبية استلهمها الشّاعر الشّعبي ليربط بين الحاضر والماضي، حتّى

---

*- ولد عبد العزيز بوتفليقة سنة 1937م بوجدة، التحق بصفوف جيش التحرير الوطنيّ سنة 1956م بعد أن أنهى دراسته الثّانوية، كان ضابط للولاية الخامسة إبان الثّورة، كلّف بمهمة مراقب عام، ومهمته ملحق بمركزّ قيادة نفس الولاية، ثمّ عيّن تباعا ملحقا بمركز قيادة الغرب، ومركز قيادة أركان جيش الغرب سنة 1960م، كان يتمتع بخصال تؤهله للقيام بالأعمال الهائلة، أصبح وزير الشّباب والسّياحة في أول حكومة يترأسها أحمد بن بلة في الجزائر المستقلّة، عين وزير الخارجية سنة 1963م، ثمّ انتخب عضوّا في اللجنة المركزيّة، وعضو في المكتب السّياحي سنة 1964م، ساهم في التّصحيح الثّوري الذّي قام به هواري بومدين، أعلن ترشحه للانتخابات الرّئاسيّة سنة 1999م، أصبح رئيسا للجمهوريّة منذ 27 أبريل 1999م إلى يومنا هذا.

1 – خالد شايب، بوتفليقة الرئيس وحصيلته التّحدي، ترجمة كابويا عبد الرّحمن، دار الحكمة، الجزائر، 2004م، ص 113.

يكون ذلك التّــواصل بين الشّخصيات الماضيّة، والشخصيــات الحاضرة، وبين الأمس واليوم.

إنّ المتتبّع للإبـــداع الشّعــريّ الشّعبــي، يلمس ذلك الارتباط بين الفرد الجزائريّ باعتباره ضحيّة أحداث، والشّخصية السيّاسيّة باعتبارها المنقذة لهذا الفّرد والسّاعية إلى تحريره من قيود الجهل ولا مسؤولية.

أمّا التّراث الشّعبي المتمثّل فـــي القصيدة الشّعبيّة فيعيش حيـــاة متجددة، حيث تعكس الواقع، و«وجود هذا الشّعر هو من جهة تنفّيس عن الوّاقع، بل بثّ الأمل في النّفوس»[1].

ويوجد من الشّعراء الشّعبيّين من يتّخذ من شخصية الرئيس عبد العزيز رمزا، لتحقيق الأمــل الذّي يصبّوا إليه الشّعب الجزائريّ، وهو العيش في أمان والنّصر المحقق ضدّ الظّالم، الذّي بدّل الحرّية والسّلام إلى عنف ودمار؛ فالفرد الجزائريّ «يبحث عن ذّاته، عن وجوده، عن حريته، عن همومه وآلامه، عن ماضيه ومستقبله، عن أحلامه في العدّل والسّلام، عن التّقدم والغدّ الأفضل»[2]. وكل ذلك من خلال الوقوف إلى جانب عبد العزيز بوتفليقة، باعتباره رمزا من رموز الإصلاح الاجتماعيّ والثّقافيّ والدّينيّ والسيّاسيّ، فهو الرّجل الذّي وقف رغمَ الصّعاب ليحرر المجتمع الجزائريّ من قيّود

1- د. عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1981م، ص 51.

2- د.عبد الله ركيبي، الأوراس في الشّعر العربيّ ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1982م، ص 25.

الإرهاب، وقيود الوهم، وقيود الجهل، ومن قيود الذّين حوّلوا الجزائر المستقلة إلى جزائر الظّلم والفساد.

إنّ الثّورة التّي قام بها عبد العزيز بوتفليقة، هيّ ثورة ضدّ الظّلم، ثورة تحمل الحقيقة والحبّ، تعكس المأساة التّي عاشها الفرد الجزائريّ، حين قتلت الحقيقة وقتل الحبّ في نفس المواطن.

ومن هنا نؤكّد الغايّة، التّي يسعى إليّهــا الشّاعــر الشّعبــيّ، في تمجيد شخصية عبد العزيز بوتفليقة، وتمثّيلها في قصائــده؛ لأنّــه يعترف بمكانة عبد العزيز في الفّكر الشّعبيّ، وهذا ما سوف تكشفه هذه الدّراسة التّي حصّرناها في ثلاثة أبعاد دلاليّة:

- البّعد الثّقافيّ الدّينيّ.
- البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ.
- البّعد السيّاسي الاقتصاديّ.

وهيّ الأبعاد الغالبة علــى معظّم القصائد التّي ذكرت الشّخصيّة السيّاسيّة لعبد العزيز بوتفليقة، حين عبّر الشّاعــر الشّعبيّ، بالكلمــة الصّادقة عن مواقف الشّخصيّة البطولية، ورصّد أهــمّ النّتائج التّي توصل إليّها الــرّئيس، من أجل الوّصول إلى طريق الأمن والاستقرار، كما «يظهر موقف

الشّاعر واضحا جليّا، بل كان من الطبيعيّ أن يعيش قضايّا وطنه، ويتفّاعل مع الأحداث التّي تجرى في بلاده»[1].

وهناك من الشّعــراء، من ينصح بالــوّقوف مع شخصيّــة عبد العزيز بوتفليقة، خلال المرحــلة الانتخابيّة، فالنّصيحة لا تكــون مؤثّرة إلاّ إذا كانت مقنعة، ولا تكون مقنعة إلاّ إذا كان الشّخص الذّي يدعونا لإتبــاعها شخصا له تجربة أو مكانة ثقافيّة وعلميّه أو رجــل دّين، وأن يكــون هذا الــشّخص يصدر أمورا متقبّله عقليّا. فالشّاعر حين يكون بصدد إقناع المتّلقي، يدعوه إلى التّجربة والوّقوف على الأمر الواقع، حتّى يصل إلى قناعة نفسيّة بما هو مقبل على القيّام به.

لقد استعمل الشّاعر الخطاب الشّعريّ الشّعبيّ ليعبر ببلاغة عن انفعالاته اتجاه القضّايا الاجتماعيّة الرّاهنة، باعتماده على الصّورة واللّغة العاميّة الرّامزة والمؤثّرة على المتلقّي، حتّى يزرع فيه الحبّ، وحبّ الوطن ومصلحتــه العليا، ثمّ حب شخصية عبد العزيز، التّي تسعى إلى المصلحة العليّا، وهو ما يدلّ على موقف الشّاعر الواقف وقفة إجلال للعطاء الرّجولي، وشجاعة الرّجــل، الــذّي أصبح صورة يقتدى بها عند الأمم العربية، التّي تبحث عن الأمن والاستقرار.

1- عبد الحميد بورايو، البّطل الملحميّ والبطلة الضّحية في الأدب الشّفويّ الجزائريّ (دراسات حول خطاب المروّيات الشّفوية (الأداء، الشّكل،الدّلالة)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1998م، ص 98.

2-المبحث الأول: البّعد الثّقافيّ والدّينيّ

اهتّم الرئيـــس عبد العزيز بوتفليـــقة، بالجـــانب الثّقافيّ، وأسهم في تدعيمّ الأسس الدّينيّة والثّقافيّة، وكان له الأثر المشهود في الـــواقع الثّقافيّ الجزائريّ، واحتفظت الذّاكرة الشّعبيّة بإنجازاتـــه، التّـــي تركت صدى محمودا لدى الـــفّرد الجزائريّ، الذّي اعترف بهذا الإنجاز، يقول الشّاعر أحمد بوزيان(*)، في قصيدة "وحي الوئام"(**):

بُوتَفْلِيقَةْ مْنَ الحْسَدْ ضَمَنْوهْ أَقْطَابْ وَمْجَادَبْ وَأَغْوَاثْ بَرْضَاهُم يَسْعَى

سْتَنِينَاهْ شْحَالْ خَبْــرَهْ عَنَا غَــابْ والْيُومْ مْنِينْ جَاء أَعْطِينَاهْ البَيْعَةْ

كِيمَا بَايَعْنَا زْمَانْ أَشْرَافُ نَسَــابْ اِبْنْ رُسْتُــمْ دَارْ لَتْيَــارَتْ شِيــعَةْ

وْاِبْنْ خَلْدُونْ لَبّسْلْهَا حُسْنْ ثِيَــابْ زَخْرَفْــهَا بَالعِلْــمْ وأَعْطَاهَا دُفْعَةْ

عَبْدَ القَادَرْ مَا خْفَى طَيْرَهْ جَــوَابْ أَمِيرْ الشُجْعَــانْ دَارْ هْنَــا قَلْعَــةْ

هَذَا اليُومْ تْيَارَتْ وَفَاتْ النِّصَـــابْ بُوتَفْلِيقَــةْ زَادْهَا شَانْ وْرِفْعَهْ[1]

---

* – أحمد بوزيان شاعر شعبيّ، من مواليد 23 فيفري 1962م بتيارت، نظم الشّعر من نعومة أظافره، له العديد من المشاركات الوطنيّة، وتحصل على العديد من الجوائز داخل الوطن،حاز على الجائزة الأولى لمسابقة فنون وثقافة، له مجموعة شعرية من وحي الوئام، التّي قام بإصدارها فخامة رئيس الجمهورية.

** – نظم هذه القصيدة بمناسبة زيارة رئيس الجمهورية لمدينة تيارت سنة 2002م.

1 – أحمد بوزيان، وحي الوئام (ديوان شعر شعبي مقروء ومسموع)، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثّقافيّ، الجزائر، ط2، 2009م، ص75-76.

يؤكّد الشّاعـــر في هذه الأبيات، موقفا يدخل في سيّاق التّجربة الرّوحية، حين ينسب أو يصوّر شخصية عبد العزيز، على أنّها رسالة إلهية إلى الشعب الجزائريّ، المهزوز فكريّا ودينيّا وسيّاسيّا واقتصاديّا وحتّـــى اجتماعيّا، بسبب الإرهاب الذّي حطّم كلّ شيء، والدّليل على ذلك قول الشّاعر: "ضَمَنُوهْ أَقْطَابْ وَمْجَاذَبْ وْأَغْوَاثْ"، حيث يمثّل هــذا القــول القيمة الدّينيّة والثّقافيّة لعبد العزيز بوتفليقة، وهو دليل أيضا على محاولة الشّاعــر إيضاح الهدف الذّي يسعى إليه عبد العزيز، فهــو هدف دينيّ بالدّرجة الأولى؛ لأنّ وظيفة الأقطـــاب ومجاذب وأغواث وظيفة دينيّة، ومـــا دام أنّه يسعـــى لإرضائهم، فرضاهم لا يكون إلاّ بالعمل الصالح، سواء كان هذا العمل دينيّا أو اجتماعيّا أو ثقافيّا...

ويبيّن الشّاعر في خطـــاب رمزيّ، قيمـــة عبد العزيز في الفّكر الشّعبيّ الجزائريّ، حين قال "أَعْطَيْنَاهْ البِيعَةْ"، فالبيعة لا تُعطى لأيّ كان، والشّاعر يربطه هنا بالعامل الرّوحي والدّوافع السيّاسيّة، من أجــل الخروج من هذا الوّضع الاجتماعيّ، فالمجتمع لا يمكنه بأيّ حال من الأحوال، أنّ يلتّف حول شخصيّة، مهما كانت شجاعتهـــا وبسالتهـــا، إلاّ إذا كانت هذه الخصــــال ممزوجة بعامليّ الوّرع والتّقوى، وهو ما يوّضحه البناء التّالي: "كِيمَا بَيَعْنَا زْمَانْ أَشْرَافْ أَنْسَابْ"، فمكانـــه الرّئيس عبد العزيز في المخيَـــال الشّعبيّ، لا تنقص عن مكانة عظماء الجزائـــر السّابقين، أمثّـــال الأمير عبد القادر، والشّيخ بوعمامة والشّيخ ابن باديس... كلّهـــم قدّمـــوا للجزائر علمهـــم ومالهم وأجسادهم في سبيل الوقوف والعيش في سلام، فهذه الأعمال عكسهـــا موقف

عبد العزيزّ الذّي يسعى أيضا إلى إخراج المجتمع الجزائــريّ من هذه الحرب غير المنطقيّة، والتّي لا يتقبلها عقل الإنسان المسلم، وإدخالــهم إلى مرحلة العيش في سلام، فعبد العزيز هو الخليفة لهؤلاء العظماء والــذّي بحث عنه الشّعب، بعد أن غاب عنهم، ولمّا عاد لم يترددوا في مبايعته وانتخابه رئيسا عليهم. يقول الشّاعر الشّعبيّ، طاهر رياح(*):

بُوتَفْلِيقَةْ الْيُــومْ هُــوَ رَايَسْنَــا وْنَصْرُو رَبِّي جَابْ مْعَاهْ الخَيْرَاتْ

وَ ارْزَقْنَا رَبِّــي بَالْغَيْثْ اَسْقَانَــا وعَمَّتْ الأَمْطَارْ جْمِيــعْ الْجِهَــاتْ

وْفَرْحَتْ كُلْ النَّاسْ بَاتَتْ سَهْرَانَا واكْتَضَتْ اَجْمُوعْنَــا بَالسَيَّارَاتْ[1]

إنّ الارتباط بالشّخصية السيّاسيّة هو ارتباط روحيّ، يرمي إلى الإحساس بالفّخر والاعتزاز، فالشّاعر يعبر عن فخره بهذا الرّجل الذّي أصبح «مصدر قوّة أفراد الأمّة وقت كان الخوف والرّعب قد سكنا نفوسهم»[2].

فالخطاب الشّعري في هذه الأبيّات يحمل إشارات ورمــوزا يعبّــر من خلالها الشّاعــر الشّعبي عن الخير الــذّي يرمز إلى الوجود، وهو أمر

* الشاعر طاهر رياح من مواليد 1955/04/04م، بقرية مغنين بلدية برج أخريص دائرة سور الغزلان سابقا، شاعر ينتمي إلى مدرسة شعراء الشعر الشعبي، شارك في عدة ملتقيات محلية ووطنية ودولية آخرها فعليات تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، حاز على عدة جوائز تقديرية وتقييمية وهو عضو في الرابطة الوطنية للأدب الشعبي مكتب ولاية البويرة له مخطوط تحت عنوان "نفحات من مغنين".

1 – توفيق ومان، في الشعر الشعبي المعاصر، الرابطة الوطنية للشعر الشعبي، 2007، ص 46.

2 – أ. د. محمد سعيدي، تمثّلات الفّكر الشّعبي لشخصية الأمير عبد القادر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد 11، الجزائر، 2006، ص 138.

إيجابي؛ لأنّه يحفّز به الشّعب الجزائريّ، ودعوته للوقوف جنبا إلى جنب مع الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، حتّى تخرج الجزائر من هذا الوقع المرير.

فالشّاعر يمثّل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في الخطاب: "نَصرُو رَبِّي" بأنّه وجوده كان برغبة إلهية، بعثه الله تعالى ليرفع الغبن عن البؤساء، والظّلم عن المظلومين، وهذا ما جسده التّاريخ الذّي يذكر بطولات الرّجل، حيث نادرا ما يأتي الزّمان بمثلها، وهو ما جعل الشّاعر يختار الشّخصيّة السيّاسيّة لعبد العزيز بوتفليقة، لتكون دلالة على عنصر الفخر. يقول الشّاعر شوشة جلول في قصيدته(*): "المصالحة الوطنيّة":

ذَا الْوَطَنْ اللِّي كَانْ قَادِي(**) يَتْحَطَمْ   هَجْرَتْ مَنُّه نَاسْ مَلَّتْ مَقْوَاهَا

بَعْدْ سْنِينْ عْذَابْ الْوَطَنْ اَتْكَلَمْ   وعَادْ يْبَرَحْ نَاسْ تَاجِي وِرَاهَا

بُوتَفْلِيقَةْ كِي سْمَعْ لَبَّى اَعْزَمْ   وقَالْ آ وَطْنِي جِيتْ وأَنَا مُولاهَا

بَايَعْنَاهْ عَادْ ذَا الرَّايَسْ يَحْكَمْ   وَرْدَةْ ذَبْلَتْ جَا السَّاقِي اَحْيَاهَا

هُوَ مَثْلْ لَسْحَابْ بَرْعُودْ يْدَمْدَمْ   وبْرَقَهْ رَايَشْ(***) كَامْلَةْ لَرْضْ أَضوَّهَا

---

* – شوشة جلول بن أحمد بن سالم بن صرصاب بن الحاج عليّ بن "المشتة"، ولد سنة 1975م بمدينة قصر الحيران ولاية الأغواط، ينتمي إلى عرش رحمان، الذّي تربّى وترعرع بأخلاقهم، تأثّر بالبيئة الخارجية التّي أسهمت في تكوينه الثّقافيّ، شارك في عدّة ملتقيات، ومهرجانات جهويّة ووطنيّة، مثل مهرجان الباصور سنة 2005م في ولاية الأغواط، والعكاضيّة التّاسعة للشّعر الشّعبيّ 2006م، بولاية ورقلة، والملتّقى الوّطنيّ في المحمدية ولاية معسكر...

** – قادي: وهي من اللّهجة الأغواطية وأصلها غادي يتحطم، أي على وشك التحطم.

*** برقه رايش: أي مشتعل وتقال كلمة رايش للنار الملتهبة.

حَطْ مْيَاهَــهْ عَ الدْزَايَــرْ قَــعْ عَــمْ وْبَعْــدَنْ يَبْسَتْ شُوفْ عَادَتْ مَبْهَاهَا[1]

ربــط الشّاعــر بين عاطفته والوطن من جهة، وبين الشخصية السياسية والوطن من جهة أخرى، والتّاريخ من جهة ثالثة، لما يحمله من عظمة وجلال.

كما استعار الشّاعــر بعض المشاهد الطبيعة، مثل "وردة ذبلت" للدّلالة على المعاناة التّي أصابت الوطن، سبّبها الإرهاب الذّي طغى في البلاد وعاث فيها فسادا. كما استعمل مشاهدا أخرى مثل قوله: السّحــاب، رعود، برقه رايشّ، مياهه...كلّها رموز وظّفها الشّاعر الشّعبيّ للتّعبير عن الحبّ والسّعادة، حبّه لعبد العزيز بوتفليقة وشدّة التّعلق به.

ونلاحــظ مــن خلال هذه الأبيات، ربط الشّاعر الشّعبيّ المكان بالعاطفة ربطا روحيّا، يؤثر فيــه التّاريخ الإسلاميّ، حيث يصبح الوطن كائنا حيّا يعيش بالعواطف والأحاسيس، فــ«الوطن ليس مجرد جغرافيا ميّته أو تضاريس جامدة، إنّها جغرافيا حيّة وتضّاريس نابضّة بالعواطف والحياة، لها امتدادها في الزّمان ولها جذورها الثّقافيّة وميراثّــها مــن عادات وتقاليد، جغرافيا لها خصوصيتها وتميّزها وتفرّدها»[2].

1- إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول للشّاعر شوشة جلول، خزانة التّراث، الجزائر، ط1، 2009م، ص 110.

2- جودة كساب، الخطاب الشّعريّ العربيّ الحديث، المصادر والآليّات، مؤسسة حمّادة للدّراسات الجامعيّة والنّشر والتّوزيع، ط1، 2002م، ص60.

فالوطن من الوسائل التّي تثير عواطف الشّاعر الشّعبيّ، ويشكّل رؤيته؛ لأنّه المكان الذّي نشأ فيه، ويسري فيـــه أرواح الأســـلاف والعظماء.

كما نجد الشّاعر شوشة جلول قد سار على درْب سابقيـــه، حين أعــلن مبــايعته لعبد العزيز بوتفليقة رئيسا للجمهورية، وهذا دليل على تمسكه بالشّخصية التّي تتوافر فيها مجموعة من الصّفات، قلّما تتوافر في رجال آخرين، استطاع من خلالها أن يضع لنّفسه مادة قوّية حين رفع التّحدي وقال: "آوَطْنِي جَيتْ وْأَنَا مُولاَهَا". أمّا مواقفه فقد رمز إليّها الشّاعــر بقولـــه "وَرْدَة ذَبْــلَتْ جَــا السَّــاقِي أَحْــيَاهَا"، والخطاب الشعري: "وْبَرْقَهْ رَايَشْ كَامْلَة لَرْضْ أَضوَاهَا"، فالشّاعر يحاول المزج بيّن جمال الطّبيعة وأخلاق الرئيس عبد العزيز بوتفليقة وصفاته، مستعملا في ذلك التّشبيه الذّي يعطي للقصيدة جماليّة خاصّة، ويخلق لدى الشّاعر الشّعبي، أبعادا دلاليّة مستسقاة من محيطه الثّقافيّ والأدبي. كما يفيد التّشبيه توكيد المعنّى في ذاكرة المتّلقي، ويسهم أيضا في توضيح الفّكرة التّي يريد الشّاعر تصويرها.

وهذا الخطاب دليل على إعادة الرّوح التّي فُقدت في زمـــن، قـــال عنه الشّاعر أنّه: "سْنِينْ عَذَابْ"، التّي تجمع على المعانـــاة التّـــي عاشهـــا الفـــرد الجزائريّ والأحداث التّي شهدتها الجزائر، والتّي يكون الشّاعر شاهدا عليها أو ضحيّة من ضحاياها، فهو يسجــل الأحداث التّـــي دونتّها الذّاكـــرة، وجسّدتها الأشعار والقصائد، صادقة خالية من أيّ تصنّع؛ لأنّ الموقف هنـــا لا يحتاج إلى ذلك التّصنع أو التّفنن اللّفظي، كما كان الحال عند شعراء الفصيح.

وهذه المواقف قد صوّرها الشّاعر الشّعبي، وأبرز حنكة الرّئيس بوتفليقة فيها؛ لأنّه العارف بأمور الدّولة، راح يرجـــع أفراد الوطن إلى جادّة الصّواب واتخذّ الحلّ المناسب ليعيد للجزائر روحها المفقودة في هذه السنين. والملاحظ من خلال الأبيات أيضا أنّ الشّاعر الشّعبيّ استعمل الصور البيانية التّي توضّح المستوى الرّمزي، حين شبّه عبد العزيز بوتفليقة بالسّـــاقي" و"البرق"، فالتشبيه الأول يدّل على أنّه من أعـــاد للجزائر حياتـــها العـــادية، واستقرارها الأمني، ونشاطها المعهود، الذّي فقدته في العشريّـــة الســـوداء، حين أصبح الـــفـــرد الجزائريّ، يخاف الخروج من منزله ليلا ونهارا.

أمّا التشبيه الثانـــي فيدلّ على العلم الذّي أنار به العقول، وأعاد الفرد إلى التمسك بالدّين والتعـــاليم الصّحيحة، حيث إنّه يدعو إلى التّسامح والاتّحاد بين المسلمين، يقول الله تعالى: **"الَّـــذِينَ يـــُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ ولَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، والّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُّوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ، والَذِينَ صَبَرُوا اِبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ."**[1]

هذا هو ديننا الحنّيف، الذّي يدعو إلى طـــاعة الله، وإصـــلاح ذات البيْن والإيصال والصّبر وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، والسعي إلى ذكر الله تعالى، يقول الله تعالى أيضا في كتابه الكريم: **"وَمَنَ اَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسلِمِينَ، ولَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ**

1 – سورة الرعد، الآيات: 20، 21–22.

بِالَتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِّي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ومَا يُلَقَّاهَا إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ."[1]

إنّ الصّورة التّي يمثّلها الشّاعــر الشّعبي، مرتبطة بالأوضّاع الاجتماعيّة والدّينيّة السائدة في المجتمع الجزائريّ، المعــروف بتمسّكــه الــدّائــم بالوطن والمقوّمـــات الوطنيّة، المتمثّلة في الدّين واللّغة العربيّة والأصـــل الأمازيغـــي، فالوقــوف ضدّ الوضع المزري هي صورة استعارية رمزيـــة، شكـــل الشّاعر الشّعبيّ من خلالـــها موضوعا دينيّا روحيّا، والـــذّي يحقق لـــه شعرية كتابـــاته، فالوقوف مع شخصية الرئيس عبد العزيز هي ثورة الشّعب ضدّ البأس والجوع والقهر، والصواب فيه هو الابتعاد عن الخطأ واتِّباع السّبيل الصحيح للوصول إلى سعادة الفرد الجزائريّ.

أمّا الصّور العديدة التّي وظّفها الشّاعــر فـــي الأبيـــات، والتّي جعل من الطبيعة إيحاء لها، فمثّلت علاقـــة تطابقية بين العلم الذّي تحمله شخـــصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، والرّوح التي تمثّل الحالـــة النّفسيّة والذّهنية للشّاعر، فجعل من العلم صلّة الرّحم بين أفراد المجتمع، التّـــي تحـــافظ عـــلى الحرية والاستقرار والأمن.

أمّا شجاعـــة الشّخصيـــة، فمثّلها الشّاعر في العزم على إنقاذ الوطن، الذّي طلب النجـــدة، وتمثّلها الشاعر في الحالـــة النّفسيّة الوجدانيّة للشّخصية، والتي كان مصدرها الثّورة الدّاخليّة، وهي توحي إلـــى قوّة النّفس وصـــدق

1 – سورة فصلت، الآيات: 33، 34، 35.

الإيمـــان الذّي يصبو إلـــى تحقيق المـــراد المتمثّل في العدل والسلام في الوطن الذّي صعب عليه الإنسان تحقيقه من قبل.

وقد احتفى الشّاعر محمد بودالي، بتصوير الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في قصيدته "الوئام سنة"، والتّي بدأها بوصف حالة الشّعب وما حل به، فهو بكلّ بساطة من أبناء الوطن، عاش المحنة من بدايتها وأحسن عكس مشـــاعر الآلام والجـــراح وتصوير أحاسيس المواطن، كما أحسن إعلام النّاس وتبليغهم، وحفظ العديد من الوقائع والأحداث، يقول الشّاعر:

سُبْحَـــانْ الأِلَهْ فِي مُلْكَـــهْ وْحِيدْ	**يَقْلَبْ الأَحْـــوَالْ مَنْحِيـــنْ لآخَـــرْ**
عَشْنَا مَنْ الدُّنْيَا أَيَامَـــاتْ أَتَنْكِيدْ	**نَارْ الَحْسَـــابَـــاتْ بِينْ الأَكَـــابَـــرْ**
بَضْطِهَادْ وَظُلْمْ ذْهَبْ مَا فِي لْيَدْ	**وَغْتِصَـــابْ وْقَتْـــلَ جِمَاعِي جَايَرْ**
جَزَّارْ الأَجْسَامْ قَلْبُ مَنْ حْدِيدْ	**مَا يَعْرَفْ رَحْمَةْ الْعَبْـــدْ لَلِّي غَادَرْ**
عُظَمَاء بْكَاتْ مَنْ هَذَا اَتَفْسِيـــدْ	**تَبْكِي فَالسُجُودْ لَلْـــرَّبْ البَـــاصَرْ**[1]

كانت الجزائر تعيش في أمن وسلام، ينعم أهلهـــا برغـــدِ العيش، لا يقلق راحتهم ووئامهم أحد، إلى أن ظهر الإرهاب، الـــذّي زرع العنف والظّلـــم في الوطن. ومن خلال الأبيات، نلمس صدق قول الشّاعر وصراحته فـــي إيصـــال حقيقة الوّاقع الجزائريّ إلى أعماق المتّلقي. ويتميّز الخطاب

1 – محمد بودالي، الوئام سنة، أعمال الملتقى الوطنيّ حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائريّ من خلال فنون القول الشّعبيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، تيارت، الجزائر، 2002م، ص 540.

الشّعريّ الشّعبـــيّ بالوّضوح والبساطة؛ لأنّه لا يحتاج إلى مترجمّ حتّى يشرح المعاني؛ لأنّ اللّغة المستعملة هي لغة الشّعب البسيط، التّي تمتاز ببلاغتها وقوّة إيحائها.

فـــ«اللّغة بتراكيبها وإيحاءاتها ودلالاتها المتنوعة، تبلغ أعلى المراتب في تصوير المعانيّ الذّهنية وتقويمها في صورة محسوسة، يتخيّلها الفكر، فتشكل صورة للدّلالة على كلّ ماله صلّة بالتّعبير الحسّي وتطلق أحيـــانا مرادفـــة للاستعمال الاستعاريّ للكلمات، الذّي يربط الفّرد بالكلّ، ويربط اللّحظة بالدّيمومة، وتنشأ الصّورة حين يتّسع الشّعور باجتماعية الحياة حتّى تشمل كافة الموجودات»[1].

أمّا الشّاعـــر الشّعبيّ فيحسن انتقاء الألفاظ الموجزة والموحيّة في الآن نفسه، يصوّر بها الوقائع وينقل المشاهد للقارئ، كأنّه يراه عينا ويلازم المشهد كلّ أسباب الإيحاء، حتّى يلمّ بكلّ التّفاصيل، ويحقق الهدف المنشود وتصل إلى قلب القارئ وعقله.

وهو يحمل لنا صوّرا متعددة عن الواقع المعاش وقت الإرهاب وفي زمن العشرية السوداء، ويصوّر لنا أيضا مواجهة الفرد الجزائريّ الصّعاب وهـــول الوقائع، ويرمز إلى الإرهابيّ بقاسي القلب، الذّي لا مكان للرّحمة في قلبه، فهو جزّار الأجسام، وهي صفات استعارها الشّاعر للدّلالـــة علـــى الحقدّ

1- لحسن مخلوفي، الصورة الشعرية في النعاليات النبوية بالمغرب- دراسة في المكونات والآليات- مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2010م، ص14.

الذي يكنه الإرهابـــي للمجتمع الجزائريّ عامة، ويبيّن أنّ الإرهابيّ يعـــاني بسبب الشرّ الساكن في نفسه.

ثمّ يتحدث الشاعر بودالي عن عودة رجل الأقدار، الذّي بعثه الله تعالى، ليخرج أبناء أمته من ظلمات الإرهاب، حين قال:

بْعَثْ الْــمَوْلَى شَبَهْ ابْنُ الْوَلِيــدْ وُلْدْ الأَصْلْ شْرِيفْ اِبْنُ الجَزَايَرْ

حْضُورْ الْمَنْسِي كِي جَانَا مَبْعِيدْ نَزْلَــتْ الرَّحْمَـــةْ وَالظُّلْمْ تْعَاذَرْ

جَانَا بَالسِّيرَةْ ذَا مَا هُوشْ جْدِيدْ سِيــرَةْ نَبِينَــا اَلْمْنَــوَّرْ الطَّاهَرْ

رَايَسْنَا هُوَ مَنْ يْخَافْ الْوَعِيــدْ مَــنْ كْتَــابْ الله أَمْرُو ذَا سَايَرْ

أَصَالِي صْحِيحْ مَا خَانْ الشَّهِيدْ عَهْدْ الثَّوْرَةْ بَـــانْ بْعَبْــدْ الْقَادَرْ[1]

يرمز الشّاعر إلى الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بعدّة رموز دلاليّـــة، والتّي تبيّن مكانته في نفوس أفراد المجتمع، الذّين ينظـــرون إليه على أنّه الأمل الواعد، فاستعار صورا تدّل على البّعد الدّينيّ مثّل قوله: "بعث المولى شبه ابن الوليد"، والتّي تكشف عن عالم الشّاعر الدّاخلي المملوء بالأحاسيس والمشّاعـــر اتجاه شخصية عبد العزيز، كما هي محاولة لإبراز علاقات نفسية تدّل على الأصل الطّاهر للشّخصية، وهو ما يفسّره الخطاب الموالي "ولد الأصـــل شريف ابن الجزاير"، هذه العبارة خطاب رمزيّ يدلّ على نقاوة وطهـــارة الأصّل، دلالة أيضا على القيمة التّـــي اكتسبها الرئيس، والتّـــي

1 – لحسن مخلوفي، المرجع السابق، ص 540.

تحمل إشارات وعلامـــات العلوّ، التّي التقطها الشّاعــر ليجعل منّها إشارة لقومه، ويحفز بها أبناء جلدّه للوقوف إلى جانب الرّجل، الذّي كانت وقفته لصالح الشّعب.

ويواصل الشّاعر بودالي في إبراز أهمّ الدلالات الرمزية حول الشخصية في قوله: "نزلت الرّحمة والظّلم تعاذر"، وهي صورة أخرى تدلّ على طهارة الرّجل والنّية الصّافية، التّي عاد من أجلها بعد أن غاب عن البلاد لمدّة طويلة، فالرّحمة التّي يقصدها الشّاعر هي التّوفيق من عند الله، في إخماد نارّ الفّتنـــة وزوال ظلم الإرهاب. أمّا في قوله: "جانا بالسيرة" فهو خطاب رمزيّ إيحائي، يتمثّل فيربط أعمال الرئيس ونشاطه ومحاولتـــه إصـــلاح ما أفسده الإرهـــاب بالسّيرة النبوية، حيث يصرّح الشاعــر بذلـــك في قـــوله: "سيرة نبينا المنوّر الطّاهر"، وهي دلالة توحي بأنّ ما يقوم به الرئيس عبد العزيز، منه تبليغ رسالة ربانية، لأنّ إخماد الحرب بين الأهالي وإرجـــاع الميـــاه إلـــى مجاريـــها بين المسلمين، هي من آيات الله، يقول الله تعالى: "**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنَ اَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ.**"[1]

1 – سورة المائدة، الآية 32.

ويقول أيضا في كتابه العزيز: **"لَقَدِ ابْتَغُوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ."**[1]

ومن هنا يمكن القول إنّ الشّاعر الشّعبيّ حين ربط مسيرة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالسّيرة النّبوية، يهدف إلى إبراز القيمة الدّينية لشّخصيّة الرئيس وشجاعته النّفسية والوجدانيّة النّابعة من المشّاعر والأحــاسيس الدّاخلية، وهي توحي إلى قوة الإيمان بالله أولاً، ثمّ الإيمان بتحقيق ما يصبو إليه منذ ترأسه الجزائر، وهو تحقيق الأمــن والســلام وإعادة العزّة والكرامة التّي فقدت في الأقطار العربية والإسلامية. يقول الشّاعــر أحمد بوزيان في قصيدة "وقفة مع التاريخ":

بُوتَفْلِيقَــةْ سَاقْتَــهْ لِنَــا الأَقْــدَارْ وَهْبَــة لَلأُمَةْ مَــنْ الْحَيْ القَــدِيرْ

لُومَا عَبْدْ العَزِيزْ مَا كَانْ اِسْتِقْرَارْ مَا قَرَّتْ عَيْنْ الوَطَنْ مَا جَاء تَغْيِيرْ

يَا شَعْبْ وْصَايْتِي احْفَظْهَا لَلتَذْكَارْ بُوتَفْلِيقَــةْ يْكُونْ لَكْ مَفْتَاحْ الْخِيرْ[2]

بالغ الشّاعر في تمثّلاته لشّخصية بوتفليقة، عندما اعتبره بطلا ورفعه إلى درجة المعصُومين، لكن الحقيقة تكون بأنّ شخصيــة الرئيس عبد العزيز بوتفليقــة هــيّ شخصية صالحــة صــامته عاملــة للخير، دون أن نشهر بهــا ونبالغ في وصفها، فهي شخصية تحمل المبادئ العقائديــة التّي تسمو بالشّخصية كــالدّيــن والكرامــة والإنسانيّة.

1 – سورة التوبة، الآية 48.

2 – أحمد بوزيان، وحي الوئام، ص 68.

أمّا الصّورة التّي وظّفها الشّاعر، والتّي استعمل فيها صيّغة المبالغة، حين ذكر عبد العزيز بقوله: "لو ما عبد الـــعزيز ما كان استقرار"، وقوله أيضا: "ما قرّت عين الوطن ما جاء تغيير"، فتدفع القارئ إلى قراءة المعنى؛ وهو يوحي إلى الدّور الكبير المقدم من طرف الرئيس عبد العزيز في سبيل زرع الاستقرار وتغيير الأوضاع السابقة، والتّي كانت عبارة عن صراَعات سياسية واجتماعيـــة وحتّى ثقافية ودينية، وأصبح الشّعر الشّعبيّ وسيلة توضّح هذا الصراع القائم قبل عودة عبد العزيز، ودخوله معركة الإصلاح وحملته ضدّ فساد النّفس، وقد أشاد الشّاعر الشّعبي بالشّخصية، باعتبار أنّ الرّجل عامـــل صادق أثنى على أعماله واستوحى الـــهدف الـــذي يريد الوصول إليه، عـــن طريق الصّورة الصّادقة والمعبّرة عن كفاحه وبسالته في مواجهة الصّعاب.

ومن الشّواهد التّي مجدّ فيها الشّاعر الشّعبيّ أحمد بوزيان شخصية عبد العزيز بوتفليقة ومدحها، قوله في قصيدته "وحي الوئام":

**عَبْدْ الْعَزِيزْ عَزْنَـــا بِـــهْ الوَّهَابْ		وَخْذَلْ بِهْ الْحَسُودْ وْأَنْصَارْ الخَدْعَةْ**

**قَمْرَهْ هَلْ اليُـــومْ بَعْدْ سنِينْ غْيَابْ		عِشْرِينْ سَنَةْ كَامْلَتةْ وأَشْهُرْ رَبْعَةْ**

**بِهْ زْهَـــاتْ نْفُوسْنَا وَحْيَاتْ البَابْ		ذَا النُّوبَـــةْ رَبِّـــي اَسْتَجَبْ لَلدُّعَاءْ**

**بَعْدْ أَنْ قُلْنَا مَا بقَى لَلْوطَنْ صوَابْ		والخَيْرْ حْسَبْنَـــاهْ رَاحْ بْلاَ رَجْعَهْ[1]**

1– أحمد بوزيان، المصدر السابق، ص69.

يصف الشّاعــر شــوقه وحبه ولوعته إلى الرئيس عبد العزيز من خلال هذه الأبيات، فحبه ملأ أحشاءه، والصّورة هــنا حقيقة رمزيّة، المقصود منها إبراز شدّة التأثير الدّيني في نفسيّة الشّاعر، حيث يجعل حضــور شخصية عبد العزيز بوتفليقة في المجتمع الشّعبيّ عن رغبة إلهية. والشاعر أحمد بوزيــان يعكس إحساسه وشوقه لبوتفليقة وقوّة تعلقه به، بعدّة صور لها دلالات مختلفة تتدرج في إطار البعد الديني، حين يجعله آية مــن آيــات الله، بعثه للشّعب الجزائري لينقذه ممّا هو فيه، حيث أصبح الرئيس عبد العزيز في المخيال الشّعبي رمزا للهروب من الواقع المزْري، ووسيلــة لنِسيــان الانكسارات التّي خلَّفها الإرهاب، فهو بالنّسبة للشّاعر قيمة دينية تستحق المدح والاحترام.

وتعتبر شخصية الرئيس عبد العزيز من أهمّ منابع الإبداع الشّعري الشّعبي، ومصدرا من مصادر الإلهام والوحي لدى شعراء الشّعــر الشّعبي؛ إذ نلمــس ذلك التّعلق الكبير بين الشّعراء الشعبيين والشّخصيّة السيّاسية، وهذا راجع للحب والاحترام الذّي يكنّه للوطن وأفراده، وكلّ شخصيّة تسعى إلـــى المصلحة العليّا للــوطن، تصبح محبوبة من طرف الشعب، حيث يتعلق بها أفــراد ويرتبطون بها.

أمّا المتتبّع لهذه الأبيــات فيلمس عدّة تمثّلات شعرية رمزيــة للشّخصيّة، والتّي تجمع بين الرّغبة الإلهية والحب البشري؛ أيّ التعبير عن التعلق الروحي، وهذا ما تدّل عليه بعضّ الخطابات مثّل قــولــه: "عبد

العزيز عزنا به الوهاب" وقوله أيضا: "ذا النّوبة ربّي استجب للدعاء" فمن خلال دلالة هذه الخطابات نلاحظ كيف تحولت الرّغبة الإلهية لوجود شخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، إلى وحدة نفسيّة ينشد فيها الشّاعر ويتعلق بها الشّعب؛ لأنّه يزرع الطمأنينة، وهذا ليس حبا ماديّا؛ بل هو صورة حسيّة مفعمة بلغة الصفاء والطهارة.

ومن الطبيعي أن يتمسك الشّاعر الشّعبي بالقيّم الإسلاميّة، ومحاولة التّحرر من سجن الإرهاب، والارتياد إلى عالم السّلام والحريّة، فهو يناجي الله ويشكره على نعمه، المتمثّلة في إصلاح الوطن على يد هذا الرجل الذّي يعتبر الرّوح العليّا التّي لا يمكن بلوغها، فهيّ القوّة المستمدّة من قوّة الإله، والتّي جعلها الشّاعر رمزا في المخيال الشّعبي، يلجأ إليها الشّعب كحصن يهرب إليه من حرائق الإرهاب وضلالته، وهذا ما نلمسه في قوله: "بِهْ زْهَاتْ نْفُوسْنَا وَحْيَاتْ أَلْبَابْ"، وهذا تلويح رمزيّ إلى التّغيير، الذّي حوّل الجزائر من مرحلة الحرب إلى مرحلة الاستقرار والأمن، ولذلك نجد الشّعراء الشّعبيين يذكرون الشّخصية؛ لأنّهم وجدوا فيها الملاذ والهروب من مصاعب الحياة، يقول أحمد بوزيان في قصيدته "والصلح خير...":

ذَا حُلْمْ الأُمَةْ تْحَقَقْ فِي لَمْحَةْ وَالصُلْحْ مْعَ الذَّاتْ عَشْنَاهْ مَرَاحِلْ

بُوتَفْلِيقَةْ لَمْ حَبَّاةْ السَّبْحَةْ رَايَسْنَا مكَانْ مَنْ فِيهْ يْجَادَلْ

بَعْدْ الْعُسْرْ ضْفَى عْلَى الوْطَنْ الرَّاحَةْ مَنْ بَعْدْ اللِّي كَانْ بَالفَتْنَةْ شَاعَلْ

أَلَّفْ بِينْ قْلُوبْ كَانَتْ مَجْرُوحَةْ بَالْوِئَامْ قْضَى عْلَى الهَّمْ الطَّايَلْ

الجَـــزَائَـــرْ بِـــهْ رَجْعَتْ لَلسَّـــاحَـــةْ صَارْ شْنَاهَا فِي العْلاَ مَا هُوَ نَازَلْ[1]

وفي هذه الأبيات يظهـــر الاستعمال الـــرّمزيّ في طيّات القصيدة، وتتمدّد الدّلالات الرّمزيّة، في أنّ الرّمز كان تعبيرا عـــن الـــمشّاعر والأحاسيس، التّي يرغـــب الشّاعـــر في الإفصاح عنّها، ومن ثمّ كانت تعبيرا صادقا عن تطورات الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة والسيّاسيّة، إضافة إلى احتوائها على دلالات تاريخية؛ لأنّ «الأحـــداث التّـــاريخيّة والشّخصيّات التّاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعيّ، فإنّ لها إلى جانب دلالتّها الشّموليّة الباقيّة والقابلة للتجدّد على امتداد التّاريخ، في صيغ وأشكال أخرى»[2].

ونلاحـــظ من خـــلال الأبيات توظيف الشّاعـــر الرّموز الدّينية في ثنايا القصيدة مثّل قـــوله: "حَبَاةْ السَّبْحَةْ"، والتّي تدّل علـــى أفـــراد المجتمع، ولفظة "يجادل" والخطـــاب الرّمزي في "بَعْدْ العُسْرْ ضْفَى عْلَـــى الوْطَنْ الرَّاحَةْ"، حيث أضفت علـــى القصيـــدة طـــابعا حيويّا، فبوتفليقة هو الرّجل العادل الذّي حقق للجزائر استقلالها الدّينيّ كما حقق في قضيّة الإرهاب الانتصار والخلّود.

ويتجلّـــى رمـــز الشّخصيّة في القصيدة الشّعبية في علاقته بالوطن، حين يبيّن العلاقـــة الوطيـــدة بينهما، مبرزا ذلك الحب مستخدما الرّمز بكثرة

---

1 – أحمد بوزيان، المصدر السابق، ص 33.

2 – علي عشري زايد، استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشّعر العربيّ المعاصر، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2006م، ص 120.

حتّى يترك للقارئ لــذّة التّــذوق والكشــف عن الدّلالات الجديدة، وفق المعطى الشّعري والموقف النّفسي.

وقــد يجد الشّاعــر الشّعبي إضافــة وفضاء واسعا، يساعده على توظيف الرّموز الخّاصة بالشّخصية السيّاسيّة، انطلاقــا مــن تجربتــه المعاشة، فرمز الشّخصية أخذ عدّة دلالات، وأصبح أكثر الرموز تــداولا في الشّعــر الشّعبي؛ لأنّها النّور الذّي تحيى به النّفوس، واكتسبت بذلك مكانة مقدسة في قلب الفّرد الجزائري؛ لأنّها رمز من رموز الأمّة الإسلامية.

ونشير إلى أنّ حضور الشّخصية السيّاسية للرئيس عبد العزيز بــوتفليقة، في المخيال الشّعبي عامّة والقصيدة الشّعبية بخاصّة، يضيف إثراء للنّص، ويعطــي دلالــة التّغيير، والدّليل على ذلك قول الشّاعر: "الجَزَائِرْ بِهْ رَجْعَتْ لِلسَاحَــةْ"، وقولــه أيضا: "قْضَى عْلَى الهَّمْ"، الذّي يبيّن حركيّة الانتقال من مرحلــة إلــى مرحلــة أخرى، تختلف عن بعضها البعض، فتصبح تعبيرا عن الأمل الذّي لا يتحقق إلاّ بالعمل، والتّغنــي بالمبــادئ التّــي يؤمن بها الفرد الجزائريّ، بما أنّه مصدر للرّاحة النّفسية، من خلال السعيّ إلى إزالة ما تعلق بالقلب من جراح ومتاعب.

وقــد شبه الشّاعر الشّعبي عبد العزيز بوتفليقة بالرّسل؛ لأنّه يحمل رسالة إلهية تتمثّل في المصالحة، وهي رمز من الرّموز التّي التصقت بالشّخصية حتّى أصبحت جزءا منه، يقول الشّاعر شوشه جلول:

طْبِيبْ الشَّعْبْ اَلْيــُومْ بَعْدْ مَا خَمَّــمْ   جَابَ لْنَا وَصْفَةْ جْدِيدَةْ بَشْفَاهَا

رَانِـــي عَ المُصَالَحَةْ يَا مَنْ تَفْهــَمْ دَوَ الَبْــلادْ ضُرْ لَلِّي عَادَاهَــا

رَبِّـــي قَــالْ الصُّلْحْ زِينْ* وْخِيرَ لْكُمْ وْالَعْدَاوَةْ وِيحْ مَنْ رَاحْ مْعَاهَا[1]

إنّ رمز المصّالحة الذّي وظّفه الشّاعر الشّعبي شوشة جلول، يدخل في إطار البّعد الدّيني، وهذا طبعا حسب الموضوع الذّي يعالجه الشّاعر، فالمصالحة بيّن أفراد الشّعب الوّاحد ولمّ الشمل، من شيّم المسلمين، يقول الله تعالى في كتابه المقدس: "**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمُ إِلاَّ مَنَ اَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحِ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَلِكَ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.**"[2]

فالشّاعر الشّعبي حين يوظّف شخصية عبد العزيز بوتفليقة في قصائده، يسعى إلى إيصال رسالة أو صورة للوّاقع الذّي يعيش فيه، نظرا للعمّق الرّمزيّ لشّخصيّة عبد العزيز، فبإصــــلاحه للمجتمع أكسبـــه قـــداسة جعلت منه رمزا، وعلامة في المخيال الشّعبيّ الجزائري، ولربّما يحاول الشّاعر إبراز التّناقض بين المــــاضي المظّلم وفســـاد الواقع والتّدهور الاجتماعيّ، والحاضر المزدّهر بالسّلام والأمن، وهيّ إطلالة يتطلع من خلال ترميزها إلى إعادة تصوير الواقع وفق الإيحاءات الدّلالية، التّي تعكس حلم الفّرد الجزائريّ الذّي يريد التّغيير، وقد شبه الشّاعـــر الـــرئيس بالطّبيب، الذّي يرمز إلى وجود المرض،و الذّي أصاب الشّعب جراء الإرهـــاب، ودليل أيضـــا علـــى

* – أيّ الصّلح أحسن لكم من العداوة.

1– إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 110.

2 – سورة النّساء، الآية 113.

الدّور الذّي قام به الرئيس عبد العزيز في معالجة القضيّة الوطنيّة. أمّا المصالحة فهي معادل رمزيّ لشخصيّة الرئيس عبد العزيز؛ لأنّها الوسيلة التّي استعملها في سبيل معالجة هذه القضيّة.

ونجد الشّاعــر محمــد بوشتة*، يــوضّح ذلك التّعلــق القائم بيّن الشّعب وشخصية عبد العزيز، وهو دليل علــى قوّة وقــع الشّخصيّة في نفوسهم وما تعلقهم بها إلّا دليل على صفــائــه وحسن النّية، التّــي يعالج بها قضية وطنه:

مَرْحَــبًا بِيكْ يَــا زِيــنْ تَّبْسِيمَــةْ   يَــا وُلْــدْ تلْمَسَــــانْ وُلْدْ الْجَزَائَرْ

شَــعْبْ وَاقَــفْ مْــعَــاكْ دِيــمَهْ   نَاصْرَكْ وَمْعَلِّيكْ يَا حْبِيبْ الْجَمَاهِيرْ

أَنْــتَ عَنْــدَكْ عَنْدْ شَعَبْ قِيمَــةْ   أَنْتَ مَحْبُــوبْ عَنْدْ الْعْرَبْ وتَنْصِيرْ

رَجْعَتْ الْجَزَائَــرْ لَلــدُّوَلْ سَلِيمَهْ   وَعْلامْهَا كَانْ فَالْمْحَافَلْ الدَّوْلِيَّةْ أَسِيرْ

مَا خَلِّيتْ اَلْجَزَائَرْ بِينْ الدُّوَلْ يَتِيمَةْ   وقَدَمْــتْ لْشَعْبْهَــا شِــيءْ اَلْكَّثِيرْ[1]

يستعمل الشّاعر في وصفه للشّخصيّة، مجموعة من الجمل الاسمية؛ لأنّ «الوّصف ميزة الشّعر، فلا غرابة أن يحتوي على جمل اسمية غرضّها الوّصف، في مقابل الجمل الفّعليّة التّي تتلاءم مع الخطابات السّردية»[2].

---

*- في قصيدته "بوتفليقة".

1- فتيحة ولداي تبينة، شعر محمد بوشتة الشّعبيّ، جمع ودراسة، ص 109.

2- حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفرابي منشورات الاختلاف، بيروت،ط1، 2001م، ص 154.

كما وظّف أسلوب النّداء، لإيمانه بأنّه وسيلة من وسائل الخطاب الشّعري، والذّي يوجه إلى عقل المتّلقـــي، وهو وسيلة أيضا تبرز أهمّ التمثّلات في البيت الواحد أو في القصيدة كاملة، والوّصـــول إلـــى المعانـــي الخفيّة، التّي يعالجها الشّاعر الشّعبيّ، «في حين أنّ الانتقال إلى المعنّى يتطلّب عملية عقلية استنتاجيه، ننتقل فيها من معان محسوسة إلى معانيّ محسوسة أيضا»[1].

لقـــد وظّف الشّاعـــر الشّعبي عـــدّة رموز في خطابه، للدّلالة على الحالة النّفسيّة للشّاعر تجاه الشّخصيّة السيّاسيّة لعبـــد العزيز بوتفليقة، فهو متأكد بأنّ قدرة عظيمة تساعد الرّجل في إنجازاته، وكيف لا والشّعب أحبّه وتعلّق به منذ عودته إلى أرض الـــوطن، ورفع التّحدي ضدّ أعـــداء الله الذين قتلوا وشرّدوا أبناء الوطن باسم الإسلام، على الرّغـــم من أنّ الإســـلام يـــدعو إلى الرّفق بالأخوة والصّبر وطاعة الله والحكم بقول الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: "**وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46) وَلاَ تَكُونُوا كَالَذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(47).**"[2]

فكان شعار الرّجل العزّة والكـــرامة لبناء جزائر الغد؛ لأنّه اهتمّ بمستقبل الجزائر، وقد اعتمـــد الرّئيس عـــلى مخيلته للّوصـــول إلى مبتغاه؛ لأنّ

1 – حسين خالفي، المرجع السابق، ص 156.

2 – سورة الأنفال، الآيتان: 46 و47.

المستقبل مجهول ولابد أنّ يخطط له بإحكـــام، بـــرسم صور ذهنية في مخيلته تقوده إلى الحلّ العامّ، وهو ما تجلّى في المقولة التّي ردّدها عدّة مرات في كلّ خطاب صدر منـــه أثنـــاء الحملّة الانتخابية، «سأخمد نار الفتنة وسأرجع الأمن والآمان وسيكون الاستقرار في الجزائر وسوف يعرف الاقتصاد حركة نمو...»[1].

وقد استقبل الشّعب هذه الوعود وتعلّق من خلالها بشخصية عبد العزيز؛ لأنّه كان في حاجة إلى الاستقرار، وكان يأمل أن تعود الجزائر آمنة، وهذا ما يعكسه الشّاعـــر الـــشّعبـــيّ بين سطور أبياته لمّا يقول: "شَعْبْ وَاقَفْ مْعَاكْ" و" اَلشَّعْــبْ نـــاصرك"، "يَـــا حْبِيبْ الجَمَاهِيرْ"، ومـــا يدلّ على هذا في الواقع الجزائري، هو نسبة المشاركة العالية والنّاجحة في الانتخابات الرئاسية ليوم: 08 أبريل 2004م، وهو دليل بـــأنّ «عبد الـــعزيز بوتفليقة" يتّسم بالقدرة القوّية والنّاضجة على الإبّانة والإفصّاح عن المفاهيم والمعاني الذّهنية، التّي تتأتى له بيد أنّـــه يكون فـــي إبانته وإفصاحه، محققا التّكيف أو التّوافق بينه وبين من يقوم بقيادتهم. لذلك تجده يخاطب الشّعب الجزائريّ الذّي يقوده بمهارة، ويستحوذ على أفئدتهم، فهو يعتمد إلى توظيف ثقافته للمواقف القيّادية التّي يتصدى لها»[2].

---

1 – أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة، (بين الموهّبة والقيّادة) رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005م، ص 179.

2 – المرجع نفسه، ص 180.

هذه الثّقــافــة استمدّها من خبرته السّابقة ومن تربيته التّي تلقّاها، ومن الظروف التّي عاشهاـ وقد تجد الشّاعر أيضا في نظمه حول شخصية بوتفليقة، يقيّم رأيه حول الأعمال التّي قام بها بقوله:

لَــنْ ولَــنْ نْقُــولُـــوا لَــكَ إِلَــي الــلِّــقَــا

يَــا سِيــدِي يَــا بُوتَفْلِيقَةْ

الــجَــزَائِـــرْ بيــكْ تــَحْيَــا وتَــرْقَـــا

يَــا سِيــدِي يَــا بُوتَفْلِيقَةْ

وْالأَعْــدَاءْ وَالْحَاسْدِينْ سَيُصَابُــونْ بَالْحَــرْقَا

وَ شَـــعْــبْ لــَقَــدْ بَــرْهَــنْ بَالْــوَرْقَــا

يَــا سِيــدِي يَــا بُوتَفْلِيقَةْ

أَنْــتَ الَّذِي كَســَرْتْ جُــسُــورْ تَّــفْرِيــقَــا

وجْــمَعْــتْ بــيِــنْ الأَحْــبَــابْ والأَشِــقَا

يَــا سِيــدِي يَــا بُوتَفْلِيقَةْ[1]

و الملاحـــظ من خلال هذه الأبيات، استعمال الشّاعر التّكرار في الوحدة الخطّابية "يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ"، وهـــي وسيلة يثبّت من خلالها الشّاعر الشّعبي، المعنى الإنساني الذّي تدور حوله القصيدة، والذّي يعطي كمّا هائلا

1 – فتيحة ولداي تبينة، شعر محمد بوشته الشعبي، ص 123.

من الدّلالات التّي تخدم المعنّى العامّ للقصيدة الشّعبية، أمّا تكرار الوحدة "يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ" دلالة على شدّة تعلقه بالشّخصيّة، وكذلك إعطاء القصيدة حركة إيقاعيّة تعبّر عن ذات الشّاعر وتولد جرسا موسيقيّا في النّـــص، وتخلق نوعا من الإثارة وتكثّيف المعنّى، فيجعل البناء الشّعريّ بناءا متماسكا ومتناسقا، يوصل الشّاعر إلى إيجاد المعانّي والكلمات التّي يعبّر من خلالها، عن وجدانه وأحاسيسه تّجاه عبد العزيز بوتفليقة.

أمّا التّمثّلات الشّعريّة التّي وظّفها الشّـــاعر في هذه الأبيات، توضّحها بعض الـــوحـــدات مثل (إصابة الأعداء بالحرقة)، (كسرت جسور التّفرقة)، (وجمعت بين الأحباب والأشقاء)، وهي دلالة رمزيّة عن الدّور الدّينيّ، الذّي يقدّمه عبد العزيز للشّعب الجزائريّ، وهو تعبير أيضا عن الوّضع الاجتماعيّ الذّي عاشه الشّعب، وتفشّي ظاهرة العنف في الوسط الاجتماعيّ، على الرّغم من أنّ الدّين الإسلاميّ الحنيف يدعونا إلى التّماسك والاتّحاد والتّسامح... وهو المبدأ الذّي انطلق منه عبد العزيز بوتفليقة، من أجل إخماد نار الفّتنة، وإعادة للجزائر قيمتها التّي فقدت في العشرية السّوداء، يقول الشّاعر الشّعبيّ أحمد بوزيان:

رَجْعَتْ سُمْعَةْ الوْطَنْ مَا بِينْ أَقْطَارْ وَرْجَعْ عَزْ بْلَادْنَا فِي ظَرْفْ قْصِيرْ

بَعْدْ أَنْ كُنَّا لَلْعُرُوبَةْ وَصْمَتْ عَارْ رَانَا شَاوْ الرُّكْبْ والقُومَانْ تْسِيرْ[1]

1 – أحمد بوزيان، من وحي الوئام، ص 68.

إنّ التّغيّير الـــذي طرأ على البلاد منذ تولّي عبد العزيز بوتفليقة زمـــام القيّادة، جعل الشّاعر يـــوظّف مـــن شخصيته صورّا ذهنيّة تـــوحي إلى القوّة والعظّمة، واتخذ منّها أيضا موضوعا إبداعيا يزيد النّص الشّعري بعدا جماليّا، وهذا دليل على تجربة الشّاعر ورؤياه الخاصّة. فربطّ الشّاعر الشّعبيّ شخصيّة عبد العزيز بالوطن الهام روحي ودليل رمزيّ لعلاقة الفرد بوطنه، فالوطن رمز الخصوبة والنّماء، فإذا فسدت سياسة تسييره سقطت عنه قيمته، وأصبح ينظـــر إلى شعبه نظرة احتقار، لهذا السبب ركز الشّاعر الشّعبي، على هذه النّقطة حين كان الوضْع قاهرا، حين انتشر الفساد في الجزائر، وفقدت فيه الجزائر عزتّها بيّن الأقطار العربية، وأصبح الفـــرد الجزائريّ في موقف لا يحسد عليه، ولمّا عاد عبد العزيز إلى الوطن، أرجـــع للجزائر عزتّها، وهو دليل رمزيّ على قوّة الشّخصيّة وكفاءتها في التّسيّير، واعتراف العرب بدوره الفعّال في إنجاح الثّقافة ونشر الدّين الصّحيح في الجزائر، ولمِّ شمل أفراد الأمة والمجتمع الواحد، وإعطاء فرصة الحياة في أمن واستقرار.

ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى أمر مهمّ يبيّن العلاقة بين الشّاعر والشّخصية، وهو الحالة النّفسية التّي تؤثّر على إبداع الشّاعر وتساعده على النّظم، فالشّاعر حين يتحدّث عن شخصية عبد العزيز، نلمس ذلك الحبّ العميق والعلاقة الوطيدة، وتلك الثّقة التّي يجعلها في الشّخصيّة، فهو متأكد من أنّه السّبب في الانتقال من المرحلة الصّعبة إلى المرحلة الحاليّة المملوءة بالفرح والسعادة، ويرى بأنّه السّبب في إطفاء نار الفّتنة والسبب في إعادة قيمة الفرد ومكانته، التّي فقدت في العشريّة السوداء حين أصبح ينظر إلى

الجزائريّ، على أنّه إرهابيّ، فللرّجل دور في الوقوف ضدّ الظّلم والطغيان، وإعطاء حقّ الفرد في مجتمعه والمتمثّل في التّعليم والعمل والعيش في سلام، ولعل الشّاعر أحمد بوزيان أكثر الشّعراء الشّعبيّين إعجابا بالشّخصية، التّي عرف عنها رفضها الوضع والثّورة على مسببّيها، ومقاومة الظلم، فأكثر من ذكر أعماله والافتخار بها.

3-المبحث الثّاني: البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ

إنّ الحديث عن البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ، يقودنا إلى إبراز أهمّ التّمثّلات الاجتماعيّة للشّخصيّة، من خلال القصيدة الشّعبيّة، وقد نلاحظ بعض الأمور في هذه الدّراسة المتمثّلة في تداخل وتقاطع بعض التّمثّلات بين البّعد الاجتماعيّ والبعد الدّينيّ.

وقبل الحديث عن أهمّ التّمثّلات الشّعريّة، يجب الحديث أوّلا عن الوضع الاجتماعي الذّي عاشته الجزائر وقت الإرهاب، حيث تدهورت الأوضاع، وأصبح الفّرد الجزائريّ، يعيش التّعاسة والظّلم والاضطهاد والقنوط والخيبة، وعجز عن التّعرف على نفسه، وأصبحت الجزائر عبارة عن ساحة للصّراع بين فئة ضالة تبحث عن النّجاة، وأخرى مهملة تبحث عن الانتقام، وهذا إنّما يدلّ على صنّاع السيّاسة، الّذين يسعون للوُصول إلى السّلطة.

إنّ الموضوع الأساسيّ الذّي يعالجه الشّاعر الشّعبيّ في تمثّلاته الاجتماعيّة هي مدح الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة، والإشادة

بخصالـــه وتعداد أعماله والاعتراف بدوره الاجتماعيّ. ومن النّمـــاذج الشّعريّة التّي تذكر ذلك، قول الشّاعر أحمد بوزيان في قصيدته "والصلح خير...":

صلَّحْ ذَاتْ الْبِينْ وْأَعْطَاهَا مَسْحَةْ صَارَتْ خَيْرَاتْهَا عْلِينَا تَتْهَاطَــلْ

اَتْهَنَّى يَا شَعْبْ وْأَهْنَى بَالْفَرْحَــة وتْمَتَــعْ مَا دَامْ فِي كَتْفَكْ رَاجَلْ

هُــوَ مَــنْ نَادَاكْ بَالمُصَالَــحَةْ بُوتَفْلِيقَةْ جَاكْ بَالْبُشْرَى عَاجَلْ[1]

حيث يقوم الشّاعر الشّعبي بتعداد بعض الصّفات، التّي لها دلالات رمزيّة توحي إلى صفات أخرى يمثّلها الشاعر عن شخصيّة عبد العزيز، كما يقوم بتتبّع هذه الصّفـــات، التّـــي تدخل فـــي بناء الشخصية الاجتماعية لعبد العزيز؛ لأنّه المصلح الاجتماعيّ الذّي ألّف بين قلـــوب الأفراد، وأصلح ذات بينهم، كما حوّل المعاناة إلى فرحة، وأدخل البهجة في قلـــوب الشّعب بعد معاناة دامت أكثر من عشر سنين عجاف. أمّا استعماله لفظة "رَاجَلْ" في الأبيات، فيدل على أنّه أعظم فرد جزائريّ، وكان لمجيئه دور جليّ فـــي انجـــلاء الضّلالـــة وعموم الأخلاق الحميدة، وهي الأسباب التّي تجعل الـــفرد الجزائريّ يضع الثقـــة فيه، ويعطيه أصواته في الانتخابات؛ لأنّه واثق إن لم نقل متأكّد من أنّ الرّجل هبة من الله، أرسله إلى الشّعب الجزائري ليخرجه من الظّلمات، ويدخله إلى النّور، ومواقفه وأعماله تزيد الفّرد حبّا وإعجابا بهذه

1 - أحمد بوزيان، المصدرالسابق، ص 33.

الشّخصيّــة، فــ«الجديد في قصائد الملحون الخاصة بمدح هؤلاء، والاستنجاد بهم يتمثّل في الــرّبط بين الشّاعر وبيئته وبين الفرد ومجتمعه»[1].

كما يمكن أن نجد بعض القصائد التّي تتحدث عن شخصيّة عبد العزيز وتستنجد به، و«تكاد تكون صرخات مدوّية تعلن عن ألم الشّاعر ويأسه، وترتفع نبرتها إذا كانت من أجل الوطن، أو من أجل ما لحق بالشّاعر والشّعب معا»[2].

يقول الشّاعر محمد بوشتّة في قصيدته "بوتفليقة":

وَأَنْــتَ الــذِّي وَحَــدْتْ بــيــنْ الأَفَـــارِقَـــا

هْــنَا فِـــي بْــــلادَكْ وبْــيِــنْــنَــا سَــتَبْــقَا

ولْــنْ ولَــنْ شَــعْــبْ يْقُــولُوا لَــكْ إِلَى اللِّــقَا

يَا مَنْ حَــارَبْتَ الــزُّورْ وَالــرَّشْــوَةْ والــسَّرِقَا

وَذْهَـــبْ تْمَــشْــيَـــا فِــي وَسَطْ شَــعْبْ فَزُنْقَا

بَالْــيَدْ تْــشَـــالِـــي وَالنَّـــاسْ بْــحُبَكْ حَامْقَــا

لا حُــرَاسْ يَحْرُسُــونَــكْ وْلا رْجَالْ يَحْمِلُونْ بَنَادِيقَا

عشر سنَــوَاتْ حَــرْقَــتْنَا وْنَـــارْهَــا نَـــارْ حَارِقَا

---

1 – عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 437.

2 – المرجع نفسه، ص 438.

وَأَنْــتَ اَلَّــذِي رَجْعَــتْشَــمْسْ مَنْ جْدِيدْ شَارِقَا

وَلَنْ ولَنْ نْقُولَكْ إِلَى لِقَاءْ[1]

ذكــر الشّاعــر فــي هذه الأبيات بعض الأعمال التّي قام بها عبد العزيز بوتفليقة، والتّي تدلّ على التّغيّير الاجتماعيّ، الذّي عرف عدّة آفات اجتماعيّة، كآفة الرّشوة والسرقة وشهادة الزّور وغــيرها... والتّــي انتشرت بكثرة في المجتمع الجزائريّ. و«على هذا المستوى برع شاعر الملحون في نقل صور وتأملات، عن أحوال عصره ومظاهر التّردّي والانحلال في مجتمعه، ومحاولة البّحث عن المعنى والدّلالة في كلّ ذلك، مع تنبيه أعين النّاس وضمائرهم إلى عواقبه وأخطاره»[2].

وعند الإشارة إلى بعض الآفات التّي التصقت بالفرد الجزائريّ، في زمن مضى، ليست «هي الصّورة الوحيدة عن المجتمع ومكوناته لدى شاعر الملحون، فهناك قراءات أخرى أكثر اعتدالا، وربّما تطرفا على السّابقة»[3]. والمتمثّلة في القتل والتّشريد والاغتصّاب... وكلّها صفات تجمع على فساد المجتمع أخلاقيّا ودينيّا.

وبالعودة إلى الأبيات السّابقة، تظهر جليّا دلالات بعض الصّور والرّموز، التّي تدلّ على حسن نيّة الشّخصيّة، وما التّحدي إلّا دليل قاطع على

---

1 – فتيحة ولداي تبينة، شعر محمد بوشتة الشّعبيّ، ص 123.

2 – عبد الصمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالتها، ص 153.

3 – المرجع نفسه، ص 154.

عدم تقبّل هذا الوضع الاجتماعي، الذي لا يصل بالإسلام في شيء، على العكس فهو يميل إلى الشّرك بما أمر الله عباده وطالبهم به يقول الله تعالى: **"وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ(81) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ اَلْمُبِينُ(82)."**[1]

وأمّا الصّورة الاجتماعيّة البارزة في هذه الأبيات فهي صورة التّواضع التّي تمثّلها الشّاعر في عدّة وحدات خطابيّة مثل قوله: "ذهبت مشيا في وسط شعب فزنقا"، وقوله أيضا: "لاَ حُرَاسْ يَحْرُسُونَكْ وَلاَ رْجَالْ يَحْمِلُونَ بَنَادِيقَا"، فالرجل من الشّعب وثقة الشّعب به جعلته ينزل إلى منزلة الشعب، حتى يحسّ بما يحسّون به، وكأنّه يريد القول من خلال هذا التّصرف أنني مثلكم أعاني؛ لأنّي أحسّ بما تحسون، والضرّ الذي يمسكم يضرني، فلنجعل أيدينا يدا واحدة ونُسهم معا في بناء جزائرنا، وننهض بوطننا إلى المستوى الأحسن.

وبالطّبع فلا يمكن إخراج الجزائر من وضعها إلاّ إذا اتحد جميع أفرادها، ورفعوا شعارا واحدا ضدّ أعداء الوطن، وأسهموا في بناء الجزائر؛ جزائر العزّة والكرامة، التّي ضحّى في سبيلها أكثر من مليون ونصف مليون شهيد. أمّا الشّاعر شوشة جلول فقد عبّر عن صورة اجتماعيّة أخرى في قصيدته "المصالحة الوطنية" لمّا قال:

وْ بَالْـوِنَامْ الْحَـالْ وَلّـَى مْسَقَّمْ   لَقْلُـوبْ الـسُّودْ اَتْغَسْلَتْ نَقَّاهَا

1 - سورة النّحل، الآيات: 81-82.

اَلْوِئَامْ سْــدُودْ رَبْطَــتْ وَادْ الــدَّمْ وَالنَّــاسْ اَلْمَتْنَافْرَةْ قَعْ رَضَّاهَا

وْ تَوَّبْ ظَالَمْ كَانْ فِي السَّاحَةْ يَعْدَمْ وْفَرَحْ نَــاسْ سْنِينْ مَازَلْ بْكَاهَا

وْالخَــوَّفْ اَللِّي كَانْ بَنْيَّــابَهْ يْزَّدَمْ ذِيكْ الــصِّفَةْ كَــانَتْ وَدَّعْنَاهَا[1]

ومن الجيّد أن يصورّ الشّاعــر الوضع نفسه، والحالة النّفسيّــة والاجتماعيّة نفسهما للفّرد الجزائريّ، حين ينوّع التعابير الشعرية للدّلالة على حياة الفّرد في العشر سنوات الــدامية، والتّــي اسودّت فيــها قلوب الشعب وكثرت فيها الاقتتال، وفُقدت كرامة الفرد وعزته، وتنافر فيها النّاس، وعاث الظّالم فيها فسادا، وساد الخوف، وانتشر الرعب في الوطــن المستقــل، وكأنّنا ما نزال نعيش أيام الاستعمار الفرنسي.

وكانت شخصية عبد الــعزيز هي الأنسب لــزوال هذه الظّاهرة، عندما وظّف الوئام كوسيلة لجمع شمْل الشّعب، وهو ما يؤكــده الشّاعــر في قوله: "وْبِالْوِئَامْ اَلْحَالْ وَلّى مْسَقَمْ"، فالوئام ظاهرة اجتماعيّة تهدف إلى تحسين الــوضع وتوحيد الأفراد. أمّا شخصيّة الرئيس عبد العزيز، فهو الرّمز الذّي يعطي دلالات جديدة، وفق الموقف النّفسي للشّاعر، والذّي يكسب النّص بعض الإيحاءات، حيث لن يبقى رمز الشّخصيّة حبيس ذلك الماضي المؤسف.

أمّا رمز "الوئام" في الشّعر الشعبي الجزائري، يحيل إلــى الإسلام، فهــو النّور الذّي يعيد للجزائر أمنَها واستقرارها، وتحيى به النّفوس بعد أن

1 – إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 110.

عـــاشت ظلم الجّهل والاضطهاد، وتجود على النّفس الحبّ والفرح والسعادة والهناء... وللوئام مكانة مقدّسة في نفس الفرد الجزائريّ، وفي قلب الشّاعر الشّعبيّ الذّي يسعى إلى تحسين وضع إخوانه المواطنين، فالجزائر أمّة عربية ترمز للإسلام، فمن غير الممكن أن تعيش في هذا الوضع الذّي آل واقعها إليه. يقول محمد بودالي في قصيدة "الوئام سنة":

نَقَّى القَلُوبْ هَذَمَتْ مَرْيدْ	أَوْقَفْ بْجَنْبُــو الإِلَهْ النَّاصَرْ
نَزَّلْ اَلرَّحْمَةْ بْقُوّتْهَا تْزِيدْ	الله الرَّؤُوفْ فَالشَّدَّةْ حَاضَرْ
بْعَثْ بُوتَفْلِيقَةْ جَانَا بَالْمُفِيدْ	قَانُونْ الْــوِئَامْ الله لُو نَصَرْ
نَادَا لَلتَّوْبَةْ ذَا وَاجَبْ أَكِيدْ	وَالرَّافَضْ هَذَاكْ فَالتَّالِي خَاسَرْ[1]

من خلال هذه الأبيات يتّضح أنّ شخصيّة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة وأعماله المقدّمة من أجل الشّعب الجزائري، أصبح لها صدى في المخيال الشّعبيّ الجزائريّ وخاصة عند شعراء الملحون، الذّين يعتبرون الشخصية رغبة إلهية بعثها الله للشعب لتكون رحمة من الله الرؤوف الرحيم، والدّليل على ذلك قول الشاعر: "نَزَّلْ الرَّحْمَةْ"، وقوله: "بْعَثْ بُوتَفْلِيقَةْ"، وهي رموز دالة على التّطور الاجتماعيّ الذّي عرفه المجتمع الجزائري، بعد عــودة الشّخصيّة إلـــى أرض الوطن، ورفعها التّحدي ضدّ الظالـــم الغاشـــم، الـــذّي

1 – محمد بودالي، أعمال الملتّقى الوطنيّ حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائريّ من خلال فنون القول الشّعبيّ، ص 540.

حوّل الوطن إلى دمار وقفر وخراب، وقد تسبب في إبادة الأرواح. أمّا الإرهاب فهو رمز للتّشاؤم والنّفور في المخيال الشّعبي الاجتماعي.

ونشير إلى أنّ حضور الشّخصية في الشّعر الشعبي، أضحت رمزا أساسيّا يثري دلالة الـنّص الشّعـري، ونذكر أنّ الـرّمز يكسب خاصيّة مميزة لدى الشّاعر الشّعبي. وهي الخاصيّة الذّاتيّة التّي تختلف من مبدع لآخر «إلاّ أنّ نقطـة البدء الطبيعيّة في عملية الرّمز، هي اختلاجه النفس بحالة يراد التّعبير عنّها، ثمّ يتجه طريق السير من باطن إلى ظاهر ومن حالة وجدانيّة داخليّة إلى شيء في دنيا الأشياء الخارجيّة»[1]. ووجود هذه الحالة يكون عن طريق التأثـر بأعمـال عبد العزيز بوتفليقة، خاصة تلك الأعمال التّي تسعى إلى تغيّير الحالة الاجتماعيّة بما أنّه أحد أفراد المجتمع، متأثر هو كذلك من الوضع ويبحث عن وسيلة تساعده والشّعب قصد الخروج منه.

أمّا لغة الشّاعـر الشّعبية فهي معبِّرة عن ذلك التوتر والقلق الذي يمتاز بالحيويّة، وتكون اللّغـة المستعملة في القصيدة الشّعبية، «فرديّة وعالميّة قوميّة وشائعة، موقوتة وأبديّة، ضاربـة بجذورها في البيئة، ومزوّدة بأجنحة الرّوح، مفهومة وعاليّة على الفهم، منفتحة على اللاّ نهائيّ»[2]. ترمز إلى الفرد الاجتماعيّ وتعكس الوّضع المعاش، وتدلّ علـى قيمة شخصيّة الرئيس عبد العزيز فـي الـوطن العربي عامة، والجزائر خاصة؛ لأنّ أخبار إنجازاته

1 – زكي نجيب محمود، قيّم من التّراث، دار الشّروق، مصر، (د.ت)، ص 49.

2 – عاطف جودة نصر، الرّمز الشّعريّ عند الصّوفيّة، ص 113.

بلغت العالم أجمع وأصبح رمزا ومثلا يضرب في الرّوح الإصلاحيّة، ومقامـا يعتبر بــه فــي محاربة الإرهاب.

إنّ العمل الذّي يقدّمه الرئيس عبد العزيز إلى وطنه، هو عمل حثّ عليه القرآن الكريم، وهو دليل على الارتباط بأسس الدّين والإيمان بالله ومصدقا لقوله تعالى: "**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُومِنٌ فَلْنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلْنَجْزِيَنَّهُمُ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.**"[1]

ويقول أيضا: "**وَإِذَا جَاءَكَ الذِينَ يُومِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.**"[2]

ومن أسباب تمسك الشّعب الجزائريّ بشخصيّة الرئيس عبد العزيز، أنّه يقول ما يفعل، والصّدق في القول وسيلة لاكتساب العقول والقلوب، ونلمس ذلك حين وعد الشّعب بأنّه سيسترجع «الأمن والطمأنينة عبر السلم المدني، والقضاء على العنف فكرا وقولا وحتى عملا، من خلال خطاباته الموجهة للأمة، وعد بإطفاء نار الفتنة التّي كانت آنذاك مشتعلة»[3]. وهذا ما تحقق فعلا على أرض الواقع، وعادت الرّحمة إلى المجتمع، وأصبح الفرد الجزائريّ يعيش في أمان.

1 – سورة النّحل، الآية 97.

2 – سورة الأنعام، الآية54.

3 – أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيادة، رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنية، ص 39.

كما تعهد بصدّق وإخلاصّ أنّ يجمع الشّمل، ويحقق «الأهداف الحيويّة التّي تنشدّها السيّاسة الوطنيّة»[1]. وهذا ما أعطى للشّاعر الشّعبي موضوع إنشاده، حيث اعترف بالقيمة السيّاسيّة والاجتماعيّة للرئيس عبد العزيز، الذّي وعد ووفّى بعهده؛ وعد بتوفير الأمن والسّلام ووفّى بذلك، وأصبح الفرد الجزائريّ يتنقل في كافة أرجاء الوطن دون خوف، ينعم بالأمن والسّلم، وهو ما كان يصبو إليه الرئيس حتّى يتمّ تحقيق الأهداف الأخرى؛ لأنّ «الأمن والاستقرار هو السبيل الوحيد لإنجاح الميادين الأخرى»[2].

ولهذا فإنّ الشّاعر الشّعبي، يختار في قصائده مواضيع تسهم في تعميق الأحاسيس، عن طريق مدح شخصيّة الرئيس عبد العزيز الذّي يتمتع بمكانة خاصّة في نفوس الشّعب الجزائريّ، يقول شوشة جلول:

يَا مَبْهَى شَعْبْ الدْزَايَرْ كِي يَتْلَمْ وْيَا مَبْهَى شَمْسَهْ إِذَا بَانْ ضْيَاهَــا

اَلْوَطَنِيَةْ فِي قْلُوبَهْ مَــاتَــهْرَمْ والْحُــرِيَةْ فُوقْ رَاسَهْ عَلاهَا

اَلْعُبُودِيَةْ مَــا يْقُولْلْهَاشْ أَنْعَــمْ وْكَلْمَتْ "لا" لَقَالْهَــا مَاتْ حْذَاهَــا

مَشْرُوعْ الْمُصَالَحَةْ هَــذَا يَلْزَمْ وَاللِّي ضَدَّهْ آ المَخْصُوصْ نْبَاهَــه[3]

إنّ المسألة الاجتماعيّة التّي يعالجها الشّاعر الشّعبيّ في قصيدته، عبارة عن تعبير أكثر دقة وملاءمة لأعمال عبد العزيز بوتفليقة، الــذّي حول الحياة

1 – أحمد قوراية، المرجع السابق ، ص 40.

2 – المرجع ، نفسه ص 40.

3 – إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 110.

الاجتماعيّة المظّلمة بأساليب الإرهاب واضطهاده خاصة بالنسبة لشعب المعزول الذّي\ لا حول ولا قوّة له، والذّي بعد أن كان يصارع قسوة الظّروف الطبيعيّة، أصبح يصارع بطش العناصر الإرهابّية من جهة، والخوف من المجهول الذّي قد يحدث في أي لحظة من جهة أخرى. فالخطر كان موجودا في كلّ لحظة، وفي كل وقت، لذلك كان يعاني اللا استقرار أمنيّا واجتماعيّا وحتّى ثقافيّا بسبب انعزاله عن المجمعات السكانيّة.

وقد ربط الشّاعر الشّعبي شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالمصالحة؛ لأنّها الوسيلة التّي تساعد على إرساء قواعد ثقافة السّلم، ويسعى بذلك إلــى محاربــة الحقد والشحناء، ويبدّلها بثقافة الحبّ والمودّة، ليمحو آثار الحزن الــذّي عاشـــه الشّعب مدّة عشر سنوات، فهو بهذا يسيّر بما يمليه عليه ديننا الحنيف، وما أمره الله تعالى به في قوله: "**إِنَّمَا اَلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**"[1].

إنّ تحقيق المراد يجعــل من شخصيّــة الرئيس عبد الــعزيز رمزا في الذّاكرة الشّعبيّة، فهو من دون شكّ أصبح كبيــرا وسيِّــدا لــدى الــفرد في المجتمع الجزائريّ، يدعو إلى التّماسك والاتحاد وينبذ التّفريق بين أفراد الشّعب الواحد، الذّين تجمعهم الأصالة والعروبة والدّين. والشّاعر الشّعبيّ يسعى من خلال تعداد أعماله الإصلاحيّة إلى توظيف الرّمز في الإشارة إلى الرئيس عبد العزيز، فهو رمز الإصلاح والسّلام، وكلّها تدل على أنّ الرّجل مؤمن بالله

1 – سورة الحجرات، الآية 10.

تعالى، ومصدّقا لسنّة رسوله الكريم، مؤمن بنجاحه في جمع شمل الشّعب، وحقن دمّ المسلمين الجزائريّين، بسياسة العفو عن من تاب بعد كفره وأصلح ما أفسد.

ولذلك سهر على تطبيق قانون المصّالحة الوطنية، التّــي تمثّل القيّــم والفضائل والأخلاق، وهي صفات قلَّما تجتمع في شخص واحد. ومنها نتوصل إلى أهمّ التمثّلات التّي يوظّفها الشّاعر الشّعبي في قصائده، يقول الشاعر ابن السّايح الخثير في قصيدته "الصلح"، والتي يسعى بها لتدعيم قانون المصالحة.

الصُّلْحْ الصُّلْحْ تْعُودْ فِي القُوَّةْ مَجْهَدْ   وبْلا صُلْحْ نْعَمْ فِي الدَّوْلَةْ لَفْسَــادْ

الصّْلُحْ الصُّلْحْ عْلاشْ تَبْقَى حَاقَــدْ   قَلْبَكْ يَصفَى خِيرْ لَكْ ملِّــي يَسْوَادْ

الصُّلْحْ الصُّلْحْ تْعُودْ لَلْمَوْلَى حَامَدْ   وشَاكَرْ فَضْلَهْ كِي تَتْهَنَّى لَكْبَــادْ

كِيمَا دَارتْ نَاسْ سَبْقَتْنَا فِــي الْوِدْ   وتَبْقَى فِي لَخْيَالْ سِيرَتْهُمْ تَتْعَــادْ

اَلْجُرْحْ اللِّــي كَــانْ دَامِي يَظَّمَــدْ   وْذِيكْ النَّارْ تْصِيرْ بْإِذْنْ اللهْ رْمَادْ[1]

فالشّاعر يريد المشاركة في إرساء قانون المصّالحة، والتّي يدعو إليها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فيبيّن إيجابيات نشر هذا القانون وتطبيقــه فــي المجتمع، فهو يحافظ على النّفس وروح الفرد، ويسهم في نشر المحبّــة ويشفي الجرح الذّي ظلّ ينزف في العشرية الدّامية، ويخمد لهيب الفتنة، ويوحّد المجتمع ويحافظ على كيان الدّولة وأسسها الاجتماعيّة والثّقافيّة والدّينيّة

1 – إبراهيم شعيب، الدّيوان المثّير للشّاعر ابن السايح الخثّير، ص 101.

والسيّاسيّة، ويبعـد الخـوف عـن المواطن، الذّي لن يستطيع المقاومة لفترة أخرى، بسبب ضعف قدرتـه علـى تحمّل، وهذا ما يسعى إليه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وقد تحقّق على أرض الـواقع، حيث أصبح الفرد الجزائريّ يعيش في سلم وسلام، والدور يرجع لشخصية الرئيس عبد العزيز الذي كان له الفضل الإيجابي في إرجاع الجزائر إلى السكّة الصحيحة، حيث ألهمه الله عزّ وجلَّ القدرة على رفع التّحدي ومواجهة الصّعـاب لتحقيق جزائر العزّة والكرامة.

إنّ القيّم التّـي يتميّز بها الـفرد الـجزائري، تجعلـه يقـف ضـدّ أيّ عدوان ويجازف بنفسه في سبيلها، وهذا مـا نلمسه في شخصية عبد الـعزيز بوتفليقة، الذّي واجه كلّ الأطراف الضديدة له، والتي تحمـل برنامجـا غيـر برنامجه، وتسعى إلى الفتنة وعدم الاستقرار.

والملاحظ من خلال النّصوص الشّعرية الشعبية التّي تجعل من شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة موضوعا لها تشابها في الموضوعات، غير أنّ القيّم تختلف من نص إلى آخر لإثبات الذّات الشّاعرة ضدّ إرادة المجتمع الطّاغية، والتّي يجب تصحيحها؛ فالشّاعر الشّعبي يرى أنّ شخصيّة الرئيس عبد العزيز، تمثّل رمـز السّعادة. أمّا المجتمع فهو رمز الشّرف والكرامة، ولا يمكن للـفرد أن يدوس على منبع سعادته ومصدر شرفه وكرامتـه، فتصبح كـلاّ من الشّخصيّة والمجتمع شيئا مقدسا لدى الفرد الجزائريّ يجب المحافظة عليه.

حاول الشّاعـــر علــــي لميـــزي*، فـــي حديثـــه عـــن سيّاسة الـــرئيس عبد العزيز الإصلاحيّة إبراز بعض العوامل المساعـــدة علـــى نجاحها فـــــي الـــواقع، رغم وقعها النّفسي خاصة على بعض الأفراد، الـــذّين فقـــدوا أعـــزّ الرّفقاء، لكن التّسامح من شيّم المسلم وخصاله، خاصـــة إذا عـــــاد بالفائـــدة علـــى المجتمع الجزائري. يقول في ذلك:

اَلْـــحَمْـــدُ لِلَّـــهِ مَـــنْ بَـــشَّرْنَـــا	**مَنْ وَحَّدْ صَفُوفْنَا جَـــابْ الْوِئَـــامْ**
وَاقْسَمْ فِي الْخِطَابْ لَوَّلْ وَاعْجَبْنَا	**قَـــالْ العِزّهْ وَالْكَـــرَامَـــةْ لَلْكِرَامْ**
وَنْغَيَّـــرْ مُـــحَـــالْ نَقْعُدْ نَسْتَنَـــا	**وَانْصَلَحْ مَا رَاهْ غَالَطْ فِي النِّظَامْ**
بِيكُمْ يَا شَبَـــابْ لَلنَّهْظَـــةْ قُمْنَـــا	**وبِيـــكُـــمْ يَـــا شَبَابْ يَتْقَدْ المَقَامْ**
اَلْجَزَائَرْ غَرْبْ شَرَقْ أَوْ مَا شَفْنَا	**شَمَالْ أَوْ جَنُوبْ يَلْزَمْ لَنْسِجَامْ**
فَوَّتْنَا هْمُـــومْ شْتَـــاتْ أُوغَبْـــنَا	**اَلْمَاضِي مَا نَنْسَاهْ وَالَمُسْتَقْبَلْ هَامْ**[1]

* – هو أحد فحول الشّعر الشّعبيّ ببلدة سيدي خالد ولاية بسكرة، وهو على لميزي بن بن عزوز بن أحمد بن الحاج أحمد المولود يوم 20 جانفي 1955 بسيدي خالد، المعروف بضريح النبيّ خالد بن سنان العبسيّ كما يعتقد سكان المنطقة وورد في بعض الكتب القديمة، وتعرف بقبر "حيزية" المرأة المعروفة بوفائها وإخلاصها.

ينسب إلى عرش أولاد حركات وموضوع من قبيلة أولاد زكري التّي تنتمي بدورها إلى قبيلة أولاد نايل وهي من أكبر القبائل في الجزائر، ومن العوامل التّي ساعدت على نبوغه حبه الشّعر وحبه للكلمة الجملية منذ نعومة أظافره، واختلاطه بكثير من الشّعراء ولعلّ أشهرهم بن السائح الخيثر والشّاعر عبد القادر بن النوّي والسعيد بوعشرين والبشير قدايعة وإبراهيم لحسن...

1 – علي لميزي، الخيّال الرّمزي من خواطر علي لميزي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريّين، الجزائر، ط1، 2009م، ص 70.

تكشف اللّغـــة العاميّـــة المستعملة في الشّعر الشّعبيّ، والتّي تجعل منه أقوى في التّداول والاستمراريّة، أنّ قـــوة القصيدة لا تكمن في قدرتها على توظيف اللّغة توظيفا شعريّا وحسب، وإنّما تميّزها بخصائص جوهرية متعددة يصعب إعادتها عندما تكون في صيغتها الأوليّة.

ومـــن بين الرّموز التّـــي استعملـــها الشّاعر علي لميزي، "في الصيغة المكتوبـــة."[1] ولذلك نجده أكثر دلالة وأكثر رمزا توظيفه لبعض الألفاظ مثل "وحد" و"بشر" "أقسم"، وهـــي ألفـــاظ دالـــة أولا على القوّة والقدرة الهائلة التّي تميّز شخصية عبد العزيز بوتفليقة عن باقي عظماء الجزائر، حيث ضمّنها دلالـــة الفرج مـــن قساوة الحياة، فهو الذّي أعطى للشباب فرصة العمل وبناء الأسرة، بعث فيه الأمل والتّفاؤل، فتوظيف شخصية عبد العزيز كرمز في الـــواقع تعبير عـــن الأمل الذّي لا يتحقق إلا بالتوحّد والعمل الصالح ولمّ الشّمل والتّسامح وإصلاح النّظـــام والانسجـــام والتّوجه إلى بناء جزائر المستقبل، كما يرمز الشّاعر لشخصية بالمبادئ التّي يؤمن بها الفرد ويلتزم بتحقيقها وتحقق له راحة نفسيّة، والمتمثّلة في "العزة والكرامة".

واستعمل الشّاعر في قصيدته "المصالحة الوطنية"، الكثير من الرّموز التّي تأخذ دلالات عامّة وذلك في قوله:

كُنَا فِي دَمَارْ وَالْيُـــومْ جْـــمَلْنَـــا قَصْدُو فِي الْمُصَالَحَةْ حُبْ الإِسْلامْ

---

1 – فرانك بالمر، مدخل إلى علم الدّلالة، ترجمة د.خالد محمود، جمعة، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع، الكويت، ط1، 1997م، ص 41.

اَلْعَفْوْ الشَّامَلْ بَاهْ تَخْمَدْ ذِي الْفِتْنَا نَسَّامَــحْ وَاتْــعُــودْ مَقْدُودَةْ لِيَّـــامْ

نُوفَمْبَرْ مَا غَـــابْ وَاحْنَا مَزَلْنَـــا اَلْجزَائَرْ رَاسْخَةْ فِي الْقَلْبْ أُو شَامْ

بَالْخَرِيطَةْ كَـــامْلَةْ مَـــا نَسْتَغْنَـــا وَطْنِينَـــا مَحْبُـــوبْ رَفْرَفْ يَا عْلَامْ

يَا شَبَابْ اَلْيُومْ اَفْهَـــمْ مَـــا قُلْنَـــا وفِـــي الْوَحْدَةْ مَوْجُودْ مَفْتَاحْ السَّلَامْ

يَـــدْ فَرِيدَةْ مَا يْعُودَ لْـــهَا مَعْنَـــا جَمْعْ الشَّمْلْ يْزَوَّلْ عَنَّـــا ذَا الظَّلَامْ[1]

إنّ استعمال الرّمز في هذه الأبيات تعبير من الشّاعر عن خلجات نفسه، في محاولته التّنفيس عن واقعه المتأزّم والمهزوم. وأبرز الرّموز وأقربها تعبيرا عن الشّخصيّة السيّاسيّة لعبد العزيز بوتفليقة رمز التّسامح، فالمصالحة تجعل التّسامح أساسا لها بين الطرفين المتعاديين، وهذا ما يدلّ عليه الشّاعر في الوحدة الموضوعيّة "العفو الشامل"، فيربط نجاح قانون المصالحة بالعفوّ الشّامل تارة وبالوئام المدنيّ تارة أخرى. لكن الحقيقة التّي يسعى الشّاعر لإبرازها هي حبّ عبد العزيز بوتفليقة للإسلام الذّي يحثّ على التّسامح والاتحاد، وهي النّقطة التّي ردّدها عبد العزيز «في أغلب خطاباته ثلاث مرات (عفى الله عن ما سلف)، كان يرى أنّ الوئام المدني يمحي الحقد ويزهق الفّتنة العميّاء التّي قادت البعضّ مرغمين ومجبرين وبدون قناعة، نتيجة كثرة المظالم الاجتماعية»[2]. فنجاح قانون المصالحة هو نجاة للعباد وخدمة للبلاد،

---

1 – علي لميزي، الخيّال الرّمزيّ من خواطر علي لميزي، ص: 70-71.

2 – أحمد قوارية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيّادة، رجل الأقدار وزعيم المصّالحة الوطنيّة، ص 44.

التّي ستبقى واقفة وعظيمة لأنّ أبناءها أبناء نوفمبر وأبناء نوفمبر لن يفرطوا في وطنهم؛ لأنّه رمز الانتماء ورمز الوجود.

إنّ استعمال رمز التّسامح، يوضّح المسعى العام لقانون المصّالحة، فالشّاعر يربط بين المصّالحة وحبّ الإسلام عند الرئيس عبد العزيز، وهو دليل على سعيه في تطبيق ما أمر الله به، فالمصالحة تدعو إلى حماية النّفس التّي حرّم الله قتلها إلاّ بالحقّ، في قوله تعالى "**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التِّي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا.**"[1]

فتكون الدّعوة إلى المصالحة من أجل إخضاع الجميع إلى هذا القانون، والدّعوة إلى الإيمان؛ لأنّها الوسيلة الوحيدة التّي تخرج الجزائر من محنتها، وترجع المجتمع إلى الحركة العادية التّي يسودها الرأفة والتّعاطف والعدل وإنصاف المظلوم وإعطاء كلّ ذي حق حقه.

ومن بين الرّموز التّي وظّفها الشّعراء الشعبيّون حول شخصية عبد العزيز بوتفليقة، هي التّناغم الوجداني؛ أي «الإحساس بالمشاعر الوجدانيّة التّي تعتمل في قوام الشّعب، الذي يقوده القائد من الضبطّ الانفعاليّ الإيجابيّ والوجدانيّ»[2]؛ أيّ الإحساس بما يعانيه الشّعب سواء أكانت هذه المعاناة

---

1 – سورة الإسراء، الآية 33.

2 – أحمد قوارية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيّادة، رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنية، ص 176.

اجتماعيّة أو ثقافيّة أو سياسية، والصّدق في القول والفعل والأحاسيس، وهذا ما يعكسه الشّاعر الشّعبيّ "أحمد ميمون" في قصيدته "الزلزال" حين قال:

بُوتَفْلِيقَةْ فِي السْبِيطَارْ بْقَى يَخْطُبْ

بَـــاقِـــي فِـــي الطُـــبِّـــى يَرْغَـــبْ

يَا فْـــرَامْـــلا قُومُـــوا بَالـــوَاجَـــبْ

وقَـــامْ بَـــالشِـــيء الـــلّـــِي كَانْ

بُـــوتَـــفْـــلِيـــقَةْ هْـــدَرْ مْـــلِيـــحْ

قَـــالْ كْـــلامْ اَلْـــكُـــلْ صْـــحِيحْ

اَلْمَرْضَى الدَمْعَةْ مَنْ الْعَيْنْ الطِّيحْ

أَيْصَـــبِّـــرْ فِـــي الصَّـــبْـــيَـــانْ

طَيَّـــارَاتْ مْـــنَ الدُّولْ جَايِّينْ

قَالْ اَعْطِيـــوْهُمْ لْهَذَا الْمَنْكُوبِينْ

بَالْكَسْوَى والَفْرَاشَاتْ مْعَمْرِينْ

اَلْـــمَـــوَادْ ذَا زِيـــدْ الـــدْيَّـــانْ[1]

---

1 – سميرة لحمر، شعر أحمد ميمون الشّعبيّ، جمع ودراسة، مخطوط مذكرة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2008م، ص148.

لقد أحسن الشّاعر تمثّلاته حول شخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، حيث اختار توظّيفها بعناية فائقة، حسب الموضوع الشّعري المعالج أو المراد تبليغه، فتجربة الرئيس عبد العزيز الإنسانية تقوده إلى التّقرب من المواطن في سرّائه وضرّائه، وهي رسالة معينة تكتسي نوعا من الواقعيّة الشّعبية والارتباط لا متفاني بين الشّخصيّة الرئيسة وأفراد المجتمع.

فالشّاعر من خلال هذه الأبيات يستعمل الرمز في سرده للواقع الاجتماعي، حتى يكسب الشّخصية تلك القداسة التّي تعكس الأعمال التّي قامت بها، فيوظّفها عن طريق الإيحاء، ليوّلد علاقة بين روعة الماضي وتألقه في الحاضر، فالرئيس عبد العزيز شخصيّة رمزيّة تركت بصمتها في التّاريخ من خلال الوقوف والتحدّي ضدّ الأحداث التّي وُجدت في الواقع الجزائريّ، والتي ناضل من أجلها حتّى تحقق له ما أراده، ويتطلع الشّاعر الشّعبيّ من خلاله إلى إعادة الحياة الطيّبة للجزائر، التّي كان يعيش فيها الفرد قبل ظهور الإرهاب.

وبالعودة إلى الأبيّات السّابقة؛ لابدّ من الإشارة إلى بعض التّمثّلات التّي يحاول الشّاعر من خلالها، إبراز الدّلالات الإيحائيّة المتمثّلة في استحضار الوّضع المأسويّ الذّي سبّبه الزلزال، مستحضرا الحادثة في سياقها الاجتماعيّ، وكيف تعامل معها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

ويبدو من خلال صيّاغة الشاعر لهذه الأبيات، وضوح خاصيّة تشير إلى قيمة شخصيّة الرئيس عبد العزيز، فالشّاعر حين يستعمل بعض الوحدات الموضوعيّة مثل قوله: "بُوتَفْلِيقَةْ فِي سْبِطَارْ بْقَى يَخْطُبْ"، لها دلالة غير

الدّلالة الظّاهرة في السياق الشّعري، فهو لا يخطب بمعنى إلقاء خطبة؛ بل يصبّر المنكوبين من المحنة التّي حلت بهم وبأولادهم، فخطابه هذا يعكس مشاركة الرئيس الشّعب المنكوب معاناته، وهو ما يعكس أعماله الميدانيّة، والتّي تأثر بها الشّعب وجعلت له مكانة في نفوسهم.

أمّا في الوحدة الموضوعيّة "بَاقِي فِي الطّبَى يَرْغُبْ"، وقوله: "يَا فْرَامْلَا قُومُوا بَالْوَاجَبْ"، فإنّ الشّاعر يخرج عبد العزيز من سلطته باعتباره رئيسا، ويضعه في مرتبة التّواضع، وفي هذا دلالة رمزية على الحكمة في مواجهة الأحداث بأسلوب متناغم وجدانيّ، من أجل مواساة المواطنين المتضرّرين والتّخفيف عنهم شدّة الواقعة نتيجة فقدانهم الكثير من الأفراد، والسّعيّ إلى إسكانهم حتى يحقّق ما بدأه في إطار المصالحة الوطنية، وهذا ما تدل عليه الوحدة الموضوعية "وْقَامْ بَالشِيء اللّي كَانْ"،أي أن عبد العزيز قدّم ما يجب تقديمه لهذا الشّعب المنكوب.

وتتأجج مشاعر الحبّ بين الشّعب والرئيس، في قول الشّاعر أحمد ميمون "بُوتَفْلِيقَةْ هْدَرْ مْلِيحْ"، وهذا دليل على حسن الخطّاب الذّي سميناه بالتّناغم الوجدانيّ الصّادق، والذّي يهدف إلى إصلاح الوضع الاجتماعيّ وخدمة البلاد، أمّا قوله "قَالْ كْلَامْ اَلْكُلْ صْحِيحْ"، دليل على الثّقة التّي يضعها الشّعب في شخص عبد العزيز، وصدق قول الرّجل الذّي يبحث عن إرضاء الشّعب وكسب ودّهم؛ لأنّ ارتباط شخصيّة عبد العزيز بالشّعب، هو ارتباط راسخ يسوده سموّ المشاعر الإنسانيّة، ومقصد الشّاعر من ذكر كلّ هذا يشحذ

العزائم والهمم للنّهوض بالمجتمع الجزائريّ إلى برّ الأمان يقول الشّاعر طاهر رياح*، في تمثّلاته لشخصيّة عبد العزيز بوتفليقة:

عَبْدْ الْعَزِيــزْ الــلِّي عَــزْ قِيمَتْنَــا وَارْفَعْنَــا رُوسْــنَــا بَعْــدْ التَّحْتَــاتْ

قَتالْ اَلْمُصَالَــحَةْ بِيــهَا بَادَرْنَــا وَشَمْسْ الوِئَامْ عْلَى وَطْنِــي ضَــوَاتْ

وَ انْــقَــذْ الَبْلادْ مَنْ نَــارْ اَلْفَتْنَــا وارْفَــعْ يَــدُو وقَــالْ يَزِينَا مَا فَاتْ

وَاسْمَحْ لَلْمَغْرُورْ والْغَــالَطْ مَنَّــا واتْخَــاوَاتْ أَوْلادْنَــا بَعْــدْ التَشْتَــاتْ

وَاجْمِيعْ الْمَغْبُونْ مَنْ الْفَقْرْ اَتْــهَنَّا وَارْحَلْ مَنْ الْقَصْدِيرْ والسْكَنْ عِمَارَاتْ

وَاصْبَحْ فَرْحَانْ سَالَكْ مَنْ الْغَبْنَــا والْكَهْرَبَــاء بَنْوَارْ فِي بِيتُو ضَــوَّاتْ[1]

يمثّل الشّاعر شخصيّة عبد العزيز كرمز للذّات العلويّة، التّي تذوب مشاعره وأحاسيسه في أعماله وإنجازاته الاجتماعيّة والثّقافية والدّينيّة والسيّاسيّة، فيبرز القيّم الاجتماعيّة والعلاقات الإنسانيّة بالواقع، وهي علاقات قائمة على التّرابط والتّكامل، فالقصيدة حافلة بالدّلالات التّي ترمز إلى شخصيّة عبد العزيز، مثل قوله: "عَزَرْ قِيمَتْنَا"، والتّي تدلّ على أنّ قيمة الشّعب فقدت إنّ لم نقل انعدمت في ظلّ الأوضاع السّابقة، حين أصبح الأخ يقتل أخاه دون سبب، واكتسبت الشّخصيّة الجزائريّة صفة الذّل، وأصبح الفرد في المجتمع الجزائريّ مطأطأ الرأس، يستحيي أنّ يذكر انتماءه الوطنيّ، بعد أن كان في

* – القصيدة بعنوان "مبروك لعزير الشعب".

1 – توفيق ومان، في الشّعر الشّعبيّ المعاصر، ص 47.

زمن ليس ببعيد رمز الفداء والاستشهاد، لكن كلّ هذا تحطم في العشريّة الدّامية، وتغيّرت نظرة العالم للشّعب الجزائريّ.

وقد تدلّ لفظة "عزز"، على عدّة دلالات أهمّها أنّه من الاسم العزيز، وهو اسم الله تعالى، والذّي يدلّ على القوّة، وقد توحي أيضا لفظة "عزز" إلى العزّة وهيّ القوّة والشدّة، وتطلق على الرّجل إذا قويّ بعد ذلة وصار عزيزا، فالشّاعر باستعماله لفظة "عزز" يصوّر الوضعيّة المأساويّة التّي آل إليها المجتمع الجزائريّ، حتّى صار الفرد فيها مذلولا، وهو في الآن نفسه يرمز بها إلى الدّور الفعّال الذّي قام به عبد العزيز، حيث أعاد للفرد قيمته وأصبح يتباهى بانتمائه الجزائريّ، ويتشرف بذلك في كلّ المناسبات.

ويرجع الشّاعر السّبب الذّي ساعد عبد العزيز في تحسين وضع الفرد في مجتمعه، إلى المصالحة الوطنية والوئام المدني والذّي عاد بالفائدة على الوطن والشّعب الجزائريّ بأسره، عندما أزال الخطر المتمثّل في الفتنة الدّموية، والتّي عاشها الشّعب لمدّة عشر سنوات، سادت فيها التّفرقة بين الأفراد وكثرت الفتن وختلّ التّوازن المعيشيّ، وانتشر الفقر، وأصبح الشّعب يعانيّ مرارة الحرمان، وهو الذّي كان يقف صفّا واحدا ضدّ الاستعمار. بقيادة رجال عظماء أمثال الشّيخ بوعمامة والأمير عبد القادر وابن باديس... أمّا الآن فقد وجد الشّعب من يقوده إلى بر الأمان، ويعطيه الحريّة في العيش الآمن والمستقر، بسيّاسة حكيمة تثبّتها التّجربة المعاشة، شخصيّة قيادية همّها الوحيد الدّفاع عن مبادئ الوطن، والمساهمة في تطويره، هو الرئيس عبد

العزيز بوتفليقة الذّي أعزّه الله وبعثه إلى أهله، فهو رمز الصّدق والقوّة والشّدّة والحكمة والمسامحة.

ثمّ ينتقل الشّاعر في تمثّلاته إلى الحديث عن بعض الخصوصيّات الاجتماعيّة، والتّي تبرز الدّور الاجتماعيّ لشخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، مثل قوله: "اَسْمَحْ لَلْمَغْرُورْ وْالْغَاطْ"، فالسّماحة رمز الجود والكرم سمة الإسلام وأحد أركانه، وقد حثّنا الله تعالى على ذلك في القرآن الكريم بقوله جلّ جلاله: **"وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ اَلْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَاتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."**[1]

فالسّماحة والصّفح من صفات العظماء، ودليل على القدرة القوّية في تفسير الظّواهر الاجتماعيّة، فالسّماحة وسيلة لجمع الشّمل، وتوحيد الأفراد والوقوف في وجه الأعداء، ونشر المحبّة بين الأفراد والدّعوة إلى التّآخي والتّآزر في سبيل الدّين والوطن، وهو ما يفسّره قول الشّاعر في الوحدة الموضوعيّة "وَاتْخَاوَاتْ أَوْلاَدْنَا بَعْدْ التَشْتَاتْ"، وهذا دليل على أنّ الهدف من ظهور الإرهاب هو التّفرقة ونشر العداوة بين أفراد الأمة الواحدة، أمّا هدف التّسامح والمصّالحة فهو التّوحيد وجمع الشّمل. ومن خلال المصالحة يمكن توفير الأمور الأخرى كالإسكان والعمل والصّحة والتّعليم وغيرها من الضروريات الاجتماعيّة، وهذا ما تفسّره الأبيات الأخيرة؛ لأنّ الرئيس عبد

1 – سورة البقرة، الآية 108.

العزيز بوتفليقة استطاع بحنكته وتجربته السّابقة إخراج الشّعب الجزائريّ من ظلمات الإرهاب إلى نور المصالحة والتآخي، من ظلمات الفقّر إلى نور الحياة العاديّة والعيش البسيط، من ظلمات الجهلّ إلى نور العلمّ والصّحة الجيدة، يقول الشّاعر علي لميزي في قصيدة "سفينة السّلام":

بُوتَفْلِيقَةْ كِــي تْكَــلَــمْ قَالِّــنَــا عْــلىَ الْوِحْدَةْ هِيَّ اللِّي تَعْدَلْ لَبْلاَدْ

بَالْوِئَــامْ بْــلاَدْنَــا تَرْجَعْ جَنَّــا بَالْوِئَــامْ اَنْــشَتُــو قَــوْمْ الْفَسَــادْ

بَالْــوِئَــامْ قْــلُــوبْنَا كَامَلْ تَهْنَا بَالْــوِئَــامْ نْرَجْعُــو عَادَتْ لَجْدَادْ

بَالْــوِئَــامْ تْزُولْ عَنَّا ذِي لْمَحْنَا بَالْــوِئَــامْ أَسَّامْحُــو مكَــانْ عْنَادْ

بَالْــوِئَــامْ انَــخَمْــدُو نَارْ الفَتْنَةْ بَالوِئَــامْ الطَّيْشْ مَعَادْشْ يَتْعَــادْ[1]

اهتمّ الشّاعر لميزي أكثَر بالشّكل في هذه الأبيات، ذلك من أجل جذب اهتمام القارئ، فكلّما أجاد الشّاعر في صياغة شكّل القصيدة، كان أثرها في النّفس عميقا ودلالاتها قويّة، فالشّكل في القصيدة هو حسن استعمال الألفاظ والتّراكيب، التّي تدلّ على وجدان الشّاعر، وتكون اللّغة العاميّة مصدر التّواصل، فهي أعظم عناصر الشّعر الشّعبي، والشّاعر البارع هو الذّي يحسن «تشكيلها تشكيلا خاصا، يؤدي به المعنى بطرق مختلفة عن فنون القول الأخرى»[2].

1 – علي لميزي، الخيّال الرّمزيّ من خواطر عليّ لميزي، ص 89.

2 – د.إبراهيم السامرائي، لغة الشّعر بيّن جيليّن، دار الثّقافة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 8.

فاستعمال الشّاعر للألفاظ الموحيّة، القادرة على إثارة معان كثيرة من خلال التّمعن والتّركيز، يظهر جليّا إيحاءها، فهيّ سمة من سمات الشّعر الشّعبيّ، ونلمس ذلك حين يستعمل لفظّة "الوئام" التّي تعني الموافقة، وتعني أيضا المباهاة، لكن في القصيدة تعني صورة من صور المصّالحة الوطنيّة، التّي اعتمدها الرئيس بوتفليقة في لمّ شمل الشّعب، والاتحاد للخروج من الوّضع المزري الذّي عشناه طوال عشر سنوات من الدّم والقتّل والتّخريب.

أمّا تكرار لفظة "الوئام" في الأبيات فالغرض منّها تأكيد معنى التّسامح والتّصالح، فبالوئام تصبّح الجزائر جنّة يسودها الأمن والاستقرار، ويسقط عنها الفساد، وبالوئام تهنأ القلوب وتزول المحن وتخمد نار الفتنة، فالتّكرار مركز من «مراكز القوّى العاطفيّة التّي تنطلق منّها الإثارة، تقنع السّامع بالمشاركة الوجدانيّة، التّي هي الغاية من القول في كثير من الفنون»[1]. وتكرار لفظه الوئام دلالة على ضرورة التّسامح؛ لأنه الحلّ الوحيد والأنسب، فالشّاعر يمهد القارئ نفسيّا حتّى يقنعه بهذه الضّرورة الملحّة.

ووجود مثل هذه السّمات الشّعريّة من ألفاظ وتراكيب دالة في القصيدة الشّعبية، غرضها الرّمز؛ لأنّه يبعث الحيويّة في القصيدة الشّعبيّة ويكسبها سمة التّأثير، وهذا ما يزيد في عمق الصورة الذهنية، التي يسعى الشّاعر إلى إثباتها في الواقع، من خلال استعمال الرّمز للإشارة إلى أعمال وإنجازات الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فهو يصف غرامه ولوعته وشوقه إليه، فحبه ملأ أحشاءه

1 – د.عزّ الدّين السيد، التّكرير بين المثير والتّأثير، دار الطّباعة المحمديّة، القّاهرة، ط1، 1398هـ، ص 110.

وأرّق جفونه، فالصّورة حقيقة رمزية المقصود منها إبراز شدّة الشّوق وقوّة التّعلق وقيمة الاحترام. فالشّاعر عندما يستعمل عدّة ألفاظ دالة، يريد بها الدّلالة على الحبّ والشّوق والعّرفان والصّبابة والكآبة والوّصال والبّعد والقرب والعطف، وكلّها ألفاظ رامزة إلى المعاني السّامية.

وقد يهدف الشّاعر من خلال توظيفه معاني الشّوق إلى التّطلع إلى الحياة الهانئة، وطلب الوصال، قصد البحث عن الأمان والاطمئنان النّفسيّ والرّوحيّ، والذي يكون مصدره الشخصيّة السياسية، التّي تغرس في الأفراد شعورا بأدائها الواجب الوطني والدّيني.

4-المبحث الثالث: البّعد السّياسيّ والاقتصاديّ

يمثّل البّعد السيّاسيّ والاقتصاديّ جانبا مهمّا في أعمال وإنجازات الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، والمقصود من البّعد السيّاسيّ في القصيدة الشّعبيّة «كلّ ما تصل بقضايا الحكم والعلاقات بين الدّولة والمجتمع»[1].

ولقد اهتمّ الشّاعر الشّعبيّ بهذا الموضوع؛ لأنّه يعكس الواقع الجزائريّ، ويعكس تعلق الشّعب بوطنه؛ فالوطن ضرورة إنسانيّة لعيش الشّعب، والعمل فيه وتحقيق الذّات، فيه يجد راحته وهناءه ويشعر ويحلم بالأمن والاستقرار والاتزان الرّوحيّ.

1 – عبد الصمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالتها، ص 162.

أمّا الشّعر الشّعبي فقد أصبح يكتسي أهميّة كبيرة عندما يوظّف الأحداث الوطنيّة كموضوع له، معتمدا على القيمة العاطفيّة والرّمزية للأحداث وما يرتبط بها من أمجاد، يقول الشّاعر أحمد بوزيان:

هَــذِي يَدْ الْعَوْنْ مَمْدُودَةْ بَجْهَــارْ شَــدّْ الْيَــدّْ اللِّــي تْمَــدَتْ لَكْ بَالْخِيرْ

هَذَا عَبْدْ الْعْزِيزْ عَــدّاَلْ الْمِشْــوَارْ مَنْ شَهْدَتْ بَخْصَايْــلُهْ حَرْبْ التَّحْرِيرْ

هَذَا ثَوْرِي وجَايْ مَنْ صُلْبْ الثُّوَّارْ وَابْنْ الثّوّْرَةْ عْلَى الوَطَنْ مَعْلُومْ يْغِيرْ

هَذَا جَابَهْ نِيفّ مَا هُو شِي سِمْسَــارْ وَتْقَلَّدْ مَرْكُوبْهــا وَالظَّــرْفَ عْسِيــرْ

هَذَا مَنْ عْمَدْ اَلْبْلاء ورْكَبْ الأَوْعَارْ قَــالْ بْــلادِي نْشِيلْهَا مَنْ قَاعْ الْبِيرْ

هَذَا مَنْ بِهْ الُوطَــنْ شَعْشَعْ بَأَنْــوَارْ ولْــبَّــسْ حُلَّةْ فَاخْرَةْ سُنْدُسْ وَحْرِيرْ

هَذَا مَنْ بِهْ السّمَاء جَادَتْ بَأَمْطَــارْ غَيْثْ الــرّحْمَةْ جَــاء مْعَ نَفْحَةْ يَبْرِيرْ[1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيَات استعمال الشّاعر وتكراره لاسم الإشارة "هذا"، الذّي يعطي جمالا إيقاعيّا ونغمة موسيقيّة، وهو دلالة نفسيّة عن تعلق والشّاعر وتأثره بشخصية الرئيس عبد العزيز وإنجازاته، ولا نلمس هذا التّأثر إلاّ بعد القراءة الجيّدة للأبيات وإبراز أهمّ الرّموز، ويدلّ هذا التّكرار أيضا على إحساس الشّاعر والتّغيرات النّفسيّة، التّي تعكس ذلك التّعلق والإعجاب وحبّ الشّاعر الذّي يكنّه لشخصية عبد العزيز، وما يميّزه من إرادة وتحدي الذي قرّر رفعهما للتّعبير عن رفضه الوضع الاجتماعي والأحوال المعايشة،

1 – أحمد بوزيان، من وحي الوئام، ص 67.

ويكون البّاعث على هذا التّحدي الوصول إلى الأجل المنشود، والمتمثّل في تحرير الوطن من قيود الإرهاب وإعادة الحياة إلى الشعب الذي فقد طعمها.

والشّاعر في سرده للأبيات، يبين الصورة الرّمزية لشخصيّة عبد العزيز بوتفليقة في المخيّال الشّعبيّ، من خلال بعض الوحدات الدّالة كقوله: "يَدْ الْعَوْنْ"، "اَلْيَدّْ اَللِّي تْمَدَ تْلَكْ بَالْخَيْرْ"، "عَدَّالْ الْمُشْوَّارْ"، وكلّها دلالات توحي إلى أنّ الهدف الذّي يسعى إليه عبد العزيز في مسيرته انتخابيّة ليس ماديّا ولا منفعة خاصّة؛ بل المشاركة في آلام وآمال الجماعة، وإيجاد المخرج الذّي يرفع الوطن إلى مقامه الحقيقيّ بيّن الدّول العالميّة وليس العربيّة فقط.

غير أنّ الشّاعر الشّعبي لم يتوقف عند ذكر المسعى الذّي يهدف إليه فقط؛ بل مثّله بعدّة تمثّلات مثّل قوله: "ثَّوْرِي وْجَايْ مَنْ صُلْبْ الثُّوَارْ"، والتّي تدلّ على التّربيّة الثّوريّة والسيّاسيّة التّي تلقاها من خلال التحاقه بالجيش إبّان الثّورة الجزائريّة، فبهذا الأسلوب يؤكِّد الشّاعر انتماءه الثّوريّ، فهو يري أنّ من دافع عن الوطن وجاهد في سبيله وعمره لا يتجاوز 19 سنة، لا يمكن أن يسعى إلى إلحاق الضّرر بوطنه؛ بل بالعكس فهو يسعى إلى الخير لإصلاح ما أفسد في العشرية الدّامية، وهذا ما يدلّ أيضا على معرفته الجيّدة بالسيّاسة التسييّريّة والطريقة المثْلى لإدارة شؤون البلاد، وهذا ما يفسّره الخطاب الرّمزيّ في قوله: "هَذَا جَابَهْ نِيفْ مَا هُو شِي سَمْسَارْ"، ودلالة الوحدة تفسّرها كلمة "نِيفْ" التّي تعني الغيرة على الوطن، وحبّ المكان الذّي ينتمي إليه، وليس "سِمْسَارْ" الذّي يبيع ويشتري في أبناء وطنه، وهدفه الفائدة الشّخصيّة

دون النّظر في ما سيصيب الشّعب من معاناة، وباعتبار الشّاعر فردا من أفراد المجتمع، فهو أكثر النّاس إحساسا بمعاناة الشّعب داخل الوطن، ويسعى لإيجاد الشّخصية الرّمزية التّي تعالج الوضع الرّاهن ومآسيه، باستعمال دلالة المقارنة بين الواقع المعاش في الفترة الدّموية والواقع في فترة حكم السيد عبد العزيز بوتفليقة.

ويصوّر الشّاعر في الأبيات السابقة صعوبة المأموريّة التّي تنتظر الشّخصيّة في تحدّيّاتها السيّاسيّة، ومثّل لذلك في قوله: "هَذَا مَنْ عْمَدْ البْلَاء وَرْكَبْ الأَوْعَارْ"، فليس من السّهل أن يفرض على الشّعب سياسة قد ملّ منّها؛ لأنّ في كلّ مرة يدعى للانتخاب يسمع نفس الخطابات ونفس الوعود دون أنّ تجسّد على أرض الوّاقع، لكن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة عرف كيف يقنع الشّعب ويمتصّ روح الجماعة، عندما شاركهم أحزانهم، وبلور الفكر والنفس، بالنّتيجة التّي توصل إليها كحلٍّ لهذه المأساة، يستعمل خبرته السّابقة وتجاربه باعتماد على المواقف الحسنة والمواتيّة، كدوافع لإيقاظ الفكر الشّعبي، من خموله والانتقال به إلى مرحلة التّطور الاجتماعي والسيّاسي والثّقافي...

والبعض من يظنّ أنّ هناك قدرات وسمات معيّنة لاصقة بالقائد بوتفليقة «تميّزه عن غيره من النّاس، وتجعله صالحا للقيّادة في كلّ مجال وفي كلّ جماعة، من هذه القدرات والسّمات الذكاء والحكم السليم، والقدرة على تحمّل المسؤولية وروح العدّل والمبادأة واتزان الشّخصية»[1]. وهو ما تفسّره الوحدة

1 – سحر سامي، شعرية النّص الصّوفيّ في الفتوحات المكيّة لمحيّ الدّين بن عربيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005م، ص 135.

الموضوعيّة: "قَالْ بْلادِي نْشِيلْهَا مَنْ قَاعْ اَلْبِير"، وهي الإرادة التّي تعطيه القوّة على فعل المستحيل من أجل رفع شأن البلاد.

إنّ هذه الأبيات تحتوي على بؤر دلاليّة تشكّل الصّورة الذّهنيّة، حول شخصية عبد العزيز بوتفليقة في قوله: "بِهْ اَلوْطَنْ شَعْشَعْ بَأنْوَارْ"، هذه الصورة «تمثّل جسرا يتنقل عليه الإحساس والفكرة والنبض الشّعريّ إلى المتلقّي، ومن ثمّ يشارك في إحداث الأثّر الفنّي»[1]. فهي ليست تعبيرا مجازيّا كما يظهر في السياق؛ بل حقيقة تعكس داخل الشّخص للوصول إلى حقيقة الواقع المراد التّعبير عنه، والتّي تدلّ على إخراجه من فترة مظلمة بأساليبها الدّموية التّي لا ترضي الخالق، إلى فترة يسودها نور الأمن والاستقرار والسّلم والمصالحة الوطنية.

فالنّص مبني على بؤرة الخير التي تمثّلها بعض الوحدات مثل: "لَبَسْ حُلَّةْ فَاخْرَةْ" التّي يقصد بها الاقتصاد والنّماء، وقوله: "غَيْثْ الرَّحْمَةْ جَاء مْعَ نَفْحَةْ يَبْرِيلْ" دلالة على الخيّر الذّي نزل على البلاد والعباد منذ توليه قيادة الدّولة، فما ذكر الشّاعر لمظاهر الطبيعة، إلاّ دليل واضح على شجاعة الممدوح والتّنويه ببطولته وسياسته التّي جلبت المستثّمرين الأجانب بعد أنّ قرؤوا الأمان في البلاد ولمسوا ذلك التّطور في الفكر والمجتمع والسيّاسيّة، والذّي انعكس بالنّفع على البلاد، كما ترمز إلى مدى إعجابه واعتزازه وشدّة تعلقه به. يقول الشّاعر طاهر رياح في قصيدته "مبروك لعزيز الشّعب":

---

1 – سحر سامي، المرجع السابق، ص 135.

وَاجْمِيعْ الْمَغْبُونْ مَنْ الْفَقْرْ أَتْهَنَــا وَارْحَلْ مَنْ الْقَصْدِيرْ وَالسْكَنْ عَمَارَاتْ

وَاصْبَحْ فَرْحَانْ سَالَكْ مَنْ اَلْغَبْنَــا وَالْكَهْرَبَاء بَنْوَارْ فِــي بِيتُو ضَــوَّاتْ

وَالْمَدْرَسَةْ فِي الْحَسْ اَقْرِيبَهْ مَنَّــا وَالْجَامِعَةْ مَشْرُوعْ مَــنْ الإِنْجَــازَاتْ

وْ اشْجَعْ الْفَلاحْ مَنْ خَيْرُو ذُقْنَــا وَمْــدَعَــمْ بْأَمْــوَالْ مْــعَــهَا آلاتْ

وَارْفَعْ رَاسَــكْ يَابًّا وَافْخَرْ بِنَــا وْعَنْقَرْهَا كِيمَا ابْغِيتْ أَنْــتَ بَالــذَّاتْ

وْلَلْمَرْأَةْ حْقُــوقْ فِي مُجْتَمَعْنَــا وْبْلا بِيهَا مُحَالْ نَنْجَحْ فِــي الْحَيَــاةْ

نَتْعَطّلْ فِي السّيرْ كِيفْ مَا كُنّا والرَّاجَلْ إِذَا انْشَلْ واذْرَاعُــو مَاتْ

بَالدِيمُقْرَاطِيَةْ اَتْحَقَقْ مَكْسَبْنَــا وحُرِيَةْ التَّعْبِيــرْ بِكُــــلْ اللُّغَــاتْ[1]

إنّ الرّموز الدّلالية في الألفاظ: (أتهنا، فرحان، ضوات، المدرسة، الجامعة، إنجاز، الشجع، حق المرأة...)، علامات دالة على التّطور الذّي آل إليه الوطن، من خلال معظّم الأعمال والإنجازات التّي قام بها عبد العزيز بوتفليقة، فالشّخصيّة هنّا تعني دلالة التّطور، حيث وصفه الشّاعر بالسيّاسيّ الذّي يحسن تسيّير البلاد، وله القدرة في الدّفع بعجلتها إلى التّطور في جميع الميادين الاقتصاديّة والاجتماعيّة، فشخصيّة الرئيس عبد العزيز في التوظيف الشّعري، عبارة عن رمز الصفاء والتضحية والوحدة من أجل تطوير البلاد، جعله الشاعر مفخرة لملكته الشّعرية، وصورة دائمة للانتقال من مرحلة التّخلف إلى مرحلة التّطور.

1 – توفيق ومان، في الشّعر الشّعبيّ المعاصر، ص: 47-48.

ومن أعمال الرئيس أيضا، والتّي أعطاها قيمة في برنامجه السيّاسي، إعطاء المرأة حقّها السياسي والاجتماعي والثّقافيّ، فهي بالإضافة لكونها رمزا للحبّ، تمتاز أيضا كسبيل يلجأ إليه الشّاعر عندما تضيق به دروب الحياة، أمّا بالنسبة للرئيس عبد العزيز بوتفليقة فيجعلها جزءا من مخططاته المستقبليّة؛ لأنّه يعلم أنّها أساس بناء الدولة الجزائريّة، يصوّرها الشّاعر في قوله "وْالرَّاجَلْ إِذَا نْشَلْ أَدْرَاعُوا مَاتْ"، في إشارة إلى أنّ المرأة ذراع الرّجل، وفقدان الذراع يؤدِّي بصاحبها إلى الموت، وهي رمز قوام الدّولة والسّبيل إلى بنائها.

ومن سيّاسة الرئيس بوتفليقة أيضا، والتّي أشار إليها الشاعر الشعبي في قصيدته، تطبيق الديمقراطية وهي سيّاسة تعطي الحقّ للشّعب قصد التّعبير عن أفكاره بكلّ حرية، ودون أيّ ضغط، وهو ما تدلّ عليه الوحدة الموضوعيّة: "بَالدِيمُقْرَاطِيَّةْ اَتْحَقَقْ مَكْسَبْنَا".

ومن الخطط السيّاسة أيضا، الاهتمام بالتّعليم وإنجاز الجامعات، حيث بلغت حصيلته «إنجاز 21 بالمائة من المدن الجامعيّة و44 بالمائة من الجامعات وإنجاز 15 بالمائة من الثّانويّات والمدارس الأساسيّة»[1].

وخلاصة القول من خلال الأبيات الشعرية، أنّ مع مجيء الرئيس بوتفليقة، تحقّق الأمن والسّلام في البلاد، وانتعشت الحركة الثّقافيّة

1 – أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيّادة رجل الأقدّار وزعيمّ المصّالحة الوطنيّة، ص: 78– 79 .

والاقتصاديّة، وعمّ السّلم بالمصالحة الوطنية، وانتعش النّشاط الاقتصاديّ، وارتقت المدرسة وصلح النّظام التّربويّ، وتمّ تشجيع الاعتراف الثّقافي المبني على القيّم العربيّة والإسلاميّة، وترسيخ الثّقافة الأمازيغيّة، وتطوير جهاز الصّحة ومواجهة الفقر، وتوفير أحسن الظّروف المعيشية...

يقول الشّاعر محمد بوشتة في قصيدته: "سنين الجمر":

بُــوتَــفْــلِيقَــةْ رَايَــسْ وسُــلْطَــانْ

غَــادِي يْعَزْنَــا ويْدِيــرنَــا الشَّــانْ

توَلِّي الْجَزَائَرْ كِي الْوَرْدَةْ مَنْ بَعْدْ اَتْبَانْ

اَحَــفْظَــهْ هَــا الْــعَــالِــي الْــعُلْيَــهْ

شَفْنَاهْ فِي الأُمَمْ يَخْطُبْ فِي الْمَرِيكَانْ

رَايَــسْنَــا وعَنْدْنَــا فِــيــهْ لَمَانْ

يَــفْخَــرْ ومَــا هُوشْ حَــشْــمَانْ

قُــدَّامْ الــدُّولْ الأَجْــنَــبِــيَّــةْ

نَتْمَنَاوْلَهْ يَحْكُمْ بَحْكَامْ الْقُرْآن

تَطْفَى ذَا الْعِيشَهْ مَنْ النِّيرَانْ

يَدَّفَقْ الَحْلِيبْ عْلَى الصَّبْيَانْ

يْبَانْ حَقّ الشَّـــبَـــابِـــيَـــةْ[1]

وقد مثّل الشّاعر شخصيّة عبد العزيز بوتفليقة في هذه الأبيات بصورتين رمزيتيّن، "الرّايس" و"السّلطان"، ودلالة السلطان تطلق على الشّخص صاحب الحجّة والقدرة على الإقناع. والسلطان هنا دليل على تميّز شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالشدّة والحدّة والسطّوة، فهو قادر على الفعل فلا يقول ما لا يفعل.

فالشاعر في تمثّلاته، يريد أن يثبت في توظيفه لصورة السّلطان أنّ الرئيس عبد العزيز قادر على إخراج الجزائر من محنتها، وإعادة الشأن لشعبها، والعودة بالجزائر إلى مكانتها بين الدّول؛ لأنّه يعرف ما يفعل، ويعرف أنّ للجزائر رجالا عاهدوا الله على تحريرها، فهي رمز النّماء والانتماء، يشرفه انتماؤه إليّها، ويدافع عنّها حتى آخر رمق من حياته.

وتتجلى لنا من خلال الأبيات صورة الإيمان بالنّجاح الذي قد يكون الرئيس عبد العزيز سببا في تحقيقه، من خلال سياسته الرّشيدة، وتجربته السّابقة، فالخروج من جحيم الإرهاب، يتطلب الإيمان بالله والقدرة على تحقيق ذلك، فحلم الفّرد هو الحكم بأحكام القرآن؛ لأنّه السبيل الوحيد إلى تحقيق العدل والنّجاح وإعطاء الشباب حقّهم في الحياة.

كما يمكننا أن نلاحظ تلك القوّة التّي يمنحها الرئيس إلى شعبه، فوضعوا فيه الثّقة واتّحدوا على رفع الظّلم والخروج من الوضع المزري للبلاد، فأصبح

1 – فتيحة ولداي تبينه، شعر محمد بوشتة الشّعبي، ص: 178– 179.

عبد العزيز سلطانا بين قومه، كيف لا وهو صاحب القيّم الأخلاقية العاليّة التي ترفع المعنويات وتدفع المواطن للبحث عن الارتقاء والنّجاح.

يقول شوشه جلول في قصيدة "المصالحة الوطنية":

اَلْجزَايَرْ دايْمًا تَبْقَى هِــيَّ لُـــمٌّ وْنَبْقَاوْ اَحْنَا دايْمًا تَحْتْ اَكْفَاهَا

وَالشَّدَّةْ مَـــا تَقْهَرْ الْعَبْدْ الْمُسْلِمْ وْكَمْ مَنْ صَابَرْ لَلشْدَايَدْ عَيَاهَا

دَوْلَتْنَا رَيَسْــــهَا رَاجَلْ مْرَحَـــمْ ولا الرَّحْمَةْ فَاتْ حَتَّى مَعْنَاهَا

الشَّعْبْ إِذَا طَاعْ ذَا الْقَايَدْ يَسْلَمْ وِيذَا مَا طَاعُوشْ هَذِيكْ خْلاَهَا[1]

اتخذ الشّاعر الوطن كرمز يلجأ إليه كلّما ضاقت به دروب الحياة، فمثّله على أنّه الأمّ التّي تحضن أولادها وتعطيهم الأمن والرّاحة التّي يفتقدونها في مكان آخر، فالوطن بحاجة إلى أولاده الذّين يقدّمون أعمارهم فداء له، وما عبد العزيز إلاّ واحد من هؤلاء الأولاد الذّين رفعوا التّحدي في الماضي ضدّ الاستعمار حين تسابق مع إخوانه المجاهدين، حاملين أرواحهم على أكفّهم في سبيل تحريره، وهو الآن يقدم تجربته السّابقة من أجل تحريرها من عدو آخر، ربما يكون من صنع الاستعمار، هو الإرهاب الذّي عاث رجاله في أرض الوطن فسادا ونهبا واضطهادا.

ويتضح موضوع التمثّل في هذه الأبيات، حين يرمز إلى عبد العزيز بلفظة "راجل" التّي تحمل عدّة دلالات؛ أهمّها عدم الرضا بالوضع السائد في

1 – إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 111.

البلاد، والابتزاز المسلط على الفرد الشّعبي الضعيف والمنعزل، الذّي يصارع متاعب الطبيعة وقسوتها وزاده الأمر صعوبة عندما أصبح يصارع متاعب الإرهاب والظلم الذّي يميزه، حين سلب ماله واغتصب نساءه وحول حياته إلى خوف واضطهاد.

كما يمثّل الشّاعر الشّخصية "بالقايد"، والذي يرمز إلى الشخص الذّي ينشأ في الجماعة «ويملك القوّة المؤثرة على أفكارها ومشاعرها، ويستطيع أن يلعب دورا إيجابيّا في حركة الجماعة، وإقناعها بالطرق الملائمة لتحقيق مصالحهم وأهدافهم، على شرط أن يكون نابعا من الجماعة، واختيارها المحض وليس مفروضا عليها»[1]. فالشّاعر يبيّن تلك القوّة المؤثّرة التّي جعلت من عبد العزيز منظما وموجها لسلوك الفرد الجزائري له القدرة على التّخطيط ورسم الأهداف، والعمل على إقامة العلاقات داخل الوطن وخارجه بين المسؤولين، والتّشجيع على التّواصل الفكريّ والاجتماعيّ، وتنمية القدرات والمواهب، وهذا حتّى يقوّي الفرد في الجماعة؛ لأنّ قوّة الجماعة تكون بقوّة أفرادها.

و الشّاعر ينوّه بأنّ حسن القيّادة يتطلّب الطّاعة، فالفرد الجزائريّ المسلم لا تضعفه الشدّة والقهر؛ بل تزيده قوّة وصبْرا، وطاعة القائد واجبة لأنه يبحث عن السّلم بتطبيقه لقانون المصالحة؛ لأنّه السّبيل الذّي يراه الرئيس حلاّ أنسب لمثل هذه الأوضاع، فالشّاعر بهذا السرد يعبّر عن النّبرة الصّادقة عمّا يعانيه

1 – أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة، بين الموهبة والقيادة، رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنية، ص 144.

الشّعب، فيستنجد بعبد العزيز بوتفليقة، بصرخات «مدوّية تعلن عن ألم الشّاعر أو يأسه، وترتفع نبرتها إذا كانت من أجل الوطن أو من أجل ما لحق بالشّاعر والشّعب معا»[1].

فالشّاعر يسعى إلى إيجاد البديل الذّي يخرج الوطن الجزائري من مرحلة الهمّ والأرق والمعاناة؛ لأنّ الوطن بالنّسبة له هو رمز للعزّة، يحمل هموم الفّرد ويعبّر عن انكساراته. يستعمل تصوّراته ويربّطها بالفّكرة التّي يريد معالجتها، فهو يبرر ويشرح ويفسر وتارة أخرى يزين ويزركش، لكن الوظيفتين تتفقان معا في المعنى المبني على التبرير لإقناع المتّلقي.

ومن خلال ما قدّمناه، يمكن القول إنّ وظيفة الشّاعر هي حسن استعمال الصورّ في التّعبير عن الأشياء الموجودة في الواقع، أو عن تجربته الخاصّة، بلغة عاميّة تميّزها بلاغة التّصوير في التّراكيب وإيحاءات ودلالاتها المتنوّعة، والتّي تعطي جماليّة في تصوير المعاني الذّهنية وتقديمها في صورّ محسوسة يتخيّلها الفكر وتؤثّر في نفسيّة القارئ.

1 – د.عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث، ص 438.

خــــاتمــــة

خاتمة:

إنّ القراءة التّحليلية التّي أسقطناها على الخطاب الشعريّ الشعبيّ مكنتنا من الوقوف على بعض الخصائص التّي تميّز القصيدة الشّعبيّة الجزائرية عن غيرها من القصائد العربية، والتّي تبرز في البنيّة الفكريّة والمعرفيّة، والتّي تتحقق في حضور الرّموز ودلالاتها، وتكون الشّخصيّات السيّاسيّة أحد الرّموز الحاضرة في المخيال الشّعبيّ رغمّ تنوع الأساليب اللّغوية، ومن خلال هذا وقفنا على مجموعة من النتائج أهمّها:

- تمثّل جلّ الشّخصيّات السيّاسيّة في الشّعر الشّعبيّ، على أنّها شخصيّات قريبة من الفرد الجزائريّ، وتسعى إلى الخدمة العليا للمواطن، يُبنى الموضوع فيها على علاقة متكاملة بين الشّخصيّات والفرد في المجتمع، وتتمثّلها القصيدة الشّعبيّة بمجموعة من الصّور المكثّفة التّي تصف هذه الشّخصيات السيّاسيّة ذوات الصّفات الخلقيّة، والتّي تتجسد في تشكّلات سيميولوجية متمثلة في الثّقافة والدّين والسياسة والمعرفة...

- أكثر الشعراء استعمال بعض الألفاظ التّي ترتبط بالموضوع نفسه، رغم اختلاف اللّهجة في غالب الأحيان، ويدلّ ذلك على أهميّة الموضوع بالنّسبة للشّاعر والمتلقي، كما يدلّ عن أنّ الشّعراء الشّعبيين ينشدون أشعارهم حسب الأحداث الواقعة في المجتمع الجزائريّ، فهم يسايرون الأوضاع حسب حضورها في المخيال الشّعبيّ للفرد، ولهذا الأساس يمكن القول إنّ الشّعر

الشّعبي المتداول بين النّاس أغلبه نظم من أجل المناسبات، لكن لابد من الإشارة إلى أنّ بعضه يتناول هموم الفرد الجزائري، ويعكس جميع القضايا المطروحة في الفكر الشّعبيّ ووجدانه.

- استطاع الشّاعر الشّعبيّ أن يوصل أفكار الفرد وحقيقة حياته وصموده أمام المواجهات المختلفة رغم بساطته والحصار المفروض عليه؛ لأنّ الشّعر الشّعبي تضمن كلّ الأمور التّي تمسّ حياته وواقعه. فالموضوع العامّ يعكس الأوضاع الاقتصادية والسيّاسيّة والاجتماعيّة، والتّي كانت حاضرة فيه دائما وفي جميع الأغراض.

- أغلب التّمثّلات الشّعرية للشّخصيّات السيّاسيّة الثلاثة محلّ الدراسة في هذا البحث، تتشبّع بالقيّم الأخلاقيّة والنّظرة المثّالية التّي تدعو إلى التّوحيد والتّمسك بتعاليم الإسلام وإتباع مبادئ الدّين.

- نلمس من خلال القصائد التّي ذكرت كلّ من شخصية ابن باديس وشخصية عبد العزيز بوتفليقة، تلك النّظرة الإصلاحية التّي تعتمد على الإرشاد والوعظ، والتّي تحثّ على الاتحاد والوقوف ضدّ كلّ ظالم مستبد، يريد المساس بحرية الفرد الجزائريّ وعزته ومقوماته المتمثّلة في اللّغة العربيّة والوحدة الوطنية والدّين الإسلاميّ.

- البناء في القصيدة الشّعبيّة يقوم على أساس مجريات الأحداث والمناسبات الوطنية، والقضايا الاجتماعيّة والثّقافيّة والسياسيّة، والمواقف الثّورية ضدّ الاستعمار وضدّ كلّ عدوان على الوطن، ويكون الشّاعر دائما

صاحب الموقف المعادي؛ لأنّه دائم الإصرار على الجهاد والتّضحية، وحثّ أفراد المجتمع على الصّبر عند المحن؛ لأنّه الوسيلة التّي تجلب النّصر وتحقق الاستقلال، والوطنية عندهم هي حبّ الوطن والدّفاع عنه والوقوف ضدّ كلّ وضع يمسّ كيانه ومقوماته.

- يعبّر الشّاعر في قصائده على ذلك الشّعور الوجداني الذّي يتطلب من الباحث في مجال الشّعر الشّعبيّ إلى الغوص في أعماقه، والكشف عن دلالاته، فيكون البّحث موضوعا معرفيّا، يعبّر عن الحبّ الوطني، ويبثّ روحها في ثنايا القصيدة التّي تحمل تلك الإشارات الدّالة على الإصلاح بكلّ أبعاده، واستنهاض الهمم، وتخليد البطولات، وتعظيم الشّهداء وأعمال الأبطال.

- يعتبر الرّمز الشّعري في القصيدة الشّعبية وسيلة يعتمدها الشّاعر في تعبيره عن الموضوع؛ لأنّه ينمّي الرؤيا الشّعرية، بالاعتماد أيضا على التاريخ كمصدر لبناء هذه الرّموز وتوظيفها في القصيدة، ويكون حضور الشّخصيّات السيّاسيّة بأبعادها المختلفة شاملا غير مفصّل بهدف تكثيف الإيحاء.

- إنّ الشخصيّات السيّاسية الثلاث (بوعمامة، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة) هي شخصيّات شعبيّة معروفة عند جميع أفراد المجتمع الجزائريّ، وذكرها في القصائد الشّعبيّة تعبير عميق وكبير عن أصالة المجتمع الشّعبيّ، لا يقتصر مفهومها على الوظيفة الاجتماعيّة؛ بل تجاوز ذلك إلى مفاهيم ودلالات رمزيّة، لا يستوعبها إلاّ من عاش أطوار حياة الشّعب باختلاف طبقاته. فهذه الشّخصيّات رسمت لنفسها رموزا تراثية واقعة في أعماق

المجتمع، استغلها الشّاعر الشّعبيّ ليؤكد موقفه ضدّ الأوضاع الاجتماعيّة والثّقافيّة والسيّاسيّة...

نأمل في ختام هذا البحث أن نكون قد وفّقنا في الإجابة عن الإشكاليات التّي طرحت في المقدمة والخاصة بمصطلح التمثّلات في الشّعر الشّعبيّ، كما نكون قد ألممنا بجوانب الموضوع؛ لأنّنا لا يمكن أنّ نقول إنّنا وُفقنا وبلغنا الغاية، فالبحث دائما يكون ناقصا رغم الإيجابيات؛ لأنّ الشّعر الشّعبيّ وموضوع التّمثّلات يفتحان المجال للدّراسة والتنقيب، ولهذا لا يبقى لنا إلاّ أنّ نشجع الباحثين المقبلين على البحث في مثل هذه الموضوعات التّي تبقى الدّراسة فيها ناقصة تحتاج إلى مجهود أكبر.

ملـــــــــــحق
الأشعـــــــــــــار

الجزائر تبقى رغم الخصوم

أعمال الملتقى الوطني حول: مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية.

أحمد بوزيان

تيارت: 13-14 أكتوبر2002

هَــذَا يُــومْ فْــرَاحْ لَعْــرُوسْ الْهِضَــابْ * مَبْــرُوكْ ذَا الْمَلْقَــى ومَحْلاَهَــا سَــاعَهْ

تْيَارَتْ فِي ذَا الْيُــومْ فَتْحَــتْ لَــكْ لَبْــوَابْ * قَالَــتْ لَــكْ لُبِيــكْ بَالسَــمْعْ وَطَاعَــهْ

غَيْثْ الرَحْمَهْ زَارْهَــا مَــنْ بَعْــدْ غْيَــابْ * بُوتَفْلِيقَــهْ صَــاحَبْ الْجَــاهْ وَرَفْعَــهْ

بُوتَفْلِيقَــهْ مَــنْ الحْسَــدْ ضَــمْنُوهْ قْطَــابْ * وَمْجَــادَبْ وَغْــوَاثْ بَرْضَــاهُمْ يَسْــعَى

سْــتَنِينَاهْ شْــحَالْ خَبْــرُ وعَنَــا غَــابْ * وَالْيُــومْ مْنِــينْ جَــا عْطِينَــاهْ الْبِيعَــهْ

ثِقْتَنَــا فِــي ثِقَــهْ الْوَلْــدْ مْــعَ الآبْ * وَفْتَحْنَــالُو الَقْلُــوبْ مَــنْ غِيــرْ خْدِيعَــهْ

بِيــهْ خْوَاطَرْنَــا زْهَــاتْ عْلَــى لَعْقَــابْ * بَارَكْنَــا مَــنْ قْلُوبْنَــا هَــذَا الْمَسْــعَى

مَــنْ عَنَابَــهْ لْبَاتْنَــهْ حَتَــى لَمْــزَابْ * مَــنْ تِيــزِي وَزُو لْمَغْنِيَــهْ دَفْعَــهْ

مَالْهُقَــارْ لْسِــيرْتَا بَرْبَــرْ وَعْــرَابْ * وْمَــنْ حْــدُودْ الطَــارَفْ لْبُوزَرِيعَــهْ

قُلْنَـــا كَلْمَـــهْ مْوَحْـــدَهْ شَـــايَبْ وْشَـــبَابْ * كُـــــلْ اَنْتَخَبْنَـــــا عْلِيـــــهْ بَقْنَاعَـــــهْ

الْمُسْـــــؤُولِيَةْ دْخَـــــلْ لِيهَـــا مَالْبَـــابْ * دِبْلُومَاسِـــي مَـــنْ قَبْـــلْ عَنْـــدُو سُـــمْعَهْ

وِيـــنْ مْشَـــى يَلْقُـــوهْ بَحْضَـــانْ التَرْحَـــابْ * قِيمَـــةْ عَبْـــدْ الْعَزِيـــزْ دِيمَـــا مَرْفُوعَـــهْ

الطِيـــبْ عْلَـــى اللْسَـــانْ وَحْـــدِيثْ وآدَابْ * وَالْحِكْمَـــةْ مَـــنْ بَعْـــدْ رَايَسْـــنَا بَدْعَـــهْ

هُـــوَ وَالْمَرْحُـــومْ كَـــانُوا عَـــزْ صْـــحَابْ * وَحْنَـــا كُنَـــا عْبَـــادْ فِـــي ذِيـــكْ السَـــاعَةْ

عَبْـــدْ الْعَزِيـــزْ عَـــزُوا بِيـــهْ الوَهَـــابْ * وَخْـــدَلْ بِيـــهْ الَحْسُـــودْ وَنْصَـــارْ الْبَدْعَـــهْ

قَمْـــرُو هَـــلْ الْيُـــومْ بَعْـــدْ سْـــنِينْ غْيَـــابْ * عِشْـــرِينْ سَـــنَةْ كَامْلَـــهْ وَشْـــهَرْ رَبْعَـــهْ

بِيـــهْ زْهَـــاتْ نْفُوسْـــنَا وَحْيَـــاتْ لْبَـــابْ * ذَا النُوبَـــــهْ رَبْ اَسْـــــتَجَبْ لَلـــــدُعَا

بَعْدْ أَنْ قُلْنـــا مَـــا بْقَـــى لَلْـــوْطَنْ صْـــوَابْ * وَالْخِيـــــرْ حْسَـــبْنَاهْ رَاحْ بْـــــلاَ رَجْعَـــــهْ

حَقَـــقْ لِينَـــا حُلْـــمْ نَحَسْـــبُوهْ سْـــرَابْ * وَحَـــــدْ ذَا الأُمَـــــةْ وْجَفَـــــفَ الدَمْعَـــــهْ

وَكْلاَمُو لَلشَـــعْبْ وَاضَـــحْ فِـــي الْخِطَـــابْ * فِـــي الْوِحْـــدَهْ مَكَـــانْ شَـــكْ وْلاَ رَجْعَـــهْ

هَـــذَا الَـــوْطَنْ عْلِيـــهْ مَاتَـــتْ كَـــمْ رْقَـــابْ * مُوحَـــــالْ نْخَلُـــــوهْ لَلْغِيـــــرْ وْدِيعَـــــهْ

كَـــانُو فِيـــهْ جْـــدُودْنَا خَـــاوَهْ وَحْبَـــابْ * لِينَـــا وْطَـــنْ فْرِيـــدْ مَـــا هُمْشِـــي تَسْـــعَهْ

كَامَـــلْ ضَـــحَيْنَا عْلِيـــهْ بْغِيـــرْ حْسَـــابْ * وْعَاهَـــدْنَا مَـــا كَـــانْ بِيدِيـــهْ الخَدْعَـــهْ

اَحْنَـــا شَـــعْبْ فَرِيـــدْ عَاهَـــدْنَا مَـــا خَـــابْ * بَالْوِئَـــــامْ نْـــــرَدْ لَلْعِـــــينْ الدَمْعَـــــهْ

يَـــاكْ الــــدَهْرْ اَيَـــامْ وَايَـــامُو تَقْلَـــابْ * مكَـــاشْ اللِـــي تْـــدُومْ فِيدِيـــهْ السَـــاعَهْ

يَـــارَايَسْ لَبِيـــكْ وَاللِـــي قُلْـــتْ صْـــوَابْ * ضَـــنْ عْلَـــى رَبِ وْكَمَـــلْ ذَا المَسْـــعَى

هَـــذَا الــــوْطَنْ الله دَارَكْ لِيـــهْ سْـــبَابْ * وَالثَمْـــــرَةْ الزِينَـــــةْ تْخَلِـــــي زَرِيعَـــــهْ

بِيـــكْ دْزَايَـــرْ عَزْهَـــا مَالَـــكْ لَرْقَـــابْ * وَحْيَا بِيـــكْ الْقْلُـــوبْ مَـــنْ بَعْـــدْ الفَجْعَـــهْ

هَـــلْ هْـــلاَلْ الْحَـــقْ فِيهَـــا بَعْـــدْ سْـــحَابْ * وْكَلَمْتْهَـــا كِـــي زْمَـــانْ رَاهَـــا مَسْـــمُوعَهْ

ضَـــنْ الشَـــهْدَا مْعَـــاكْ اَنْـــتَ مَـــا خَـــابْ * وْعَهْدْ الثَـــوْرَةْ عَهْـــدْ مَـــا فِـــيهْشْ رَجْعَـــهْ

أَهْـــلاً بِيـــكْ الْيُـــومْ فِـــي قَلْعَـــةْ لَنْسَـــابْ * مَـــنْ فْجَـــرْ التَـــارِيخْ مَـــذْكُورَةْ قَلْعَـــهْ

وحي الوئام

أحمد بوزيان

أثناء التحضير لاستقبال فخامة رئيس الجمهورية في شهر أكتوبر2002، حرص المبرمجون عند اختيار أسماء شعراء على ألا أكون فيها، وأثناء مجالستي لأعضاء المجلس الأعلى للغة العربية أسبوعا قبل موعد الزيادة وبإيحاء من السيد ساحي نور الدين مدير الثقافة للولاية على أنني الأشعر والأقدر، وما كان منهم إلا أن يطلعوا على ما كتبت وإذا بشيطان الشعر يزورني ليلا ويلهمني هذه القصيدة، ولما اطلع عليا معالي رئيس المجلس الأعلى للغة العربية برمجوها دون سواها.

هَذَا يُومْ أَفْرَاحْ لَعْرُوسْ اَلْهِضَابْ * مَاأَبْرَكْ ذَا اللِّقَاءْ ومَاأَحْلاَهَا سَاعَهْ

تْيَارَتْ هَذَا اَلْيُومْ فَتْحَتْ لَكْ اَلأَبْوَابْ * قَالَتْ لَكْ لَبِّيكْ بَالسَّمْعْ وَطَاعَهْ

غَيْثْ الرَّحْمَة زَارْهَا مَنْ بَعْدْ غْيَابْ * بُوتَفْلِيقَةْ صَاحَبْ اَلْجَاهْ وْرِفْعَهْ

بُوتَفْلِيقَة مْنَ الْحْسَدْ ضَمْنُوهْ أَقْطَابْ * وَمْجَادَبْ وَأَغْوَاثْ بَرْضَاهُمْ يَسْعَى

سْتَتَّيْنَاهْ شْحَالْ خَبْرُهْ عَنَّا غَابْ * وَالْيُومْ مْنِينْ جَاء أَعْطِينَاهْ اَلْبَيْعَهْ

كِمَا بَايَعْنَا زْمَانْ أَشْرَافْ أَنْسَابْ * إِبْنُ رُسْتُمْ دَارْ لَتْيَارَتْ شِيعَةْ

وَابْنُ خَلْدُونْ لَبَسْ لْهَا حُسْنْ ثِيَابْ * زَخْرَفْهَا بَالْعِلْمْ وَأَعْطَاهَا دفْعَةْ

عَبْـدْ الْقَـادَرْ مَـا خْفَـى طَيْـرُه جَـوَّابْ * أَمِيـــرْ الشُّـــجْعَانْ دَارْ هْنَـــا قَلْعَـــةْ

هَـذَا الْيُـومْ تِيَـارِتْ وْفَـاتْ النِّصَـابْ * بُوتَقْلِيقَـــة زَادْهَـــا شَـــانْ وْرِفْعَـــة

هَـــذُوهُمْ أَرْكَانْهَـــا وَالْقَـــولْ صْـــوَابْ * وْأَرْكَـــانْ البُنْيَـــانْ فِـــي اَلْـــدُنْيَا رَبْعَـــةْ

بِـــهْ خْوَاطَرْنَـــا زْهَـاتْ عْلَـى الأعقَـابْ * بَارَكْنَـــا مَـــنْ قْلُوبْنَـــا هَـــذَا اَلْمَسْـــعَى

ثِقْتْنَـــا فِيـــهْ ثِقَـــةْ اَلْوَلْـــدْ مْـــعَ الأَبْ * وَفْتَحْنَا لَـهْ اَلْقْلُـوبْ مَـنْ غِيـرْ خْدِيعَـة

مَـــنْ عَنَّابَـــة لْبَاتْنَـــه حَتَّـــى لَمْـــزَابْ * مَـــنْ تِيـــزِي وَزُو لْمَغْنِيَـــه دُفْعَـــه

مَـــنْ تِيهَـــرْتْ لْسِـــيرْتَا بَرْبَـــرْ وْأَعْـــرَابْ * مَـــنْ حُـــدُودْ اَلطَّـــارَفْ لْبُوزَرِيعَـــه

قُلْنَـــا كَلْمَـــه مْوَحْـــدَه شَـــايَبْ وْشَـــبَابْ * كُـــلْ أَنْتَخَبْنَـــا عْلِيـــهْ بْقَنَاعَـــةْ

اَلْمَسْـــؤُولِيَة دْخَلْهَـــا مَـــنْ الأَبْـــوَابْ * دِبْلُومَاسِـــي مَـــنْ قْبَـــلْ عَنْـــدُه سُـــمْعَه

وِيـــنْ مْشَـــى يَلْقُـــوهْ بَأَحْضَـــانْ التَّرْحَـــابْ * قِيمَـــةْ عَبْـــدْ العْزِيـــزْ دِيمَـــا مَرْفُوعَـــه

يَـــامَسْ ذَا الْقِيمَـــة نْظَرْنَاهَـــا بَاهْـــدَابْ * شُـــفْنَاهَا فِـــي إِسْـــبَانْيَا ذِيـــكْ الرِّفْعَـــة

فَتْحَتْ لِـــهْ أَبْوَابْهَـــا مَـــنْ غِيـــرْ حْجَـــابْ * مِثْلْ اسْـــلاَفُه أَعْطَـــاتْ لُـــه كُـــلْ الطَّاعَـــة

هَذَا يُومْ عْظِيمْ مَــا هُــو يُــومض عْتَــابْ * بُوتَفْلِيقَـــــة يْزِيــــدْ لَلْخَــــاطَرْ مُتْعَــــة

رَايَسْــنَا مُحَــالْ كِــي مِثْلُــهْ يَنْصَــابْ * فِيــهْ خْصَــالْ الأَبْطَــالْ كَامَــلْ مُجْتَمْعَــة

الطِّيــبْ عْلَــى اللْسَــانْ وَحْدِيثُــه آدَابْ * وَالْخَصْــلَةْ مَــنْ بَعْــدْ رَايَسْــنَا بِدْعَــه

هُــوَ وَالمَرْحُــومْ كَــانُوا عَــزْ أَصْــحَابْ * وَحْنَــا كُنَّــا عْبَــادْ فِــي ذِيــكْ السَّــاعَة

عَبْــدْ اَلْعَزِيــزْ عَزْنَــا بِــهْ اَلْوَهَّــابْ * وَخْــذَلْ بِــهْ اَلْحَسُــودْ وَأَنْصَــارْ اَلْخَدْعَــه

قَمْــرُه هَــلْ اَلْيُــومْ بَعْــدْ سْــنِينْ غْيَــابْ * عِشْــرِينْ سْــنَةْ كَامْلَــة وَأَشْــهُرْ رَبْعَــه

بِــهْ زْهَــاتْ نْفُوسْــنَا وَحْيَــاتْ أَلْبَــابْ * ذَا النُّوبَــة رَبِّــي اَسْــتَجَبْ لَلْــدُّعَاءْ

بَعْد أَنْ قُلْنَــا مَــا بْقَــى لَلْــوَطَنْ صْــوَابْ * وَالْخِيــرْ حْسَــبْنَاهْ رَاحْ بْــلاَ رَجْعَــة

كْلاَمُــه لَلشَّــعْبْ وَاضَــحْ فِــي الْخِطَــابْ * فِي اَلْوِحْــدَة مَــا كَــانْ شَــكْ وْلاَ صَــنْعَة

هَذَا الــوَطْن شْــتَى فْنَــاتْ عْلِيــهْ رْقَــابْ * كِيفَــاهْ نْخَلُّــوه لَلْغِيــرْ وْدِيعَــة

كَامَــلْ ضَــحِّينَا عْلِيــه بْغِيــرْ حْسَــابْ * ثَوْرَتْنَــا مُحَــالْ مَــا فِيهَــا خَدعَــة

يَــاكْ أَحْنَــا ثُــوَّارْ مَــا كُنَّــا إِرْهَــابْ * يَــدْ الْغَــدْرَةْ مَــا تْفَــرَّقْ جَمَاعَــة

أَحْنَا شَـعْبْ عْظِـيمْ وَالْعَاهَـدْ مَـا خَـابْ * بَأَمْجَـادُه مَعْـرُوفْ مَـا عَنْـدُه نَزْعَـة

عُمْـرُه وَلاَ كَـانْ فِـي عَهْـدُه كَـذَّابْ * عَنْدُه نِيـفْ عْلَـى الـوْطَنْ دِيمَـا يَسْـعَى

كِي يَـامَسْ كِـالْيُومْ كُـلْ النَـاسْ حْبَـابْ * بَالْوِئَـامْ نْـرُدْ لَـبْلاَدِي سُـمْعَة

يَـارَايَسْ لَبَّيْـكْ وَاللِّـي قُلْـتَ صْـوَابْ * رَبِّـي رَاهْ مْعَـاكْ فِـي هَـذَا اَلْمَسْـعَى

هَـذَا اَلْـوْطَنْ الله دَارَاكْ لَـهْ أَسْـبَابْ * وَالثَّمْـرَة الزِّينَـة تْخَلِّـي زَرِيعَـة

وحي الوئام (ديوان شعر شعبي مقروء ومسموع)، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثّقافيّ

أحمد بوزيان

تيارت: في جانفي 2004

هذه القصيدة ألقيت أمام فخامة رئيس الجمهورية بتيارت بعد جولته الخارجية لإعادة غسل وجه الجزائر في العواصم الدولية. وقد أشرق وجه الجزائر به من جديد... وقد أثارت إعجابه ورق لها وهش واغرورقت عيناه بالدموع إثر ذكري لوالدته فأثرت فيه أيما تأثير...

يَــا رَمْــزْ الْعِــزَّة ويَــا صِــفَةْ الأمْــلاَكْ * لِــكْ أَشْــتَقْنَا وشَــوْقنَا فَــاتْ المَعْقُــولْ

يَــا عُنْــوَانْ الْمَجْــدْ مَــا أَبْرَكْنَــا بلْقَــاكْ * يَا طَلْعَــة تَعْشِــي عْلَــى الْبَــدْر الْمَكْمُــولْ

يَــا عَزِيــزْ تْعَــزَّتْ الأُمَّــة بَضْــيَاكْ * لُحْــتْ بْنُــورَكْ عَمْهَــا صَــحْرَاء وَتْلُــولْ

فَرْحَــتْ بِــكْ قْلُوبْنَــا هَتْفَــتْ بَشْــنَاكْ * وَتْهَنَّــاتْ بْطَلْتَــكْ رُوحْ الْمَعْلُــولْ

بَكْــرَ بْــن حَمَّــادْ رَاهْ يَسْــتَنَّاكْ * وَأَهْــلَ الْبَــارُودْ سَــرْجُوا لِلزَّهْــو خْيُــولْ

أَفْلَــحْ الإِمَــامْ بَأوْلَــادُه وَصَّــاكْ * فِيــكَ تْوَسَّــمْ خَيْــرْ يَــا وَلْــد الأُصُــولْ

ابْــنُ خَلْــدُونْ رَاهْ فِــي ذَا الْيُــوم دْعَــاكْ * يَتْرَقَــبْ فَــي زْيَارْتَــكْ حُضْــنُه مَحْلُــولْ

وَمْعَاشِـــــي بَأَنْغَـــــامْ يَتْــــرَنَّم بَهْــــوَاكْ * وَأَنْغَامُـــــه مُحَــــالْ لاَ تَفْنَــــى وَتْــــزُولْ

وَقْــلاَعْ الأَمِيـــرْ كَامَـــلْ تَحْــتَ حْمَــاكْ * وَتْيَــــارَتْ وَرْجَالْهَــــا وَجْبَــــالْ قَــــزُولْ

الشَّـــعْبْ بَلَهْفَــــة أَحْضَــــانَهْ تَتْمَنَــــاكْ * طَـــوَّلْ يَسْــــتَنَى وْدَارْ عْلِيــــهْ اَلْحَـــوْلْ

عَاهَـــدْنَا مَــــازَالْ كِــــي مَــــا عَاهَـــدْنَاكْ * وَأَحْفَـــادْ الأَمِيـــرْ مَــا تَعْــرَفْشْ الـــرُّولْ

بَالنَّيَـــــة وَالصِّــــدْقْ بَارَكْنَــــا مَسْــــعَاكْ * عُمْــرْ النِّيَـــة الصَّـــافِيَة لاَ كَـــانْ تْحُـــولْ

بُوتَفْلِيقَــــة عْيُـــونْ ذَا الأُمَّـــــة تَرْعَـــاكْ * يَا مَنْ صُنْتْ أَمْجَادْهَــا فِــي وَقْــتْ الهُــولْ

أَنْتَ زَرْعْــتْ الْـــوَرْدْ فِـــي قَفْــرَةْ الأَشْــوَاكْ * بِــــكْ تْبَسَّــــمْ خَــــدْ بَالدَّمْعَـــــةْ مَبْلُـــــولْ

أَنْـــتَ طَعْـــتْ أُمِيمْتَـــكْ سَـــعْدَكْ وَهْنَـــاكْ * رْعَاتَـــكْ بَحْنَــــانْ وَرْضَـــــاهَا مَبْـــذُولْ

قَــــرَتْ بِــــكْ عْيُونْهَــــا وْالْقَلْــــبْ غَشَــــاكْ * وَالله بِهَـــا مَــــا تْخَــــافْ مْـــنَ الْمَجْهُـــولْ

وِيـــنْ مْشِــيتْ بْشِــيعْتَكْ نَـــوَّرْتْ سْــمَاكْ * وَالْعَــــالَمْ فِــــي صَــــوَّلْتَكْ بَــــاقِي مَـــذْهُولْ

بَيْـــرُوتْ وْزِينْهَـــا عْلِيهَــــا لاَحْ ضْــــيَاكْ * زَخْرَفْـــتْ مْنَـــابَرْ الشَّــنَاء بَفْصِـيحْ الْقُــولْ

مُولاَنَـــا فِــــي كُورْيَـــا بَالسَّـــرْ كْسَـــاكْ * كَامَــــلْ شَــــاهَدْنَا مْقَامْـــكْ فِــــي سِـــيُولْ

جَامِعَـــةْ صُــرْبُونْ تَشْــهَدْ لَــكْ بَنْهَــاكْ * بِــكْ بْقَــى نِبْرَاسْــنَا فِيهَــا مَشْــعُولْ

رَبْ الْعِـــزَّةْ عَزْنَــا لَلْــوَطَنِ أَهْــدَاكْ * بَالْحِكْمَــةْ وَصْــوَابْ وَالــرَّايْ الْمَعْــدُولْ

رَبِّــي يَنْصُــرْ رَايْتَــكْ وَيْــذَلْ أَعْــدَاكْ * وَجْمِيــعْ اللِّــي كَارْهَــكْ يَرْجَــعْ مَخْــذُولْ

تْبَــرَدْ عَــدْيَانْ اَلْــوَطَنْ هَــذَاكْ وْذَاكْ * مَنْ جَاوْا يْزَاحْمُــوكْ مَخْصُوصِــينْ عْقُــولْ

خْصُــومَكْ يَــا حْبِيبْنَــا مَــا هُمْــشْ لْــدَاكْ * يُــومْ الْحَسْــمْ يْبَــيَّنْ السِّــيفْ المَسْــلُولْ

يَــا عَبْــدْ الْعَزِيــزْ سِــيرْ عْلَــى مَرْضَــاكْ * مَا دَامْ الشَّــعْبْ فَــي أَكْتَافَــكْ صُــلْ وْجُــلْ

يَــا رَايَــسْ رَسِّــي الْجَبْهَــة فِــي مَرْسَــاكْ * لاَ تَهْــدَاهَا تَايْهَــة فِــي فُــمّْ الْغُــولْ

لاَ تَهْــدَاهَا لْنَــاسْ عَاشُــوا هَــاكْ وْهَــاكْ * وَاللِّــي عَنْــدَهْ شَــكْ فَــي الْجَبْهَــة مَهْبُــولْ

اَلْجَبْهَــة مَوْرُوثْنَــا مَــا هِــيشْ (لْجَــاكْ) * بَحْــرُوفْ مْــنَ الــدَّمْ كَتْبُوهَــا فُحُــولْ

بُوتَفْلِيقَــة قَصَــايْدِي وَالــرُّوحْ فْــدَاكْ * وَالله غَيْــرَكْ مَــا تْــوَدَّدْتْ لِمَسْــؤُولْ

أَنَــا شَــاعَرْ لِلْــوَطَنْ مَــانِي بَعْكَــاكْ * وَرْفَدْتْ مْعَ ذَا الْوَطَنْ فَــي الصَّــبْرْ حْمُــولْ

مَــا صَــلِّيتْ الشَّــكْ مَــا نَعَــرَفْ بَــالاَكْ * وَجْــوَادِي نَبْغِيــهْ فِــي شَــاو الْمَرْحُــولْ

غَيْــــرْ تَهْنَّــــى الْشَــــعْبْ هُــــوَ مَــــنْ وَلاَّكْ * وَتْبَــــرَّا ذَا زَمْــــانْ مَــــنْ خَلْفَــــهْ دِيغُــــولْ

ظُــــنَّ عْلَــــى رَبِّــــي وْرَانَــــا كُــــلْ مْعَــــاكْ * وَاللِّــــي قَــــلَّ حْيَــــاهْ خَلِّينَــــاهْ يْقُــــولْ

طُــــلْ عْلِينَــــا بْطَلَّتَــــكْ مَــــا مَلِّينَــــاكْ * يَا مَــــا أَحْلاَهَــــا طَلْتَــــكْ لُــــو كَــــانْ تْطُــــولْ

طُــــلْ عْلِينَــــا بْطَلَّتَــــكْ مَــــا مَلِّينَــــاكْ * يَــــا مَــــا أَحْلاَهَــــا طَلْتَــــكْ فِــــي بَــــرَّ قْــــزُولْ

أَنْــــتَ رَايَسْــــنَا وْمَــــا نَرْضُــــوا سِــــوَاكْ * حَتَّــــى وَلَــــوْ كَــــانْ مَــــنْ نَسْــــلَ الْبَــــاتُولْ

وقفة مع التاريخ

أحمد بوزيان

قبل أن يركب الناس قطار الحملة الانتخابية تبنيناها صدقا وإيمانا بان الرجل يحمل في قلبه مشروع أمة، فكانت هذه القصيدة نداء إلى ضمير الأمة ألا تختار إلا العزيز رئيسا وأبا للوطن، إذ جربنا الأحزان والآلام وعجز السابقين عن معالجة الوضع، ما فتئت أعتقد أن الأجدر والأقدر على التكفل بإنجاز المشروع الوطني هو عبد العزيز بوتفليقة، وقد أثبتت الأيام صحة ما توسمته فيه.

وقد بادرت بتسجيل هذه القصيدة في شريط سمعي على حسابي الخاص لتكون فيما بعد–من حيث لا أدري– في كل أرجاء الوطن تدوي دعما لفخامة الرئيس في حملته الانتخابية.

يَا شَعْبْ تْكَاكَا وْمَيَزْمَا تَخْتَارْ * قَرَرْ يَا مَنْ رَاهْ بِدِيكْ الْمَصِيرْ

كَانْ نْسِيتْ نْفَكْرَكْ مَا فَاتْ وْصَارْ * هَذَا الْوَقْفَةْ يْحَقْهَا سَنَةْ تَدْبِيرْ

أَنْتَ مَنْ بَايَعْتْ فِي شَا والمَسَارْ * وَأَنْتَ اللِي مَلِيتْ مَنْ سُوءْ التَسْيِيرْ

خَيَرْ بِينْ اثْنِينْ يَا جَنَةْ يَا نَارْ * وَأَصْلَحْ ذَاتْ الْبِينْ وَأَعْرَفْ وَاشْ تْدِيرْ

هَذِي يَدْ الْعَوْنْ مَمْدُودَةْ بَجْهَارْ * شَدْ الْيَدْ اللِي تْمَدَتْ لَكْ بَالْخِيرْ

هَذَا عَبْدْ الْعْزِيزْ عَدَالْ الْمُشْوَارْ * مَنْ شَهْدَتْ بَخْصَايْلَهْ حَرْبْ التَحْرِيرْ

هَذَا ثَوْرِي وِجَايْ مَنْ صُلْبْ الثُوَارْ * وَابْنْ الثَوْرَةْ عْلَى الَوْطَنْ مَعْلُومْ يْغِيرْ

هَذَا جَابَهْ نِيفْ مَا هُوشِي سَمْسَارْ * وَتْقَلَدْ مَرْكُوبْهَا وَالظَرْفْ عْسِيرْ

هَــذَا مَـــنْ عْمَـــدْ الْـــبْلاَء وِرْكَـــبْ الأَوْعَـــارْ * قَـــالْ بْـــلاَدِي نْشِـــيلْهَا مَـــنْ قَـــاعْ الْبِيـــرْ

هَـــذَا مَـــنْ بِـــهْ اَلْـــوْطَنْ شَعْشَـــعْ بْـــأَنْوَارْ * وِلْـــبَسْ حُلّـــةْ فَـــاخْرَةْ سُـــنْدُسْ وَحْرِيـــرْ

هَـــذَا مَـــنْ بِـــهْ السْـــمَاء جَـــادَتْ بَأَمْطَـــارْ * غَيْـــثْ الرَحْمَـــةْ جَـــاء مْـــعَ نَفْحَـــةْ يَبْرِيـــرْ

هَبَتْ نَسْـمَة عْلَـــى الَـــوْطَنْ وَالْعُشْـــبْ خْضَـــارْ * وَصْـــفَا مَاهَـــا زْلاَلْ بَعْـــدْ أَنْ كَـــانْ غْـــدِيرْ

رَجْعَـــتْ سُـــمْعَةْ لَـــوْطَنْ مَـــا بِـــينْ أَقْطَـــارْ * وَرْجَعْ عَـــزْ بْلاَدْنَـــا فِـــي ظَـــرْفْ قْصِـــيرْ

بَعْـــدْ أَنْ كُنَـــا لْلْعْرُوبَـــةْ وَصْـــمَةْ عَـــارْ * رَانَـــا شَـــاوْ الرَكْـــبْ وَالْقُومَـــانْ تْسِـــيرْ

غَمْـــدَتْ بِـــهْ جْـــرَاحْ كَانَـــتْ تَنْـــزَفْ نَـــارْ * وَطْفَـــى حَـــرْ لْهِيبْهَـــا مَـــنْ بَعْـــدْ زْهِيـــرْ

بُوتَفْلِيقَـــــة عْنَايَـــــةْ الشَـــــعْبْ المُخْتَـــــارْ * كِـــي يَحْضَـــرْ هُـــوَ الشَـــعْبْ عْـــلاَهْ يْحِيـــرْ

بُوتُفْلِيقَـــــــةْ سَـــــــاقْتَهْ لِنَـــــــا الأَقْـــــــدَارْ * وَهْبَـــــة لَلأُمَـــــةْ مَـــــنْ الْحَـــــيْ الْقَـــــدِيرْ

لُومَـــا عَبْـــدْ العْزِيـــزْ مَـــا كَـــانْ اِسْـــتِقْرَارْ * مَا قَـــرَتْ عَـــيْنَ الـــوْطَنْ مَـــا جَـــاءْ تَغْيِيـــرْ

يَـــا شَـــعْبْ وْصَـــايْتِي اَحْفَظْهَـــا لَتَـــذْكَارْ * بُوتَفْلِيقَـــةْ يْكُـــونْ لَـــكْ مَفْتَـــاحْ الْخِيـــرْ

مَيَـــزْ بِـــينْ الْيُـــومْ وَالْبَـــارَحْ وَأَخْتَـــارْ * مَـــنْ دُونْ الْعَزِيـــزْ مَـــا تَرْضَـــى بَـــالْغِيرْ

أَمَانَـــــةْ الأَجْيَـــــالْ مَـــــا هِـــــيَ لَتُجَـــــارْ * غِـــي قُلْـــتْ نْكَاكِيـــكْ لاَ عَنْـــدَكْ ضَـــمِيرْ

آخَـــــرْ كَلْمَـــــة نْقُولْهَـــا لَـــــكْ بَاخْتِصَـــــارْ * هَـــذَا الْعُهْـــدَةْ أَدَايْهَـــا وَالْـــرَبْ كْبِيـــرْ

11سبتمبر 2003

ابن باديس

عمر موسى

اَتْفَكَــــرْ يَـــا جِيـــلْ رَايَـــدْ نَهْضَـــتْنَا * وْعَنُـــو رَحَـــمْ فِـــي أَنْهَـــارْ أَنْ فَارَقْنَـــاهْ

إِمَـــــامْ الإِصْــــلاَحْ حَصَـــــنْ أُمَتْنَـــــا * بَالْعَمَـــلْ وَالإِيمَـــانْ دَرْسُـــو مَـــا نَنْسَـــاهْ

بَـــــنْ بَــــادِيسْ شُــــعَاعْ فِـــي مَدَارِسْــــنَا * خَصَصْـــنَا لُـــو يُـــومْ فِيـــهْ اَتْكَرْنَـــاهْ

ذَاكْ اَنْهَــــارْ الْعَمَــــلْ بِيــــهْ اَحْتَفَلْنَــــا * سَــــتَاعَشْ أَفْرِيــــلْ عَنُــــو سَــــمَيْنَاهْ

فِـــي شِـــعْرُو نَلْقَـــاوْ شَـــجْرَةْ نَسْـــبَتْنَا * وَاللِّـــي عَنْهَـــا حَـــادْ رَأْيُـــو كَـــذَبْنَاهْ

سِـــي عَبْـــدْ الْحَمِيـــدْ هَاكْـــذَ عَلَمْنَـــا * لَحْيَـــاةْ سْـــلاَحْ مَـــنْ قَوْلُـــو جَبْنَـــاهْ

وْمَـــنْ كُـــلْ الْخَطُـــوبْ يَاسَـــرْ حَـــذَرْنَا * لَلْعَـــدْيَانْ السَـــمْ بَالنَـــارْ أَمْزَجْنَـــاهْ

وْمَـــنْ شَـــرْ الْمُحْتَـــلْ حَصَـــنْ لُغَتْنَـــا * وْمَـــنْ كَيْـــدْ التَنْصِـــيرْ لَكْتَـــابْ اَحْفَظْنَـــاهْ

الشَـــــبَابْ عْلِيــــهْ نَبْنِــــي أَمَلْنَــــا * إِذَا كَــــانْ أَحْنَــــا بْحِكْمَــــةْ عَلَمْنَــــاهْ

وَأَنْوَرِيــــهْ أَمْجَــــادْ فِيهَــــا عَزَتْنَـــا * وْبَالمُقَوِمَــــــاتْ عَقْلُـــــو سَــــلَحْنَاهْ

وَاللِّــــي بَالْحُــــبْ زَايَــــرْ قَاصَــــدْنَا * بَــــالْكَرَمْ وَالْجُـــودْ رَانَـــا وَدِينَـــاهْ

الظَـــالَمْ مَــــنْ جَـــا وْقَصْــــدُوا يَخْـــذَلْنَا * وْجَـــدْنَا لُــــو كُــــلْ آفَـــةْ حَارَبْنَـــاهْ

وْإِذَا مُـــــتْ يْقُـــــولْ لِـــــيكُمْ صَـــــيْحَتْنَا * اَلْجَزَائَـــرْ لَلْعْـــرَبْ وْطَــــنْ اَنْسَـــبْنَاهْ

عَلَمْنَـــــا خِصَـــــالْ عَنْهَـــــا وَصَـــــانَا * وْبِهَـــا كَـــانْ يْحَـــثْ وْعَنْهَـــا عَاهَـــدْنَاهْ

اَرْحَـــــمْ ذَا لإِمَـــــامْ وَأَقْبَـــــلْ دَعْوَتْنَـــــا * غُفْرَانَـــكْ يَـــا حَـــيْ عَبْـــدَكْ يَتْرَجَـــاهْ

يَحْيَـــا وَطْنِـــــي فِيـــــهْ تَكْمَـــــلْ فَرْحَتْنَـــــا * عُرُوبَـــــةْ وْإِسْـــــلاَمْ شِـــــعَارْ اَرْفَعْنَـــــاهْ

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

✓ **القرآن الكريم**(رواية ورش)

✓ **المعاجم العربية:**

1- ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أميــن محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، الجزء13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م.

2- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الجزء 5، طبعة اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

3- أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، الجزء8،(د. ط)،(د. ت).

4- لاروس، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، بيروت،1991م.

5- محمد بن محمد أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، (د. ط)، (د. ت).

✓ **الدواوين:**

6 – ابن السّايح الخثّير ،الدّيوان المثّير ، جمعه ودونه إبراهيم شعيب، مطبعة رويغي، الأغواط، ط1، 2006م.

7– د. أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد بسكرة، دار السّبيل للنشر والتوزيع،الجزائر، 2008م.

8– أحمد بوزيان، وحي الوئام (ديوان شعر شعبي مقروء ومسموع)، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثّقافيّ،الجزائر،ط2، 2009م.

9– أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي شعر الثـورة المسـلحة، منشـورات المتحف المجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائـر، (د.ت).

10– بن رامي مسعود، الكنّز المغمور في الشّعر الملحون،قصر الكتاب،البليدة، الجزائر، 1999م.

11– توفيق ومان، في الشعر الشعبي المعاصر، الرابطة الوطنية للشّعر الشعبي، 2007م.

12– حويلي مزروع، ديوان شعر الشّعبيّ (قوافي ودموع)، دار الفجر، الجزائر، 2011م.

13– عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشّعر الملحون، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996م.

14- شوشة جلول ، ديوان نزهة العقول، جمع و تدوين إبراهيم شعيب ، خزانة التّراث، الجزائر،ط1، 2009م.

✓ **المراجع العربية:**

15- د.إبراهيم السامرائي، لغة الشّعر بيّن جيليّن، دار الثّقافة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

16- ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، المجلد2، 1984م.

17- د. أحمد بن نعمان، هذي هيّ الثّقافة، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 1996م.

18- أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائريّ المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ط)، 1989م.

19- د. أحمد شرفي الرّفاعيّ، الشّعر الوّطني الجزائريّ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010م.

20- أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة، (بين الموهّبة والقيّادة) رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005م.

21- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1987م.

22- أحمد نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتروبولوجية النّفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

23- إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق... والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، المجلس الأعلى للثّقافة، دار الكتب المصرية، مصر، 2001م.

24- آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.

25- بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة، دار النقائس، بيروت، ط2، 1983م.

26- التّلي بن الشّيخ، دراسات في الأدب الشّعبيّ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د. ط)، 1983م.

27- د. التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م-1945م)، سحب الطباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

28- التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ الجزائريّ في الثّورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983م.

29- جودة كساب، الخطاب الشّعريّ العربيّ الحديث، المصادر والآليّات، مؤسسة حمّادة للدّراسات الجامعيّة والنّشر والتّوزيع،ط1، 2002م.

30- حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفرابي منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2001م.

31- الزّبير بن رحال،الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889م- 1940 م)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر(د. ت).

32- الزّريبي المولود، بدور الإفهام أو شموس الأحلام، على عقائد ابن عاشور الحبر الهمام، المطبعة التونسية، تونس، 1912م.

33- زكي نجيب محمود، قيّم من التّراث، دار الشّروق، مصر، (د.ت).

34- سحر سامي، شعرية النّص الصّوفيّ في الفتوحات المكيّة لمحيّ الدّين بن عربيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 2005م.

35- شكري محمد عياد، البطل في الأدب والأساطير، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1971م.

36- د. صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1983م.

37- عبد الحميد بورايو بن طاهر، القصص الشّعبي في منطقة بسكرة - دراسة ميدانية-، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

38- عبد الحميد بورايو بن طاهر، البطل الملحميّ والبطلة الضّحية في الأدب الشّفويّ الجزائريّ، دراسات حول خطاب المرويّات الشّفوية (الأداء، الشّكل، الدّلالة)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1998م.

39- عباس الجراري، الزجل في المغرب - القصيدة-، مطبعة الأمينة، المغرب، ط1، 1970م.

40- عبد الصّمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالاتها، جزء الأول، اتصالات سبو، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2010م.

41- عبد الله التطاوي، الصّورة الفنّية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2002م.

42- عبد الله راجع، القصّيدة المغربية المعاصرة (بنية الشّهادة والاستشهاد)، دار قرطبة للطباعة والنّشر والتوزيع، الدّار البيضاء، (د. ط)، 1988م.

43- عبد الله خليفة ركيبي، القصّة الجزائرية القصيرة، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1977م.

44- د.عبد الله ركيبي، الأوراس في الشّعر العربيّ ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1982م.

45- د. عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1981م.

46-د. عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث(الشعر الديني الصوفي)، الجزء الأول، دار الكتاب العربي،(د. ط)،2009م.

47- عبد المالك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، دراسة مجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

48- عبده بدوي، دراسات في النّص الشّعري الحديث، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، (د. ت).

49- العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة صدر بدعم وزارة الثقافة، دار الشّروق للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2008م.

50- العربي دحو، بعض النّماذج الوطنية في الشّعر الشّعبي الأوراسي، خلال الثّورة التّحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د.ت).

51- العربي دحو، الشّعر الشّعبيّ ودورة في الثّورة التّحريرية الكبرى لمنطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزء الأول، 1989م.

52- د.عزّ الدّين السيد، التّكرير بين المثير والتّأثير، دار الطّباعة المحمديّة، القّاهرة، ط1، 1398هـ.

53- د. عاطف جودة نصر، الرّمز الشّعري عند الصّوفية، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1978م.

54- علي بولنوار، الشّعر الشّعبيّ في منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

55- علي زيغور، قطاع البطولة والنرجسية في الذّات العربية المستعلى والأكبري في التّراث والتحليل النّفسيّ، دار الطليعة، بيروت،الطبعة الأولى، 1982م.

56- د.علي عبد الرّزاق جلب، دراسات في المجتمع والثّقافة والشّخصية، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر، 1989م.

57- علـــي عشـــري زايـــد، استدعـــاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشّعر العربيّ المعاصر، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2006م.

58- علي لميزي، الخيّال الرّمزي من خواطر علي لميزي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريّين، الجزائر، ط1، 2009م.

59- عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشّعر العربيّ الحديث، دار المشرق العربيّ، بيروت، ط1، 1985م.

60- د. عمّار الطالبي، أثار ابن باديس، المجلد الأول، تفسير وشرح الأحاديث، ج1، الشّركة الجزائريّة، الجزائر، ط1، 1968م.

61- فوزي حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1984م.

62- محمد زروال، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار بالرويبة، الجزائر، 1994م.

63- د. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائريّ، تحليل سوسيولوجي لأهمّ مظاهر التغيّير في المجتمع الجزائريّ المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط) (د، ت).

64- د. محمد عبده غانم، شعر الغناء الصنهاجي، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م.

65- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس،ط5، 1967م.

66- د. محمد ناصر، الشّعر الجزائريّ الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنّية (1925- 1975)، دار الغرب الإسلاميّ بيروت، لبنان، 1983 م.

67- محمود هني، الأدب الشعبي مفهومه، مضمونه، دار الأدب العربي للطباعة،1972م.

68- مجدي كامل، الشخصية القوية، طبع ونشر وتوزيع دار الأمين، القاهرة، ط1، 1997م.

69- مارون عبود، الشّعر العاميّ، دار الثّقافة، بيروت، ط1، 1968م.

70- مصطفى السعدني، البنيّات الأسلوبيّة في لغة الشّعر العربيّ الحديثّ، منشأة المعارف، الإسكندرية،(د.ط)،(د.ت).

71- أ.د. مصطفى السيوفي، تصوير الشّخصيات في قصص محمد فريد أبو حديد، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية، القاهرة، ط1، 2011م.

72- مصطفى عزام، أهمية التصورات في التكوين الأساسي- للمعلم البصريات نموذجا-، سلك مفتشي التعليم الابتدائي،(د. ط)،1997م.

73- نباحي ملاح، أليات الخطاب النقدي في مقاربة القصة الجزائرية- دراسة في قراءة بالقراءة -، دار الغرب والنّشر، الجزائر، (د.ط)، 2002م.

74- نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدس، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع،الجزائر،2008م.

75- الوناس شعباني، تطور الشّعر الجزائريّ منذ سنة 1945م حتّى نهاية سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1988م.

76- د. وهيب سمعان، الثّقافة والتّربية - دراسة تاريخية مقارنة -، دار المعارف، مصر، 1961م.

✓ **المراجع المترجمة:**

77- أرسطو طاليس،الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، بغداد، 1986م.

78- خالد شايب، بوتفليقة الرئيس وحصيلته التّحدي، ترجمة كابويا عبد الرّحمن، دار الحكمة، الجزائر، 2004م.

79- شارل أندري جوليا، تاريخ أفريقيا الشّمالية، تعريب محمد مزالي البّشير بن سلامة، الجزء 2، دار النّشر والتّونسية للنشر، تونس،1983م.

80- فرانك بالمر، مدخل إلى علم الدّلالة، ترجمة د.خالد محمود، جمعة، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع، الكويت، ط1، 1997م.

81- فانسان جوف، الأدب عند رولان بارث ترجمة وتقديم عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004م.

82- قسطنطين زريق، نحن والتاريخ(مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ)، دار العلم للملايين، بيروت،ط3، 1974م.

83- كرستين نصار، الانسان والتاريخ (أثر التاريخ وتأثره بسيكولوجية الفرد) جروس برس، لبنان، ط1، 1991م.

84- كامل محمد عويضة، علم النفس الشخصية، مراجعة أ. د. محمد رجب البيومي، عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1996م.

85- مالك بن النبي، شروط النّهضة، ترجمة كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ندوة مالك ابن النبي، دار الفكر، دمشق،1979م.

المراجع الاجنبية:

86-J. P astolfi et M. develay, la didactique des sciences , PUF , Paris, 1989.

87-l. Benouri et autres, les représentations, C.F.I.E ,sections naturelles,1994.

88-Tahar ahmed,Lapoèsie populaire algèrienne: Rythme , mètre et forme,Alger, SNED,1975.

✓ **المخطوطات:**

89- أحمد قيطون، شعر المختّار بن صدّيق، مخطوط رسالة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2002م.

90- جحيش سهيلة، شعر شهداء الثّورة الربيع بوشامة نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة، الجزائر، 2008م.

91- جمال حمودي، تمثّلات المجتمع الجزائري لمرض السلطان، المركز الاستشفائيّ الجامعيّ لتلمسان نموذجا، مقاربة أنثروبولوجية، مخطوط مذكرة ماجيستر في الأنثروبولوجيا،جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، سنة2007م.

92- سميرة لحمر، شعر أحمد ميمون الشّعبيّ، جمع ودراسة، مخطوط مذكرة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2008م.

93- سنوسي خبراج، شعر محمد بن عيسى الشّعبيّ (جمع ودراسة)، مخطط مذكرة ماجيستير في الشّعر الشّعبّي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2007م.

94- صلوح بنت مصلح بن سعيد السريجي، الصّورة في شعر الرّثاء الجاهلي، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي القديم، كلية التربية للبنات، جدة، 1998م.

95- الطيب بن دحمـــان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، جمع ودراسة،أحمد كرومي نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،الجزائر،2001م.

96- عبد القادر لصهب، شعر قادة قندوز الشّعبيّ، مخطوط رسالة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007م.

97- عبد اللطيف حني، شعر مدني رحمون دراسة فنّية تحليلية، مخطوط مذكرة ماجستير في الأدب الشّعبيّ، كلية الأدب واللّغات، جامعة الجزائر، 2006م.

98- فتيحة ولداي تبنية، شعر محمد بوشنتة الشّعبي- جمع ودراسة-، مخطوط مذكرة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2007م.

99- لحسن مخلوفي، الصورة الشعرية في النعاليات النبوية بالمغرب- دراسة في المكونات والآليات-، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2010م.

100- محمد شحادة تيم، مفهوم الأخلاقّ في الشّعر العربيّ في العصرّ العباسيّ الأول، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، 1994م.

✓ **المجلات والدوريات:**

101- حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1987م.

102- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية -بحث في تقنيات السرد-، سلسلة عالم المعرفة، العدد 240.

103- محمد بودالي، الوئام سنة، أعمال الملتقى الوطنيّ حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائريّ من خلال فنون القول الشّعبيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، تيارت، الجزائر، 2002م.

104- أ. د. محمد سعيدي، تمثّلات الفّكر الشّعبي لشخصية الأمير عبد القادر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد 11، الجزائر، 2006.

105- موسى نمر، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر،مجلد33،العدد2،كتوبر2004م.

106- معمر حجيج، الهاجس في شعر أحمد معاش، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، (عدد خاص بملتقى شعر الثّورة الجزائريّة)، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، العدد3، نوفمبر 2005م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات